



الرجاء

في ضوء القرآن الكريم والأحاديث النبوية

رسالة تكميلية لنيل درجة الدكتوراه

إعداد: محمد إلياس محمد رزاق

إشراف: الدكتورة زينت هارون حفظها الله تعالى

قسم القرآن والسنة بكلية معارف الإسلامية

جامعة كراتشي _ باكستان

ديسمبر ٢٠٠٩



DEPARTMENT OF QURA'N AND SUNNAH
FACULTY OF ISLAMIC STUDIES
UNIVERSITY OF KARACHI – KARACHI

﴿ شَهَادَةٌ ﴾

يُصَدِّقُ بِأَن مُحَمَّدَ إِیَّاسَ مُحَمَّدَ رَزَاقَ قَدْ أَكْمَلَ تَحْتَ إِشْرَافِي أُطْرُوحَتَهُ بِعَنْوَانِ "الرَّجَاءُ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ" لِنَيْلِ دَرَجَةِ الدِّكْتُورَاهِ مِنْ قِسْمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ كَلِيَّةِ مَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِجَامِعَةِ كَرَاتِشِي.
وَقَدْ لَاحَظْتَهَا وَوَجَدْتَهَا مُتَّسِمَةً بِالْأَصَالَةِ كَمَا وَجَدْتَهَا مُسْتَحَقَّةً وَصَالِحَةً لِأَنَّ تَقَدُّمَ إِلَى الْجَامِعَةِ لِلْمَزِيدِ مِنَ الْإِجْرَاءَاتِ الْإِلْزَامِيَّةِ لِإِعْطَائِهِ الدَّرَجَةَ الْمَذْكُورَةَ.
وَفِي رَأْيِي أَنَّ هَذِهِ الدِّرَاسَةَ تَسْتَكْمِلُ جَمِيعَ الْمَوَاصِفَاتِ وَالشَّرُوطِ الْإِلْزَامِيَّةِ لِلْبُحُوثِ الْمُقَدَّمَةِ لِلدَّرَجَةِ الدِّكْتُورَاهِ.

﴿ CERTIFICATE ﴾

Certified that Mr. Muhammad Ilyas S/O Muhammad Razzaque has carried out research under my supervision on the topic "Al-Raja'a (Hope) in the light of Holy Qur'an and Aha'dith of Holy Prophet صلى الله عليه وآله وسلم".

His work is original and meets the International Standard of research required for the dissertation of Ph. D.

He is permitted to submit his Thesis for awarding of Ph. D degree in Islamic Studies from the University of Karachi.

Dr. Zeenat Haroon
Research Supervisor

DR. ZEENAT RASHID
Assistant Professor
Deptt. of Qur'an & Sunnah
University of Karachi.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى من أمرني ربي بالإحسان إليهما

فقال : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١)،

إلى من أمرني ربي بالدعاء لهما

فقال : ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٢)،

أسأل الله سبحانه وتعالى لهما

فأقول : ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾^(٣)،

وخاتمة

إلى أمي الحبيبة قرة عيني التي انتقلت إلى جوار رحمة الله سبحانه وتعالى قبل أيام فقط
فأقول : ﴿اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهَا وَارْحَمْهَا وَاغْفُ عَنْهَا وَعَافِهَا وَأَكْرِمْ نُزُلَهَا وَوَسِّعْ مُدْخَلَهَا
وَاعْسِلْهَا بِمَاءٍ وَتَلْحَجٍ وَبَرْدٍ وَنَقَّهَا مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنْقَى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ وَأَبْدِلْهَا
دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهَا وَأَدْخِلْهَا الْجَنَّةَ الْفِرْدَوْسَ وَأَعِذْهَا مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ﴾^(٤).

(١) سورة الإسراء، جزء من الآية برقم (٢٣).

(٢) سورة الإسراء، جزء من الآية برقم (٢٤).

(٣) سورة إبراهيم، جزء من الآية برقم (٤١).

(٤) معني حديث طويل، أخرجه الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح

مسلم، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة برقم (١٦٠٠)، من حديث عوف بن

مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١ / ١٤١٩هـ، دار

السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بعزته وجلاله ونعمته تتم الصالحات حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والشكر له سبحانه وتعالى على نعمه الظاهرة والباطنة التي لا تُعد ولا تُحصى، انطلافاً من قوله جلّ وعلا ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾^(٢)، فأرى من الواجب علي بعد الحمد والثناء على الله تعالى أن أقدم عظيم شكري وتقديري مع الافتخار العميق بجامعة كراتشي التي أتاحت لي فرصة الدراسة بها وهيأت لي الكثير من وسائل التحصيل العلمي، ولها مع أمثالها حُرمة ومكانة في نفس كل معلّم ومتعلّم (حرسها الله تعالى)،

كما أقدم شكري العظيم إلى والديّ الكريمين الذين ربّاني ولهما أكبر عون لي في سبيل العلم والتحصيل منذ نعومة أظفاري (رحم الله تعالى رحمة واسعة أُمي الحبيبة وأدخلها فسيح جناته وحفظ الله تعالى أبي الحبيب ورعاه وحيّاه وبيّاه وشفاه وعافاه)، ويُسعدني أن أقدم خالص شكري وتقديري واحترامي من أعماق قلبي إلى جميع أساتذتي الذين شاركوا في تكويني العلمي (نفعنا الله بهم جميعاً)،

وأخصُّ بتوجيه جزيل الشكر وجميل العرفان لفضيلة الأستاذة الدكتورة زينت هارون حفظها الله تعالى، الأستاذة المساعدة بقسم القرآن والسنة بالجامعة، التي تكرّمت بالإشراف على رسالتي وفرغت لي بأوقاتها الثمينة، وأرشدتني بتوجيهاتها العظيمة، وأفادتني بآرائها السديدة، وأعطتني من وقتها وجهدها ضعف الأضعاف ما كنت أرجوه منها، ولم تضن علي بشيء أبداً، وكانت تُقابلني كلما زرتها في مكتبها بتواضع أهل العلم ورعاية أهل الكرم (جزاها الله خيراً وأحسن الجزاء)،

وأرى من الواجب عليّ أن أقدم ألف ألف شكر وتقدير من سويداء القلب إلى

(١) سورة النمل، جزء من الآية برقم (٤٠).

(٢) سورة إبراهيم، جزء من الآية برقم (٧).

سمحة الشيخ الكريم الأستاذ الجليل الدكتور محمد أمجد التهانوي رحمه الله تعالى رحمة الأبرار وأدخله فسيح جناته مشرف على رسالتي الأسبق وهو الذي أرشدني للتسجيل في جامعة كراتشي ثم ساعدني في كل مرحلة من مراحلها مع مرافقة الأستاذ الدكتور عبدالرشيد حفظه الله تعالى ورعاه عميد الكلية السابق (جزاهما الله خير الجزاء وأحسنه)، وأخيراً لا أخيراً أشكر كل من ساعدني في هذه الرسالة برأيٍ عظيمٍ أو توجيهٍ كريمٍ أو إعارةٍ كُتِبَ من جميع العلماء الأفاضل خاصةً عميد كلية معارف الإسلامية بالجامعة و رئيس قسم القرآن والسنة بالكلية، عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"^(١)،

فأدعو الله مُخلصاً أن يجزي الجميع عني خير الجزاء، ويوفقني وإياهم لما يُحبّه ويرضاه، كما أحمدّه أولاً وآخراً أنه وفقني لإنجاز هذا العمل المبارك،
واجعل اللهم فيه النفع لي ولجميع المسلمين،
وصلى الله تعالى وسلم على النبي الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين.



محمد إلياس محمد رزاق

صبيحة الجمعة المباركة

٢٣ من ذي الحجة ١٤٣٠هـ

(١) أخرجه الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، جامع الترمذي، أبواب البرّ والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك برقم (١٩٥٥)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ١ / ١٤٢٠هـ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

المقدمة

وهي تشمل على الأمور التالية

١. أهمية الموضوع
٢. سبب اختياري للموضوع
٣. منهجي في البحث
٤. خطة البحث

أهمية الموضوع

الحمد لله الذي أكرمنا بالقرآن والسنة، وجعلنا من أمة خير الأنام وهي خير أمة، وجعل العلماء ورثة الأنبياء وأحق الناس بخشيته تعالى من غيرهم وأعلاهم همّة، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١)، والصلاة والسلام على قرة أعيننا حبيب الله المختار الذي كشف الله به الغمّة، فهو النبي الأمي الذي علّم المتعلمين و خير مؤدّب الذي جمع العلم والأدب، وجعل صُحبة جماعتهم أفضل لمة،

اللهم صلّ وسلّم وبارك على حبيبك ومصطفاك سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه ومن سار على نهجه وعمل بسنته وعلينا معهم أجمعين، أما بعد! فإن أساس الدين الحنيف "الإسلام" هو علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى، وهذه العلاقة تبني على صفات الله سبحانه وتعالى، ومن هنا كرر الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد ذكر أسمائه الحسنى، فعدد كبير من فواصل آياته تشتمل صفاته، مثل قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٢)، وأهم صفات الله تعالى وأعظمها شأنًا هي صفة الرحمة، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن الله لما خلق كتب عنده فوق عرشه: "إن رحمتي سبقت غضبي")^(٣)،

وطريق التعلق برحمة الله تعالى هو رجاؤه، ومن هنا يتضح أن أساس الدين هو الرجاء. ولا يخفى على المتابع لما يجرى من الأحداث في واقعنا المعاصر سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي أو الفردي أو غير ذلك أن ما تعاني منه البشرية مرّد ذلك كلّ

(١) سورة فاطر، جزء من الآية برقم (٢٨).

(٢) سورة الإسراء، جزء من الآية برقم (١١٠).

(٣) جزء من حديث طويل، أخرجه الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح

البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم برقم

(٧٤٢٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١ /

١٤١٩هـ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

إلى اليأس وإحباط الأمل، فإذا فقد الإنسان أمله حمله ذلك على ترك الجهد ويحمّله على الانتحار ويحمّله على الإرهاب، ويحمّله على أن يكون إنساناً سلبياً، ويحمّله اليأس على التدين اليأس، ويحمّله على أمور كثيرة أخرى لا تحمد عقباها، فالبشرية على وجه العموم والأمة المسلمة على وجه الخصوص أحوج ما يكون إلى من يث فيه روح الرجاء والأمل، ويخرجه عن اليأس والإحباط، فالإنسان الآمل دائماً يكون نشيطاً وإيجابياً و أحسن أداء لمهامه ووظائفه، ويكون منفتحاً على الآخرين، لكن كيف يُدفع اليأس؟ لا شك أن اليأس لا يُدفع إلا بالأمل، ولكن بمن يُعقد الأمل؟ بإنسان؟ بمجتمع؟ بنظام حكومة؟ أو بأمر آخر من المخلوقات؟ لا كل ذلك لا، لأن كلاً من ذلك يخبّي الأمل، وما الفائدة من أمل خاب بعد وقت؟ فلا يجدي عقد الأمل إلا بالله سبحانه وتعالى، فإنه هو الذي لا يخبّي أمل الآملين.

والدين هو الملجأ الذي يلجأ إليه المسلم والأمة الإسلامية، وإذا دخل الفساد في فهم الدين وتطبيقه سقط هذا الملجأ الأخير أيضاً، وإنّ ما تعاني منه الأمة الإسلامية على الساحة الدينية أهمه التطرف في أمور الدين، لكن كيف ينتشر التطرف؟ نشر اليأس من رحمة الله وتغليب الخوف من عذاب الله على الرجاء من رحمة الله وعفوه هو السلاح الوحيد الذي يستخدمه دعاة التدين الجاف والتقشف والنظر إلى مرتكب أي خطأ نظرةً سخط زائد على القدر المطلوب، هذا هو مفتاح التطرف، ولا يخفي ما تجني منه الأمة من ثمرات وخيمة، فمعرفة حكم الرجاء من الله تعالى والتركيز عليه ونشره ينبغي أن يكون أهم عنصر في استراتيجية مكافحة التطرف والتشدد.

وقفنا الله تعالى جميعاً لعمل ما فيه النهوضُ بهم هذه الأمة وصلاحها وفلاحها في

الدنيا والعقبى.

سبب اختياري للموضوع

وقد دفعتني إلى كتابة هذا الموضوع "الرجاء في ضوء القرآن الكريم والأحاديث النبوية" رغبات علمية عديدة، منها:

أولاً : منزلة الرجاء في الشريعة الإسلامية، وأنه أهم ما يربط العبد بربه سبحانه وتعالى.

ثانياً : أهمية الرجاء في حل ما تواجهه الأمة المسلمة في هذا العصر من مشاكل ومسائل معقدة في مختلف مجالات الحياة - كما أشرنا إليه آنفاً - .

ثالثاً : ما حظي به مبحث الرجاء والفرق بين محموده ومذمومه من اعتناء واهتمام لدى علماء المسلمين عبر القرون، فمست الحاجة إلى تهذيب هذه المباحث وعرضه بطريقة مرتبة حديثة، حتى يمكن الاستفادة الكاملة منها.

رابعاً : حث بعض العلماء الكبار للبحث في هذا الموضوع والكتابة فيه وتشجيعهم على ذلك.

منهج البحث

استطيع أن أحدّد أهم ملامح أسلوب العمل الذي اخترته في الرسالة كالنقاط الآتية:
أولاً : بدأت في كل عنوان بالقرآن الكريم، وثبتت بالحديث النبوي الشريف، وثلثت
 بأقوال السلف من الصحابة الأخيار والتابعين الأبرار، ثم ذكرت أقوال العلماء في
 الموضوع.

ثانياً : حاولت في كل مبحث أن أذكر أقوال العلماء قبل أن أدلي برأيي، وإن لم أجد
 في عنوان شيئاً منها بدأت فيه برأيي المتواضع مباشرة.

ثالثاً : قمت بتشكيل الآيات في جميع البحث، أما الأحاديث والآثار وأقوال السلف
 والعلماء فشكلت منها ما كان عرضة للخطأ أو الالتباس.

رابعاً : لم أذكر أسانيد الأحاديث كاملة، وإنما اكتفيت بذكر اسم الصحابي للأحاديث
 الشريفة أو الراوي للآثار الطيبة فقط كما هو معروف في مثل هذه البحوث على طريقة
 غير المحدثين، إلا أن يكون هناك حاجة شديدة لذكر الإسناد بكامله.

خامساً : عزوت الآيات إلى سورها وذكر أرقامها مع رعاية الرسم العثماني. سادساً :
 أخرجت الأحاديث من الصحاح والسنن وغيرها من المصادر الأصلية والمراجع الأصلية.

سابعاً : رقمت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة في كل عنوان مستقلاً سواء أكانت
 قد مرت قبل في عنوان آخر أم لا، وذلك لأنني استفدت منها أشياء كثيرة لا شينا
 واحداً.

ثامناً : أخذت بعض المعلومات من الرسائل العلمية وعزوتها إلى أصل مرجعها في
 الحواشي وفي الفهرس النهائي وفاء بالأمانة العلمية.

تاسعاً : ذكرت ملخص المصادر والمراجع في الهوامش إلا أول مرة في الرسالة، أما بقية
 بيانات المصادر والمراجع مثل سن الطباعة، موقع النشر وغير ذلك فذكرت كلها في
 الفهارس النهائية أي في آخر الرسالة.

خطة البحث

ولقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة

المقدمة: وهي تحتوي ما يلي:

الأول: أهمية الموضوع

الثاني: سبب اختياري للموضوع

الثالث: منهجي في البحث

الرابع: خطة البحث

التمهيد: وفيه أمران:

الأول: مدخل موجز لدراسة الرجاء

الثاني: سبب أخذي للرجاء في البحث إيصالاً دون الخوف

الباب الأول في بيان الرجاء، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: حقيقة الرجاء في اللغة والعرف والشرع

الفصل الثاني: اشتراط الأسباب والعمل الصالح للرجاء

الفصل الثالث: بيان فضل الرجاء

الفصل الرابع: ثمرة الرجاء في الدنيا وفي الآخرة

الباب الثاني في ما يتعلق بالرجاء، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: الرجاء المحمود والرجاء المذموم

الفصل الثاني: طرق تحصيل الرجاء

الفصل الثالث: أهم أسباب الرجاء

الفصل الرابع: مواقع الرجاء ومظانه

الفصل الخامس: الجوانب المختلفة من الرجاء

الباب الثالث في علاقة الرجاء مع الخوف، وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: حقيقة الخوف في اللغة والعرف والشرع

الفصل الثاني: أسس عامة للجمع بين الرجاء والخوف

الفصل الثالث: الجمع بين الرجاء والخوف في القرآن الكريم

الفصل الرابع: الجمع بين الرجاء والخوف في الأحاديث النبوية

الفصل الخامس: الجمع بين الرجاء والخوف في أقوال السلف والعلماء

الفصل السادس: أيهما أفضل؟ الرجاء أو الخوف؟ وخاصة ما هو الأولى عند

الموت؟

الخاتمة: وفيها بيان أهم نتائج الدراسة والبحث.

الفهارس: وهي تشتمل ما يأتي:

الأول: فهرس الآيات القرآنية مرتبة على السور القرآنية

الثاني: فهرس الأحاديث النبوية مرتبة على الحروف الهجائية

الثالث: فهرس الآثار المروية مرتبة على الحروف الهجائية

الرابع: فهرس المصادر والمراجع مرتبة على الحروف الهجائية

الخامس: الفهرس العام

والله هو الموفق والمعين، وهو أعلم لأنه هو العليم.

التَّمَنِّي

الرجاء هو ترقب خير وأمل الحصول عليه، واستشراق أطفاف الله تعالى وآلانه، والامتلاء بالأمل لأجل المستقبل والعيش به لنيل المأمول.

وقد عرفه العلماء بـ"تعلق القلب بمحجوب سيحصل في المستقبل"^(١)، وعلى هذا فالرجاء انتظار قبول الحسنات والأمل في غفران المعصيات بالتوبة.

والرجاء الذي يستند إلى أساس تحمّل الشخص تبعات ما اقترفه من سيئات وإرجاع الحسنات إلى محض الرحمة الإلهية، هذا الرجاء يحول بين السالك وبين الوقوع في شبك قسم من الأخطاء والسيئات وما لا يليق من الأمور، كما يحجبه عن الاغترار بالحسنات والخيرات.

لذا فهو سياحة دائمة في أفق "السير إلى الله" هرباً من الشرور واحتماءً بالخيرات، بجناحي الاستغفار والدعاء، وتثبيت مستمر بمطرفة باب الحق تعالى بلسان الإنابة والتضرع في إقليم "السير مع الله"، فإذا ما وفق السالك إلى إقامة مثل هذا التوازن، فلا إياس ولا انقطاع في الخوف، كما لا رخاوة ولا شطحات في الرجاء.

نعم! إن انتظار العناية من الله تعالى، هروباً من الآثام، والسعي المتواصل في طريق الحسنات والخيرات كالمسابق فيها، ثم التوجه إلى ذلك الباب السامي، وترقب عظيم رحمته تعالى، هو رجاء صادق، وهو أفق أمل الصادقين، وبخلافه فإن توقع الثواب والمغفرة من دون عمل، أو التخبط طوال العمر في وديان الضلالة ثم التحدث عن "بجوحة اللجنة"، كمن يجبر الله سبحانه وتعالى - حاش الله - على أمور وفق الآمال، هو رجاء كاذب واستخفاف برحمة الرحمن الرحيم.

هذا والرجاء ليس تمنياً، إذ التمني هو تصور غير مقطوع فيه، بل توقع خائب لا أمل فيه، بينما الرجاء هو بذل الجهد، لدى جميع أبواب الالتجاء بالانتفاع من جميع الوسائل

(١) الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري، الصفحة رقم (٢٢٢)، ط

التي يمكن أن توصل إلى المطلوب، ببصيرة وشعور منور بنور النبوة لاستمطار الرحمة الإلهية .

والرجاء بتعبير آخر هو ترقبٌ لقسم من توجهات سبحانية أحدية الطابع، إيماناً بشمولية الرحمة والمغفرة وإحاطتهما بكل شيء كما هي في الصفات الجليلة: العلم والقدرة والإرادة.

وأعتقد أن القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ^(١)) يذكرنا بهذه الحقيقة، إذ خلافها ذنب لا يغتفر، مما يعني من عدم الاهتمام بهذه الرحمة الواسعة التي تنتظرها حتى الشياطين، وفقدان الشعور بالرجاء، يعني إنكار تلك الرحمة ضمناً، والوقوع في اليأس.

يخلق "محمد لطفي أفندي" قلباً حول جود الكريم الودود سبحانه، بحثاً عن طرق الالتجاء إليه تعالى فيقول:

جد بكرمك يا سيدي الكريم ولا تحجبه عن المحرومين

فهل يليق بمن هو واسع الجود والكرم حجبه عن المفتقرين؟

فهؤلاء الذين نالوا مثل هذه الحظوة بملاطفة الرب الكريم الخاصة، قد غنموا كنزاً لا ينفد أبداً.

والرجاء يصبح برقاً ويغدو براقاً للإنسان...، فيضيء طُرُقَه وينور سُبُلَه، ويوصله إلى ما لا يوصل إليه قطعاً بجهد البشر وطاقته، وخاصة في أثناء معاناة وجدانه انكساراً وقلقاً لفقده لما يملك، أو نزول نازلة به، أو لا يوفق إلى خير، أو عجزه عن النجاة من شر...، أي في أثناء سقوط جميع الأسباب وانعطاف جميع الطرق إلى "مسبب الأسباب".

وإليك هنا هذه الأبيات ذات المغزى العميق للإمام الشافعي رحمه الله تعالى الذي عبّر عن الرجاء في أيامه الأخيرة التي قضها في غزاة:

ولما قسا قلبي وضافت مذاهبي

جعلتُ الرُّجاءَ لِعَفْوِكَ سُلماً

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية برقم (١٥٦).

تَعَاظَمَنِي ذَنبِي فَلَمَّا قَرَأْتُهُ

بعفوك ربّي كان عفوك أعظما^(١)

وإن استنشاق "الخوف" من الله باستمرار فيما يجتنب الإنسان الذنوب والمعاصي ويوجهه إليه تعالى ويقربه منه، مع الاستمسك بـ"الرجاء" لدى الوقوع في حفر اليأس وظهور أمارات الموت، يعدّ مقياساً لحالة التوازن بين الخوف والرجاء... وكذا فإن تهيج عناصر الخوف تجاه الشعور بالأمان الحاصل في الروح، والاحتماء بمراتع أخبية الرجاء لدى هبوب عواصف اليأس الحزينة وجّة آخر للتوازن بين الخوف والرجاء. وعلى هذا يمكن أحيانا أن يتصاعد دخان الخوف بجنب أكمل الأعمال، كما يمكن أن يبرز الرجاء يمين عمل يسير ويساره.

أسجل هنا تضرع يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى على هذه الرؤية:

قال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى: "يكاد رجائي لك مع الذنوب، يغلبُ رجائي لك مع الأعمال، لأني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص، وكيف أصفّيتها وأحرزها؟ وأنا بالآفات معروف، وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك، وكيف لا تغفرها وأنت بالجلود موصوف^(٢)"،

(١) سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي، الصفحة رقم (١٥٠/١)، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط ورفقاؤه، ط ٤ / ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،

(٢) الرسالة القشيرية للإمام القشيري، الصفحة رقم (٢٢٤)،
و إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، ط ٤ / ١٤٢٤هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الصفحة رقم (١٥٣/٤)،
و مدارج السالكين للإمام ابن القيم الجوزية، الصفحة رقم (٣٦-٣٧/٢)، دار الكتب العلمية، ط ١ / ١٤١٤هـ، بيروت، لبنان.

وأيضاً الرجاء لدى الكثيرين بُعد آخر لحسن الظن بالله....
والحديث القدسي (أنا عند ظن عبدي بي^(١)) يعبر عن هذه الملاحظة الخاصة.
رؤي أبو سهل في المنام على هيئة حسنة جداً، وسئل: يا أستاذ بماذا نلتَ هذا؟ فقال:
"بِحسن ظني بري^(٢)".

ولهذا يصح أن أقول: لما كان الرجاء وسيلة لتجلي الرحمة الإلهية الواسعة، فلا ينبغي
على الإنسان في جميع أحواله خيراً أو شراً أن يدع هذه الوسيلة القوية.
نعم! إن عمل الإنسان وإخلاصه وتجرده وإيثاره يُعدّ أبعاداً مهمة من الحسنات، إلا
أنها من حيث علاقتها بالإنسان تظل غير ذات أهمية تذكر بجانب عظيم عفوه سبحانه،
ذلك لأن الأول يعدّ عمل الإنسان وأطواره من زاوية دائرة الأسباب الظاهرية، بينما
الثاني تقابله مباشرة الرحمة السابغة لشأن الله الجليل الخاص وملاطفته الكريمة.
والإيمان بين الخوف والرجاء، لأن الإيمان هو أساس العلاقة مع الله تعالى، والعلاقة
مع الله إنما تتم عن طريق صفاته، وصفات الله بعضها ترجع إلى رحمته سبحانه وتعالى فهو
ربٌّ وخالق ورزاق و...، وبعضها ترجع إلى غضب الله تعالى _ نعوذ بالله منه _ فهو
منتقم وجبار وقهار و....

والرجاء هو النظر هو التشبث بالقسم الأول من صفاته سبحانه وتعالى والخوف هو
النظر في القسم الثاني، وكل واحد منهما مطلوب، لكن اخترنا إيصالاً في هذا البحث
المتواضع بالرجاء فقط بأسباب، منها:

١. لأنه متعلق برحمته تعالى، ورحمته سابقة على غضبه، كما في حديث أبي هريرة

(١) جزء من حديث طويل، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله
تعالى ويحذركم الله نفسه برقم (٧٤٠٥) و باب قول الله تعالى يريدون أن يدلوا كلام الله
برقم (٧٥٠٥)،

والإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم (٢٦٧٥)،
كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٢) الرسالة التفسيرية للإمام القشيري، الصفحة رقم (٢٢٥)،
و إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (١٥٣/٤).

رضي الله تعالى عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش"^(١).

٢. والرجاء من أجل منازل السائرين، وأعلاها وأشرفها، وعليه مدار السير إلى الله.

٣. لما كان الرجاء وسيلة لتجلي الرحمة الإلهية الواسعة، فلا ينبغي على الإنسان في جميع أحواله خيراً أو شراً أن يدع هذه الوسيلة الجليلة.

٤. وكذلك الراجي هو الذي يأخذ بأسباب الطاعة طالباً من الله الرضى والقبول، بينما يترك المتمنى الأسباب والمجاهدات، ثم ينتظر من الله الأجر والثوبة، فهو الذي قال عليه الصلاة والسلام في حقه: "والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني"^(٢).

إذ كل من رجا الله تعالى وطلبه، عليه أن يشمر عن ساعد الجِدِّ والاجتهاد بصدق وإخلاص حتى ينال مطلوبه،

فلذلك أخذت إصالةً في البحث الرجاء فقط غير الخوف، والله أعلم بالصواب.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ برقم (٧٥٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله برقم (٢٣٨٣)،

وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل أيضاً في مسند أحمد بن حنبل، مسند الشاميين برقم (١٦٥٠١)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ١ / ١٤١٩هـ، بيت الأفكار الدولية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد الربيعي المعروف بابن ماجه أيضاً في سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له برقم (٤٢٥٠)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١ / ١٤٢٠هـ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

كلهم من حديث شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه،

وقال الإمام الترمذي هذا حديث حسن.

الباب

الأوّل

في بيان الرجاء

وفيه أربعة فصول وهو يشمل على الأمور التالية:

١ . حقيقة الرجاء في اللغة والعرف والشرع

٢ . اشتراط الأسباب والعمل الصالح للرجاء

٣ . بيان فضل الرجاء

٤ . ثمرة الرجاء في الدنيا وفي الآخرة

الباب

الثاني

في ما يتعلق بالرجاء

وفيه خمسة فصول وهويشتمل على الأمور التالية:

١ . الرجاء المحمود والرجاء المذموم

٢ . طرق تحصيل الرجاء

٣ . أهم أسباب الرجاء

٤ . مواقع الرجاء ومظانه

٥ . الجوانب المختلفة من الرجاء

الباب الثالث

في ملاقة الرجاء مع الخوف

وفيه ستة فصول وهويشتمل على الأمور التالية:

- ١ . حقيقة الخوف في اللغة والعرف والشرع
- ٢ . أسس عامة للجمع بين الرجاء والخوف
- ٣ . الجمع بين الرجاء والخوف في القرآن الكريم
- ٤ . الجمع بين الرجاء والخوف في الأحاديث النبوية
- ٥ . الجمع بين الرجاء والخوف في أقوال السلف والعلماء
- ٦ . أيهما أفضل الرجاء أو الخوف وخاصة ما هو الأولى عند الموت؟

الباب

الأوّل

في بيان الرجاء

وفيه أربعة فصول وهويشتمل على الأمور التالية:

- ١ . حقيقة الرجاء في اللغة والعرف والشرع
- ٢ . اشتراط الأسباب والعمل الصالح للرجاء
- ٣ . بيان فضل الرجاء
- ٤ . ثمرة الرجاء في الدنيا وفي الآخرة

الفصل الأول

في

حقيقة الرجاء في اللغة والعرف والشرع

قبل أن أبدأ في معنى الرجاء لغة وعرفاً وشرعاً أود أن أذكر حقيقة الرجاء، فأقول وبالله التوفيق:

إنّ المحققين قد بينوا حقيقة الرجاء حتى لا يغتر به الغفلة والجهلة من تصور كلمة الرجاء فقط، وإليك بعض أقوال السلف في هذا الصدد:

قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: "الغرة بالله عزوجل المقام على معصية الله عزوجل وتمي مغفرة الله عزوجل"^(١).

بل إن حقيقة الرجاء هو ما بينها العلماء الربانيون:

ويقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: "أن كل ما يلاقيك من مكروه أو محبوب فينقسم إلى موجود في الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى منتظر في الاستقبال، فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكراً وتذكراً، وإن كان خطر بقلبك موجود في الحال سمي وجداً وذوقاً وإدراكاً، وإن كان قد خطر ببالك شيء في الاستقبال وغلب على قلبك سمي انتظاراً وتوقعاً، فإن كان المنتظر مكروهاً حصل منه ألم في القلب سمي خوفاً وإشفاقاً وإن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به وإخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الارتياح رجاءً، ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وأن يكون له سبب،

(١) الرعاية لحقوق الله للإمام أبي عبد الله الحارث بن أسد الخاسمي، كتاب الغرة، الصفحة رقم (٣٧٥ و ٣٨١)، تحقيق خيرى سعيد، ط ٥ / ١٤١٩هـ، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.

فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرجاء، وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فإسم التمني أصدق على انتظاره لأنه انتظارٌ من غير سبب.

وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه، أما ما يقطع به فلا، إذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب، لأن ذلك مقطوع به، نعم! يقال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه^(١).

وعلم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض، والإيمان كالبذر فيها، والطاعات جارية مجرى تنقية الأرض والتطهير.

وأن القلب المستغرق بالدنيا كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة هو يوم الحصاد، ولا يحصد أحد إلا مازرع، ولا ينمو زرعٌ إلا من بذر الإيمان، وقل أن ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه، كما لا ينمو البذر في الأرض السبخة.

فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع، فكل من طلب أرضاً طيبة، وألقى فيها بذراً جيداً غير مُسَوَّس ولا عفن، ثم ساق إليها الماء في أوقات الحاجة، ونقى الأرض من الشوك والحشيش وما يفسد الأرض، ثم جلس منتظراً من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته، سمي انتظاره رجاءً.

فأما إن بث البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب إليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه، سمي انتظاره حمقاً وغروراً لا رجاءً.

وإن بث البذر في أرض طيبة ولكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار، سمي انتظاره تمناً لا رجاءً.

فإذن إسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهّدت جميع أسبابه الداخلة تحت إختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره، وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات، فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تهيئته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (٢/ ١٤٢-١٤٣).

إلى المغفرة، كان انتظاره لذلك رجاءً محموداً باعثاً على المواظبة على الطاعات والقيام بمقتضى الإيمان إلى الموت.

وإن قطع بذر الإيمان عن تعهده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحوناً برذائل الأخلاق، وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة، فانتظاره حمق وغرور.

وقال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾^(١)، واذم الله جل وعلا القائل: ﴿وَلَنْ رُدُّدْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾^(٢).

وإنما الرجاء يحصل بعد تأكد الأسباب، لذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣).

وأيضاً الرجاء محمود لأنه باعث على العمل، واليأس مذموم لأنه صارف عن العمل، وأما الخوف فليس بضد الرجاء بل رفيق له.

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في حقيقة الرجاء "الرجاء هو عبودية، وتعلق بالله من حيث اسمه، البر المحسن فذلك التعلق والتعبد بهذا الاسم، والمعرفة بالله هو الذي أوجب للعبد الرجاء من حيث لا يدري.

فقوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته، وغلبة رحمته على غضبه، ولولا روح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح، وهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، بل لولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات.

ولي من الأبيات:

نفس المحب تحسراً وتمزقاً

— ساد ذابت بالحجاب تحرقاً

لولا التعلق بالرجاء تقطعت

وكذلك لولا برده بحرارة الأكب

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية برقم (١٢٩).

(٢) سورة الكهف، جزء من الآية برقم (٣٦).

(٣) سورة البقرة، الآية برقم (٢١٨).

لولا الرجاء يحدو المطي لما سرت
بجملها لديارهم ترجو اللقاء
فتأمل هذا الموضوع حق التأمل يطلعك على أسرار عظيمة من أسرار العبودية والمحبة،
فكل محبة فهي مصحوبة بالخوف والرجاء، وعلى قدر تمكنها من قلب المحب يشتد خوفه
ورجاؤه، لكن خوف المحب لا يصحبه وحشة بخلاف خوف المسيء، ورجاء المحب لا
يصحبه علة، بخلاف رجاء الأجير، وبينهما كما بين حالهما^(١).
وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى "المقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير
فليحسن ظنه بالله، ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما
من أتمك على المعصية راجياً عدم المؤاخذه بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور.
وما أحسن قول قائل: من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة
الشفاء أن تعصي وترجو أن تنجو"^(٢).

فرأبي المتواضع بعد ذكر أقوال السلف في حقيقة الرجاء هي الكلمات الآتية:

- الرجاء هو انتظار ما هو محبوب في النفس البشري مع الأخذ ومراعاة ما يلزم من الأسباب والمعطيات الدالة على الرجاء.
- الرجاء يتحقق فيما يتردد فيه الفؤاد البشري وأما الأمور البت القاطع فيها فلا يسبغ فيه صحة الرجاء.
- الرجاء يتحقق في إحدى هذه الأمور وهي الرجاء في قبول الطاعة بعد القيام بها، والرجاء في المغفرة بعد التوبة والندم.
- الرجاء دوماً يصحبه الخوف كما أن الخوف مصحوب بالرجاء، وهما كأنهما لازم وملزوم.

(١) مدارج السالكين للإمام ابن القيم، الصفحة رقم (٤٤/٢-٤٣).

(٢) فتح الباري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الصفحة رقم (٣٠١/١١)،

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٢ / ١٤٠٠هـ، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر.

الرجاء لغة

نسوق أولاً نصوص علماء اللغة في معنى هذه المادة والكلمات المشتقة منها:
 ١. يقول الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله تعالى في كتابه القيم الشهير بـ
 كتاب العين:

الرجاء، ممدود، نقيض اليأس...، رجا يرجو رجاءً ورجى
 يُرجى، وارتمى يرمى يترجى ترجياً، ومن قال رجاة أن يكون
 كذا فقد أخطأ، إنما هو رجاء.

والرجاء، مقصور، ناحية كل شيء، والائنان رجوان، والجميع
 أرجاء.

والرجو، المبالاة، يقال ما أرجو أي ما أبالي، من قول الله عز
 وجل: "مالكم لا ترجون الله وقاراً"^(١) أي لا تخافون ولا تبالون،
 وقال أبو ذؤيب:

إذا لسعته التحل لم يرج لسعها

وخالفها في بيت نوب عوامل^(٢)

أي لم يكثر.

٢. قال الإمام الأزهري رحمه الله تعالى في تهذيب اللغة:

إنما يُستعمل الرجاء في موضع الخوف إذا كان معه حرف
 نفي، ومنه قول الله جل وعلا: "مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَقَاراً"^(٣)،

(١) سورة نوح، الآية برقم (١٣).

(٢) ومعنى الشعر: خالفها بالخاء المعجمة، خلفها إلى عسلها وهي غائبة قد سرعت ترعى، يروى
 خالفها بالخاء المهملة أي لازمها. والنوب: النحل، وهو جمع نالب؛ لأنها ترعى ثم تنوب إلى
 موضعها.

للتفصيل: الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله القرطبي، الصفحة رقم (٣/٥٠).

(٣) سورة نوح، الآية برقم (١٣).

المعنى: ما لكم لا تخافون الله عظمة،

ومنه قول الراجز، أنشده الفراء:

لا تَرْتَجِي حِينَ ثَلَاقِي الذَّائِدَا ... أَسْبَعَةَ لَأَقْتُ مَعَا أَوْ وَاحِدًا
قال الفراء: وقد قال بعض المفسرين في قول الله "وَتَرْجُونَ
مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ"^(١)، إن معناه تخافون.
قال الفراء: ولم نجد معنى الخوف يكون رجاءً إلا ومعه
جحد، فإذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء والخوف،
وكان الرجاء كذلك، كقول الله جل وعز: "قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا
يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ"^(٢) هذه للذين لا يخافون أيام الله.
وكذلك قوله: "مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا"^(٣).

وقال أبو ذؤيب:

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَتَهَا

وَحَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ غَوَامِلٍ^(٤)

قال: ولا يجوز رجوتك وأنت تريد خفتك، ولا خفتك وأنت

تريد رجوتك.

٣. قال الإمام ابن منظور رحمه الله تعالى في لسان العرب:

الرجاء من الأمل نقيض اليأس ممدود، رجاءه يرجوه رجوا ورجاء
ورجاوة ومرجاة ورجاة، وهمزته منقلبة عن واو، بدليل ظهورها

(١) سورة النساء، جزء من الآية برقم (١٠٤).

(٢) سورة الجاثية، جزء من الآية برقم (١٤).

(٣) سورة نوح، الآية برقم (١٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن المسمى بـتفسير القرطبي للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري

القرطبي، الصفحة رقم (٥٠/٣)، تحقيق أحمد عبد الحلیم البردوني، ط ٣ / ١٤٢٢هـ،

مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، لبنان.

في رجاءه، وفي الحديث إلا رجاء أن أكون من أهلها^(١).

٤. قال الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى: "ووجه ذلك أن الرجاء والخوف يتلازمان، قال تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٢)، وقال عز من قائل: ﴿وَأَخْرُونَ مُرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾^(٣)، ويقال أرجت الناقة، دنا نتاجها، وحقيقته جعلت لصاحبها رجاء في نفسها بقرب نتاجها^(٤)."

٥. قال الإمام المحاسبي رحمه الله تعالى: "وأما الفرق بين الرجاء والغرة، فالرجاء هو ما هاج من الطمع والأمل في الله عزوجل، فسختى نفس العاصي بالتوبة، وحال بينه وبين القنوط، وبعث العبد على طاعة الله عزوجل والتشمير والاجتهاد، رجاء ما وعد العاملين، والغرة خدعة من النفس والعدو يذكر الرجاء بالتوحيد، أو بالآباء الصالحين، أو بعمل قليل ضعيف، فتطيب نفسه تلك الخدعة حتى تمون عليه ذنوبه، لظنه أنها مغفورة، فيتمنى المغفرة فيقيم عليها ولا يتوب^(٥)."

٦. قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "وأما الفرق بين الرجاء والرغبة أن الرجاء طمع، والرغبة طلب، فهي ثمرة الرجاء، فإنه إذا رجا الشيء طلبه، والرغبة من الرجاء كالهرب من الخوف، فمن رجا شيئاً طلبه ورغب فيه، ومن خاف شيئاً هرب منه، والمقصود أن الرغبة هي الرجاء بالحقيقة، لأن الرجاء طمع يحتاج إلى تحقيق، أي طمع في مغيّب عن الرجاء مشكوك في حصوله، وإن كان متحققاً في نفسه، كرجاء العبد دخوله الجنة، فإن الجنة متحققة لا شك فيها، وإنما الشك في

(١) لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين بن منظور المصري، الصفحة رقم (١٩٠)، ط ١ /

١٤٠٧هـ، دار صادر، بيروت، لبنان.

(٢) سورة النساء، جزء من الآية برقم (١٠٤).

(٣) سورة التوبة، جزء من الآية برقم (١٠٦).

(٤) المفردات في غرائب القرآن للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني،

الصفحة رقم (١٩٠)، تحقيق محمد سيد كيلاي، ط ١ / ١٤١٦هـ، نور محمد كتب خانة

آرام باغ، كراتشي، باكستان.

(٥) الرعاية لحقوق الله للإمام المحاسبي، الصفحة رقم (١٠).

دخوله إليها، وهل يوافي ربه بعمل يمنعه منها أم لا؟، بخلاف الرغبة، فإنها طلب، وإذا قوي الطمع صار طلباً^(١)."

٧. قال الإمام أبو بكر الجزائري رحمه الله تعالى: "الرجاء هو الأمل في الخير وترقب حصوله، وانتظاره ممن يملكه ويقدر على تحقيقه لمن أمله فيه، ورجاه منه، والرغبة هي حب الخير وإرادته، والطمع في تحصيله ممن يملكه، ويقدر على إعطائه وهبته، فهي مثل الرجاء^(٢)".

٨. قال الإمام الجوهري رحمه الله تعالى: "الرجاء مصدر قولهم رجوت فلاناً أرجوه وهو مأخوذ من مادة (ر ج و) التي تدلّ على الأمل الذي ينبعث اليأس، ممدوداً، يقال رجوت فلاناً رجواً ورجاءً ورجاوةً، ويقال أتيتك إلا رجاوة الخير، وترجيته ترجيةً بمعنى رجوته، قال بشر يخاطب ابنته:

فرجي الخير وانتظري إياي إذا ما القارظ العتري آبأ،^(٣) {وافر}

٩. قال الإمام الفيروزآبادي رحمه الله تعالى: وقد ورد الرجاء في القرآن على ستة أوجه:

أولها: بمعنى الخوف، كقوله تعالى ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا^(٤)﴾، أي ما لكم لا تخافون، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا^(٥)﴾، وقوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ

(١) مدارج السالكين للإمام ابن القيم، الصفحة رقم (٣٠٧).

(٢) عقيدة المؤمن للإمام أبي بكر جابر الجزائري، الصفحة رقم (١١٦)، ط ١ / ١٤٢٧ هـ، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري، الصفحة رقم (٢٣٥/٦)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤ / ١٤٠٧ هـ، دارالعلم للملأين، بيروت، لبنان.

(٤) سورة نوح، الآية برقم (١٣).

(٥) سورة النبأ، الآية برقم (٢٧).

أَجَلَ اللَّهِ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^(١) ﴿﴾.

الثاني: بمعنى الطمع كقوله تعالى ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾^(٢)،
وقوله تعالى ﴿أَوَلَيْكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).
الثالث: بمعنى توقع الثواب كقوله تعالى ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ
تُبُورَ﴾^(٤) ﴿﴾.

الرابع: الرجاء المقصور بمعنى الطرف كقوله تعالى ﴿وَالْمَلَكُ
عَلَى أَرْجَائِهَا﴾^(٥) ﴿﴾.

الخامس: الرجاء المهموز كقوله تعالى ﴿قَالُوا أَرْجِهْ
وَأَخَاهُ﴾^(٦) ﴿﴾، أي أحبسه.

السادس: بمعنى الترك والتأخير كقوله تعالى ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ
مِنْهُنَّ﴾^(٧) ﴿﴾، أي تؤخر، وقوله تعالى ﴿وَأَخْرُوجُونَ لِمَا أَمَرَ اللَّهُ
إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٨) ﴿﴾^(٩).

وإذا تمعنا النظر في هذه المعاني وجدنا أن الثاني والثالث لا فرق بينهما، أما الرابع فهو
اسم وليس بفعل، أما الخامس فهو مهموز والكلمة التي نحن بصدد البحث عنها ناقصة،
وأما السادس فهو من المزيد فيه من باب الإفعال وكلمتنا من المجرد، فيقال: رجاه يرجوه،

(١) سورة العنكبوت، الآية برقم (٥).

(٢) سورة بني إسرائيل، جزء من الآية برقم (٥٧).

(٣) سورة البقرة، جزء من الآية برقم (٢١٨).

(٤) سورة فاطر، جزء من الآية برقم (٢٩).

(٥) سورة الحاقة، جزء من الآية برقم (١٧).

(٦) سورة الأعراف، جزء من الآية برقم (١١١).

(٧) سورة الأحزاب، جزء من الآية برقم (٥١).

(٨) سورة التوبة، الآية برقم (١٠٦).

(٩) بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب العزيز للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي،
الصفحة رقم (٥٠/٣)، تحقيق محمد علي النجار، ط ١ / ١٤٣٠هـ، المكتبة العلمية،
بيروت، لبنان.

إذن ما يتعلق بكلمتنا من هذه المعاني الستة المذكورة هو الأول وهو الخوف والمأخوذ من الثاني والثالث وهو الأمل في حصول شيء.

وقد مر في العبارات السالفة قول الفراء وغيره أن الرجاء لا يأتي بمعنى الخوف إلا ومعه نفي كما في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾^(١)، لكن يمكن أن يقال إن الرجاء له معنى واحد فقط، وهو التوقع، إلا أنه يراد في الإثبات توقع حصول أمر محمود ولذيذ، وفي النفي لا يشترط أن يكون محموداً، فمعنى "لا ترجون" لا تتوقعون، فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾^(٢) أي لا يتوقعون حساباً.

والسر في أن الرجاء في الإثبات يأتي بمعنى توقع الخير وفي النفي لتوقع الخير والشر كليهما أن الإثبات إذا ورد على أمر يراد به الخصوص و إذا ورد عليه يراد به العموم، فإذا قلنا "في الدار رجل" معناه أن في الدار رجلاً واحداً، و لا يمكن أن يراد به أن في البيت كل فرد من أفراد الرجل، لكن إذا قلنا "ليس في الدار رجل" فالمراد به نفي كل فرد من أفراد الرجل أن يكون في البيت، فهكذا معنى الرجاء التوقع، لكن إذا جاء الرجاء في سياق الإثبات يراد به التوقع الخاص، وهو توقع الخير وتوقع الأمر المحمود، وإذا ورد في النفي يراد التوقع العام سواء أكان خيراً أم شراً، وتوقع الشر هو الخوف، من هنا قالوا إن الرجاء لا يأتي بمعنى الخوف إلا في سياق النفي.

(١) سورة نوح، الآية برقم (١٣).

(٢) سورة النبأ، الآية برقم (٢٧).

الرجاء عرفاً

لقد ذكرنا المعنى اللغوي للرجاء، وله معنى عرفي أيضاً، وهو قريب من معناه الشرعي الذي سنتحدث عنه فيما بعد - إنشاء الله تعالى -، وسيوضح هذا المعنى من العبارات الآتية:

١. قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: "الرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده"^(١).

٢. قال الإمام الجرجاني رحمه الله تعالى: "تعلق القلب بمحصول محبوب في المستقبل"^(٢).

٣. قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "الرجاء هو حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب، وهو الله والدار الآخرة، ويطيب له السير"^(٣).

وقيل: "هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه"^(٤).
وقيل: "هو الثقة بجود الرب تعالى"^(٥).

٤. قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى: "الرجاء تعليق القلب بمحبوب في المستقبل"^(٦).

٥. وقال الشيخ السيد سعيد رحمه الله تعالى: "الرغبة والأمل فيما عند الله من الثواب والرحمة، مع الأخذ بالأسباب على سبيل التعبد"^(٧).

٦. وقال الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى: "الرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (١٤٢/٤).

(٢) كتاب التعريفات للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن علي شريف الجرجاني، الصفحة رقم (٨٠)، ط ١ / ١٣١٨ هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

(٣) مدارج السالكين للإمام ابن القيم، الصفحة رقم (٣٦/٢).

(٤) مدارج السالكين للإمام ابن القيم، الصفحة رقم (٣٧/٢).

(٥) المرجع السابق.

(٦) الرسالة القشيرية للإمام القشيري، الصفحة رقم (١٠٧).

(٧) العقيدة الصافية للفرقة الناجية للشيخ سيد سعيد عبد الغني، الصفحة رقم (٣٠٩)، ط ١ / ١٤١٧ هـ، إدارة المطبوعات، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

مسرة^(١) .

٧. قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى: "الرجاء ترقب الانتفاع بما تقدم له سبب ما^(٢) ."

٨. قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: "إن كل ما يلاقيك من مكروه أو محبوب ينقسم إلى موجود في الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى منتظر في الاستقبال، فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سُمي ذكراً وتذكراً، وإن كان خطر بقلبك موجود في الحال سُمي وجداً وذوقاً وإدراكاً، وإن كان قد خطر ببالك شيء في الاستقبال وغلب على قلبك سمي انتظاراً وتوقعاً، فإن كان المنتظر مكروهاً حصل منه ألم في القلب سُمي خوفاً وإشفاقاً، وإن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به واطتار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سُمي ذلك الارتياح رجاءً.

ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بدّ وأن يكون له سبب، فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق، وإن كان ذلك انتظاراً مع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرجاء، وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني أصدق على انتظاره لأنه انتظر من غير سبب، وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه، أما ما يقطع به فلا، إذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب، لأن ذلك مقطوع به نعم يقال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه^(٣) .

(١) المفردات للإمام الراغب الأصفهاني، الصفحة رقم (١٠٩).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للإمام محمد عبدالرؤوف المناوي، الصفحة رقم (١٧٤)،

تحقيق عبدالحميد صالح حمدان، ط ١ / ١٤١٠هـ، دار الحديث، القاهرة، مصر.

(٣) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (١٤٢-١٤٣).

الرجاء شرعاً

معنى الرجاء لغةً وعرفاً هو معناه في اصطلاح الشرع، غير أن متعلقه خاص، وهو الله سبحانه وتعالى.

فالرجاء في اللغة والعرف يمكن أن يكون من زيد وعمرو وبكر، لكن الرجاء في الشرع لا يكون إلا من الله سبحانه وتعالى.

نعم! له شروط وحدود سنتحدث عنها فيما بعد، - أنشاء الله تعالى -، وقد ذكر العلماء هذا المعنى الشرعي بعبارات شتى ومؤداها واحد، وهي:

١. الرجاء هو "ثقة الجود من الكريم الودود"^(١).
٢. الرجاء هو "رؤية الجلال بعين الجمال"^(٢).
٣. الرجاء هو "هو قرب القلب من ملاطفة الرب"^(٣).
٤. الرجاء هو "سرور الفؤاد بحسن المعاد"^(٤).
٥. الرجاء هو "هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى"^(٥).
٦. الرجاء هو "استبشار بوجود فضله"^(٦).
٧. الرجاء هو "ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو المحبوب"^(٧).

(١) الرسالة القشيرية للإمام القشيري، الصفحة رقم (٦٢/١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق.

٨. الرجاء هو "حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب، وهو الله والدار الآخرة، ويطيب له السير"^(١).
٩. الرجاء هو "الاستبشار بجود وفضل الربّ تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه"^(٢).

(١) مدارج السالكين للإمام ابن القيم، الصفحة رقم (٣٦/٢).

(٢) المرجع السابق.

كلمات ذات صلة

١. الرجاء والتمني:

الرجاء يكون مع وجود أكثر أسبابه، و التمني يكون إذا لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء، وقد يكون مع عدم الأسباب، كما مر في عبارة الإمام ابن القيم رحمهما الله تعالى:

"إن التمني يكون مع الكسل ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل، والأول كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذر بها ويأخذ زرعها، والثاني كحال من يشقّ أرضه ويفلحها ويبذر بها ويرجو طلوع الزرع^(١)".

٢. الرجاء والانتظار:

"الرجاء والانتظار يشتركان في أن كلا منهما يتعلق بالمستقبل، لكن يفترقان في أن الانتظار يتعلق بالمحجوب والمكروه، والرجاء لا يتعلق إلا بالمحجوب الذي تجد النفس من تصوره ارتياحا، والانتظار عام".

٣. الرجاء والطمع:

"الرجاء هو تعلق القلب بمحجوب مع الأخذ في الأسباب، و الطمع هو تعلق القلب بمحجوب ولا يشترط فيه الأخذ في الأسباب".

٤. الرجاء والأمل:

قيل هما بمعنى واحد، وقيل بالفرق بينهما، قال البجيرمي في حاشيته على الخطيب:

"فالرجاء والأمل بمعنى واحد وهو تعلق القلب بمحجوب فيه مع الأخذ في أسبابه، فإن لم يأخذ في الأسباب فطمع، وقيل الأمل

(١) مدارج السالكين للإمام ابن القيم، الصفحة رقم (٣٧/٢).

رجاء ما تحبه النفس كطول عمر وزيادة غنى، والرجاء أعم، والفرق بين الأمل والتمني أن الأمل طلب ما تقدم له سبب، والتمني طلب ما لم يتقدم له سبب، وقيل لا ينفك الإنسان عن أمل فإن فاتته ما أمله عوّل على التمني^(١).

٥. الرجاء والرغبة:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "الرجاء طمع، والرغبة طلبٌ فهي ثمرة الرجاء، فإنه إذا رجا الشيء طلبه، والرغبة من الرجاء كالهرب من الخوف، فمن رجا شيئاً طلبه ورغب فيه، ومن خاف شيئاً هرب منه، والمقصود أن الرغبة هي الرجاء بالحقيقة، لأن الرجاء طمعٌ يحتاج إلى تحقيق، أي طمعٌ في مغيب عن الرجاء مشكوك في حصوله، وإن كان متحققاً في نفسه، كرجاء العبد دخوله الجنة، فإن الجنة متحققة لا شك فيها، وإنما الشك في دخوله إليها، وهل يوافي ربه بعمل يمنعه منها أم لا؟ بخلاف الرغبة فإنها طلبٌ، وإذا قوي الطمع صار طلباً^(٢)".

(١) حاشية البجيرمي على الخطيب، الصفحة رقم (٥٦/١).

(٢) مدارج السالكين للإمام ابن القيم، الصفحة رقم (٣٠٧).

الفصل الثاني

في

اشتراط الأسباب والعمل الصالح للرجاء

إن الله تعالى نعى على الكفار وخاصة اليهود أنهم يتمنون من الله تعالى الجنة والثواب مع الإساءة في العقيدة، وذكر أن الأمايي المجردة بدون اختيار الأسباب اللازمة لا تغني عند الله شيئا، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ^(١)﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٢)﴾، وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا^(٣)﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(٤)﴾، قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في ضمن هذه الآية الأخيرة:

(١) سورة البقرة، الآية برقم (١١١ و ١١٢).

(٢) سورة البقرة، الآية برقم (٨٠ و ٨١ و ٨٢).

(٣) سورة الأعراف، جزء من الآية برقم (١٨٩).

(٤) سورة البقرة، الآية برقم (٢١٨).

"معناه أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله، وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضاً قد يرجو، ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء^(١)".

وقال تعالى في مقام آخر: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا، وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ لَقِيرًا، وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا^(٢)﴾،
وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في هذه الآية:

"قال قتادة: ذكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، فنحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نحن أولى بالله منكم نبينا خاتم النبيين، وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ﴾، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.
وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى أيضاً:

وقال مجاهد: قالت العرب: لن نبعث ولن نعذب، وقالت اليهود والنصارى: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾، وقالوا ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾.
والمعنى في هذه الآية: أن الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني، وليس كل من ادعى شيئاً حصل له بمجرد دعواه، ولا كل من قال: "إنه هو الحق" سمع قوله بمجرد ذلك، حتى يكون له من الله برهان، ولهذا قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمني، بل العبرة بطاعة الله،

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة (١٤٣/٢).

(٢) سورة النساء، الآية برقم (١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥).

واتباع ما شرعه على السنة رسله الكرام، ولهذا قال بعده: ﴿مَنْ
يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله"^(٢).
قال الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

"ومعنى قوله: من دان نفسه يقول: حاسب نفسه في الدنيا
قبل أن يحاسب يوم القيامة، ويُروى عن عمر بن الخطاب قال:
حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما
يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا،
ويُروى عن ميمون بن مهران قال: لا يكون العبد تقياً حتى
يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه".

وقال الشيخ المباركفوري رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: "الكيس أي العاقل
المتبصر في الأمور الناظر في العواقب...، والعاجز المقصر في الأمور..."^(٣).
ويقول الشيخ محمد بن الصالح بن العثيمين في شرحه على رياض الصالحين:

(١) سورة الزلزلة، الآية برقم (٧ و ٨).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله برقم
(٢٣٨٣)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، مسند الشاميين برقم (١٦٥٠١)،
وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له برقم
(٤٢٥٠)،

كلهم من حديث شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه،

وقال الإمام الترمذي هذا حديث حسن.

(٣) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي للشيخ محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، شرح الحديث
المذكور برقم (٢٣٨٣)، ط ١ / ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

"قوله الكيس معناه الرجل الذي يغتتم الفرص ويتخذ لنفسه الحيلة حتى لا تفوت عليه الأيام والليالي فيضيع، وقوله من دان نفسه أي من حاسبها ونظر ماذا فعل من المأمورات وماذا ترك من المنهيات هل قام بما أمر به وهل ترك ما نهى عنه؟ إذا ما رأى من نفسه تفريطا في الواجب استدركه إذا أمكن استدراكه وقام به أو بدله وإذا رأى من نفسه انتهاكا لمحرم أقلع عنه وندم وتاب واستغفر، وقوله عمل لما بعد الموت يعني عمل للآخرة لأن ما بعد الموت فإنه من الآخرة وهذا هو الحق والحزم أن الإنسان يعمل لما بعد الموت لأنه في هذه الدنيا مار بها مرورا والمآل هو ما بعد الموت فإذا فرط ومضت عليه الأيام وأضاعها في غير ما ينفعه في الآخرة فليس بكيس الكيس هو الذي يعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وصار لا يهتم إلا بأمور الدنيا فيتبع نفسه هواها في التفريط في الأوامر وفعل النواهي ثم يتمنى على الله الأمان، فيقول الله غفور رحيم، وسوف أتوب إلى الله في المستقبل، وسوف أصلح من حالي إذا كبرت، وما أشبهه من الأمان الكاذبة التي يملها الشيطان عليه فربما يدركها وربما لا يدركها، ففي هذا الحديث الحث على انتهاز الفرص، وعلى أن لا يضيع الإنسان من وقته فرصة إلا فيما يرضي الله عز وجل، وأن يدع الكسل والتهاون والتمنى، فإن التمني (المحظ) لا يفيد شيئا كما قال الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى (ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدفته الأعمال)".

كلمات السلف وأهل السلوك في هذا الصد

والآن نذكر هنا بعض التفاصيل عن السلف وأهل السلوك تزيد ما ذكرناه وضوحاً وتزيدنا فيه بصيرة:

١. قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى^(١): "وتكلموا في الرجاء:

فقال شاه الكرمانى: علامة الرجاء حسن الطاعة.

وقال ابن خبيق: الرجاء ثلاثة: رجل عمل حسنة، فهو يرجو قبولها، ورجل عمل سيئة ثم تاب، فهو يرجو المغفرة، والثالث الرجل الكاذب، يتمادى في الذنوب ويقول أرجو المغفرة".

٢. قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى^(٢):

"أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق، أخبرنا أحمد بن سلمان، حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، قال: قال رجل مصاب وكانت تكون منه الكلمة بعد الكلمة: الرجاء بلا عمل اجترأ على الله عز وجل".

٣. قال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى^(٣):

"حدثنا أبو الخارث سريج بن يونس، حدثنا محمد بن حميد، عن سفيان الثوري قال قال مسلم بن يسار: من رجا شيئا طلبه، ومن خاف شيئا هرب منه، ما أدري ما حسب رجاء امرئ

(١) الرسالة القشيرية للإمام القشيري، الصفحة رقم (٦٢/١).

(٢) شعب الإيمان للإمام أبي بكر أحمد بن علي البيهقي، الصفحة رقم (٧٨/٣)، تحقيق أبي هاجر

محمد زغلول، ط ١ / ١٤١٠هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

(٣) الوجل والتوثق بالعمل للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي، الصفحة رقم (٣)،

تحقيق حسن آل سلمان، ط ١ / ١٤١٨هـ، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية.

عرض له بلاء لم يصبر عليه لما يرجو، ولا أدري ما حسب خوف امرئ عرضت له شهوة لم يدعها لما يخشى".

٤. وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً^(١):

"حدثنا عبد الله، حدثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم، عن هاشم بن القاسم، عن أبي محمد الكوفي قال قال الحسن: إن قوما أشتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة، يقول: إني لحسن الظن بري، وكذب لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل".

٥. وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً^(٢):

"حدثنا عبد الله قال وحدثني أبو عبد الله محمد بن عبد الله المديني الزاهد، عن عثمان بن مطر، عن ثابت، عن مطرف أنه كان يقول: يا إخوتاه! اجتهدوا في العمل، فإن يكن الأمر كما ترجون من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات، وإن يكن الأمر شديداً كما نخاف ونحاذر لم نقل ﴿رَبُّنَا أَخْرَجَنَا نَعْمَلُ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾^(٣) نقول: قد عملنا، فلم يكن ينفعنا ذلك.

٦. وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً^(٤):

"حدثنا عبد الله، حدثني محمد بن عبد المجيد قال: سمعت سفيان قال قال رجل ل محمد بن المنكدر ولرجل آخر من قريش: الجدد، والحذر الحذر، فإن يكن الأمر على ما ترجون كان ما قدمتم فضلاً، وإن يكن الأمر على غير ذلك لم تلوموا أنفسكم".

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة فاطر، جزء من الآية برقم (٣٧).

(٤) الوجل والتوق بالعمل للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٤).

٧. وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً^(١):

"حدثنا عبد الله قال: وأخبرني عبد المنعم، عن أبيه، عن وهب بن منبه قال: قال لقمان لابنه: يا بني! ارج الله رجاء لا يجرنك على معصيته، وخف الله خوفا لا يؤيسك من رحته".

٨. وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً^(٢):

"حدثني محمد بن الحسين، حدثنا حكيم بن جعفر، حدثنا عباية بن كليب الليثي، عن رجل من أهل الكوفة قال: جلسنا إلى عون بن عبد الله في مسجد الكوفة فسمعتة يقول: إن من أغر الغرة انتظار تمام الأماني، وأنت أيها العبد مقيم على المعاصي، قال: وسمعتة يقول: لقد خاب سعي المعرضين عن الله، قال: وسمعتة يقول: ما تؤمل إلا عفوهُ وغلبه البكاء فقام".

٩. وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً^(٣):

"حدثني محمد بن الحسين، حدثنا زيد الحميري، حدثني أبو يعقوب القارئ قال: رأيت في منامي رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه، قلت: من هذا؟ قالوا: أويس القرني، قال: فاتبعته، فقلت: أوصني رحمك الله، فكلح في وجهي قلت: مسترشدا فأرشدني أرشدك الله، فأقبل علي فقال: ابتغ رحمة ربك عند محبته، واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك، ثم ولّى وتركني".

١٠. قال الشيخ أبو عثمان سعيد بن إسماعيل^(٤):

(١) المرجع السابق.

(٢) حسن الظن بالله للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي، الصفحة رقم (١٣٦)، تحقيق مخلص محمد، ط ١ / ١٤٠٨هـ، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٣) المرجع السابق.

(٤) شعب الإيمان للإمام البيهقي، الصفحة رقم (١٢/٢).

"ما بال دينك ترضى أن تدنسه

وإنّ ثوبك مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها

إنّ السفينة لا تجري على اليبس"

١١. قال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى:

"وأما من اهتمك على المعصية راجياً عدم المؤاخذة بغير

ندم ولا إقلاع فهذا في غرور، وما أحسن قول قائل: من علامة

السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصي،

وترجو أن تنجو".

١٢. ولنختتم هذه الأقوال والعبارات بكلام الإمام الغزالي

رحمه الله تعالى، وهو وإن كان طويلاً لكنه مفيد وموضح

جدا^(١):

"وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب
كالأرض، والإيمان كالبذر فيه، والطاعات جارية مجرى تقليب
الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها، والقلب
المستهتر بالدنيا المستغرق بما كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها
البذر، ويوم القيامة يوم الحصاد، ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا
ينمو زرع إلا من بذر الإيمان، وقلما ينفع إيمان مع خبث القلب
وسوء أخلاقه، كما لا ينمو بذر في أرض سبخة، فينبغي أن يقاس
رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع، فكل من طلب أرضاً
طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير عفن ولا مسوس، ثم أمده بما
يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته، ثم نقي الشوك عن
الأرض والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده، ثم جلس

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (١٤٣/٢-١٤٤).

منتظرا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته: سمي انتظاره رجاء.

وإن بث البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب إليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلا، ثم انتظر الحصاد منه: سمي انتظاره حقا وغرورا لا رجاء.

وإن بث البذر في أرض طيبة لكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا تمتنع أيضاً: سمي انتظاره تمنيا لا رجاء.

فإذن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات، فالعبد إذا بث بذر الإيمان، وسقاه بماء الطاعات، وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تعالى تثبته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة: وكان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعنا له على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت.

وإن قطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات، وترك القلب مشحونا برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حقا وغرورا.

الفصل الثالث

في

بيان فضل الرجاء

لقد وردت في فضل الرجاء نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على صاحبها الصلاة والتسليم، ونكتفي هنا في هذا الفصل بعرض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في فضل الرجاء عامة مع شرحها وعرض أقوال العلماء فيها، ونعرض في الفصل القادم لبعض الجوانب المهمة من فضل الرجاء وأهميته بشيء من التفصيل، إنشاء الله تعالى .

الرجاء في القرآن الكريم

١ . قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)،
قال الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى: أي يؤملون تعلق رحمته سبحانه بهم أو ثوابه على أفعالهم^(٢)،

وقال الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى:

أولئك المنعوتون بالتعوتِ الجليلة المذكورة {يَرْجُونَ} بما لهم من مبادئِ الفوزِ {رَحْمَةَ اللَّهِ} أي ثوابه، أثبت لهم الرجاء

(١) سورة البقرة، الآية برقم (٢١٨).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، تحت آية سورة البقرة برقم (٢١٨)، ط ٦ / ١٤١٧هـ، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان.

دون الفوز بالمرجو للإيدان بأنهم عالمون بأن العمل غير موجب للأجر، وإنما هو على طريق التفضل منه سبحانه وتعالى، لا لأن في فوزهم اشتباهاً^(١).

٢. وقال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا^(٢)﴾،

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره:

قوله: { وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ } لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكف عن المناهي، وبالرجاء ينبعث على الطاعات^(٣).

وقال الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى: وتقديم الرجاء على الخوف لما أن متعلقه

أسبق من متعلقه، ففي الحديث القدسي "سبقت رحمتي غضبي"^(٤)،

وقال رحمه الله تعالى أيضاً:

وفي الآية دليل على أن رجاء الرحمة وخوف العذاب مما لا يخل بكمال العابد، وشاع عن بعض العابدين أنه قال: لست أعبد

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي، تحت آية سورة البقرة برقم (٢١٨)، ط ١ / ١٤١٢ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٢) سورة الإسراء، الآية برقم (٥٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم المسمى بتفسير ابن كثير للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحت آية سورة الإسراء برقم (٥٧)، ط ١ / ١٤١٩ هـ، مكتبة دار السلام، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٤) جزء من حديث طويل، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم برقم (٧٤٢٢ و ٧٤٥٣ و ٧٥٥٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

الله تعالى رجاء جنته ولا خوفا من ناره، والناس بين قاذح لمن يقول ذلك ومادح، والحق التفصيل وهو أن من قاله إظهارا للاستغناء عن فضل الله تعالى ورحمته فهو مخطىء كافر، ومن قاله لاعتقاد أن الله عز وجل أهل للعبادة لذاته حتى لو لم يكن هناك جنة ولا نار لكان أهلا لأن يعبد فهو محقق عارف كما لا يخفى^(١).

٣. وقال تعالى حكاية عن سيدنا يعقوب عليه السلام خطابا لبيه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَّأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢)، قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى:

(ولا تياسوا من روح الله) يقول ولا تقنطوا من أن يروح الله عنا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه بفرج من عنده، فيرينهما، (إنه لا يياس من روح الله) يقول لا يقنط من فرجه ورحمته ويقطع رجاءه منه، (إلا القوم الكافرون) يعني القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه^(٣).

وقال الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى:

ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب فيه بقوله {يبنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تايئسوا من روح الله} لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فإن العارف لا يقنط في حال من الأحوال^(٤).

(١) روح المعاني للإمام الألوسي تحت آية سورة الإسراء برقم (٥٧).

(٢) سورة يوسف، الآية برقم (٨٧).

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحت آية سورة يوسف برقم (٨٧)، ط ١ / ١٤٢٣هـ، دار الأعلام، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للإمام أبي السعود تحت آية سورة يوسف برقم

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله تعالى:

وجملة {إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون} تعليل
لتنهي عن اليأس، فموقع "إن" التعليل، والمعنى لا تياسوا من
الظفر بيوسف صلى الله عليه وآله وسلم معتلين بطول مدة البعد
التي يبعد معها اللقاء عادة، فإن الله إذا شاء تفريج كربته هيأ لها
أسبابها، ومن كان يؤمن بأن الله واسع القدرة لا يُحيل مثل ذلك
فحقه أن يأخذ في سببه ويعتمد على الله في تيسيره، وأما القوم
الكافرون بالله فهم يقتصرون على الأمور الغالبة في العادة
وينكرون غيرها^(١).

وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى:

ثم قال {يبنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا
تائسوا من روح الله}، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إن
المؤمن من الله على خير يرجوه في البلاء ويحمده في الرخاء،
واعلم أن اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا إذا اعتقد
الإنسان أن الإله غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع
المعلومات أو ليس بكريم بل هو بخيل، وكل واحد من هذه
الثلاثة يوجب الكفر، فإذا كان اليأس لا يحصل إلا عند حصول
أحد هذه الثلاثة، وكل واحد منها كفر ثبت أن اليأس لا يحصل
إلا لمن كان كافراً، والله أعلم^(٢).

ويقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى بعد ذكر هذه الآية:

وفي أخبار يعقوب صلى الله عليه وآله وسلم أن الله تعالى

(١) التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور، تحت آية سورة يوسف برقم (٨٧)، ط ٢ / ١٤٢٧هـ، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، تونس.

(٢) تفسير الكبير المسمى بسمفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي، تحت آية سورة يوسف برقم (٨٧)، ط ٤ / ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أوحى إليه: أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف؟ لأنك قلت أخاف
أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون، لم خفت الذئب ولم ترجني؟
ولم نظرت إلى غفلة أخوته ولم تنظر إلى حظي له^(١).

٤. وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢)،
قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن
يوسف، أن ابن جريج أخبرهم قال يعلى إن سعيد بن جبير
أخبره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ناساً من أهل
الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا محمداً
صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا إن الذي تقول وتدعو إليه
لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فترل {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
وَلَا يَزْنُونَ} ^(٣)،

ونزلت {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا
مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ} ^(٤) ^(٥).

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (١١٢/٣).

(٢) سورة الزمر، الآية برقم (٥٣).

(٣) سورة الفرقان، جزء من الآية برقم (٦٨).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى يا عبادي الذين

أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا برقم (٤٤٣٦)،

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا

الحج والمهجرة برقم (١٧٤)،

كلاهما من حديث عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما.

(٥) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير تحت آية سورة الزمر برقم (٥٣).

وقال الإمام الألوسي رحمه الله تعالى:

الأول: نداؤهم بعنوان العبودية فإنها تقتضي المذلة وهي أنسب بحال العاصي إذا لم يتب واقتضاؤها للترحم ظاهر.

الثاني: الاختصاص الذي تشعر به الإضافة إلى ضميره تعالى فإن السيد من شأنه أن يرحم عبده ويشفق عليه.

الثالث: تخصيص ضرر الإسراف المشعرة به "على" بأنفسهم فكأنه قيل ضرر الذنوب عائد عليهم لا عليّ، فيكفي ذلك من غير ضرر آخر كما في المثل أحسن إلى من أساء كفى المسيء إساءته، فالعبد إذا أساء ووقف بين يدي سيده ذليلاً خائفاً عالماً بسخط سيده عليه ناظراً لإكرام غيره ممن أطاع لحقه ضرر إذ استحقاق العقاب عقاب عند ذوي الألباب.

الرابع: النهي عن القنوط مطلقاً عن الرحمة فضلاً عن المغفرة وإطلاقها.

الخامس: إضافة الرحمة إلى الاسم الجليل المحتوي على جميع معاني الأسماء على طريق الالتفات، فإن ذلك ظاهر في سعتها وهو ظاهر في شمولها التائب وغيره.

السادس: التعليل بقوله تعالى "إن الله... الخ"، فإن التعليل يحسن مع الاستبعاد وترك القنوط من الرحمة مع عدم التوبة أكثر استبعاداً من تركه مع التوبة.

السابع: وضع الاسم الجليل فيه موضع الضمير لإشعاره بأن المغفرة من مقتضيات ذاته لا لشيء آخر من توبة أو غيرها.

الثامن: تعريف الذنوب فإنه في مقام التمدح ظاهر في الاستغراق فتشمل الذنب الذي يعقبه التوبة والذي لا تعقبه.

التاسع: التأكيد بالجميع.

العاشر: التعليل بأنه "هو... الخ".

الحادي عشر: التعبير بالغفور فإنه صيغة مبالغة وهي إن كانت باعتبار الكم شملت المغفرة جميع الذنوب أو باعتبار الكيف شملت الكبائر بدون توبة.

الثاني عشر: حذف معمول "الغفور"، فإن حذف المعمول يفيد العموم.

الثالث عشر: إفادة الجملة الحصر، فإن من المعلوم أن الغفران قد يوصف به غيره تعالى فالتحصر فيه سبحانه إنما هو الكامل العظيم وهو ما يكون بلا توبة.

الرابع عشر: المبالغة في ذلك الحصر.

الخامس عشر: الوعد بالرحمة بعد المغفرة فإنه مشعر بأن العبد غير مستحق للمغفرة لولا رحمته وهو ظاهر فيما إذا لم يتب.

السادس عشر: التعبير بصيغة المبالغة فيها.

السابع عشر: إطلاقها، ومنع المعتزلة مغفرة الكبائر والعفو عنها من غير توبة وقالوا: إنما وردت في غير موضع من القرآن الكريم مقيدة بالتوبة، فإطلاقها هنا يحمل على التقييد لاتحاد الواقعة وعدم احتمال النسخ، وكون القرآن في حكم كلام واحد^(١).

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو قبيل قال سمعت أبا عبد الرحمن المري يقول سمعت ثوبان - مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ}، فقال رجل يا

(١) روح المعاني للإمام الألويسي تحت آية سورة الزمر برقم (٥٣).

رسول الله! فمن أشرك؟ فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم،
ثم قال: "ألا ومن أشرك" ثلاث مرات^(١).
ويقول الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى:

حدثني محمد بن الحسين، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثني
الأعمش، عن أبي سعيد، عن أبي الكنود، قال: مر عبد الله على
قاص يذكر النار فقال: يا مذكراً! لم تقنط الناس؟ ثم قرأ (يا
عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)^(٢).
ويقول الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير، عن منصور، عن
الشعبي، عن شتير، قال: سمعت عبد الله، يقول: إن أكبر آية في
القرآن فرجا آية في سورة الغرف: (قل يا عبادي الذين أسرفوا
على أنفسهم) فقال مسروق: صدقت^(٣).

٥. قال الله تعالى: ﴿يَبْئُتُ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ
الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾^(٤).

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى:

حدثني المثني، قال أخبرنا إسحاق، قال أخبرنا ابن المكي، قال
أخبرنا ابن المبارك، قال أخبرنا مصعب بن ثابت، قال ثنا عاصم
بن عبد الله، عن ابن أبي رباح، عن رجل من أصحاب النبي صلى
الله عليه وآله وسلم قال: "طَلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبَابِ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ بَنُو شَيْبَةَ، فَقَالَ: أَلَا أَرَأَيْكُمْ
تَضْحَكُونَ؟ ثُمَّ أَدْبَرَ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَجَرِ رَجَعَ إِلَيْنَا الْقَهْقَرَى،

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار ومن حديث ثوبان برقم (٢١٣٢٨).

(٢) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٥١).

(٣) المرجع السابق.

(٤) سورة الحجر، الآية برقم (٤٩ و ٥٠).

فقال: إِنِّي لَمَّا خَرَجْتُ جَاءَ جِبْرِئِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: لِمَ تُقْنَطُ عِبَادِي؟ نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي
أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ^(١).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقال سعيد، عن قتادة في قوله تعالى: {نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم قال: "لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام، ولو
يعلم قدر عقابه لبخع نفسه^(٢)".

٦. وقال الله تعالى: ﴿قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ، قَالَ
وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ^(٣)﴾،
قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالى ذكره: قال ضيف إبراهيم له بشرناك بحق
يقين، وعلم منا بأن الله قد وهب لك غلاما عليما، فلا تكن
من الذين يقنطون من فضل الله فيياسون منه، ولكن أبشر بما
بشرناك به واقبل البشري^(٤).

ويقول رحمه الله تعالى أيضاً:

وقوله (قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) يقول تعالى
ذكره: قال إبراهيم للضيف ومن يياس من رحمة الله إلا القوم الذين قد
أخطئوا سبيل الصواب، وتركوا قصد السبيل في تركهم رجاء الله، ولا
يخيب من رجاءه، فضلوا بذلك عن دين الله^(٥).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري تحت هاتين الآيتين.

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير تحت هاتين الآيتين.

(٣) سورة الحجر، الآية برقم (٥٥ و ٥٦).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري تحت هاتين الآيتين.

(٥) المرجع السابق.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

{قال ومن يقنط} استفهام إنكاري أي لا يقنط، {من رحمة ربه إلا الضالون} أي الكفرة المخضون طريق معرفة الله تعالى فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته سبحانه وتعالى، وهذا كقول ولده يعقوب: {إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون^(١)}، ومراده صلى الله عليه وآله وسلم نفي القنوط عن نفسه بأبلغ وجه أي ليس بي قنوط من رحمته تعالى، وإنما الذي أقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة عليّ، وفي التعرض لعنوان الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة^(٢).

٧. وقال الله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا^(٣)﴾، دلت الآية على أن الأصل عند الله الرحمة وعدم العذاب،

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:

يعني جل ثناؤه بقوله: "ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم"، ما يصنع الله أيها المنافقون بعذابكم؟ إن أنتم تُبتم إلى الله ورجعتم إلى الحق الواجب لله عليكم، فشكرتموه على ما أنعم عليكم من نعمه في أنفسكم وأهاليكم وأولادكم، بالإجابة إلى توحيدهِ والاعتصام به، وإخلاصكم أعمالكم لوجهه، وترك رياء الناس بها، وآمنتم برسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم فصدقتموه، وأقررتم بما جاءكم به من عنده فعملتم به، يقول: لا حاجة بالله أن يجعلكم في الدرك الأسفل من النار، إن أنتم أنبتم إلى طاعته، وراجعتم العمل بما أمركم به، وترك ما

(١) سورة يوسف، جزء من الآية برقم (٨٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير تحت هاتين الآيتين.

(٣) سورة النساء، الآية برقم (١٤٧).

فهاكم عنه، لأنه لا يجتلب بعدابكم إلى نفسه نفعاً، ولا يدفع عنها ضرراً، وإنما عقوبته من عاقب من خلقه، جزاءً منه له على جرائته عليه، وعلى خلافه أمره ونهيه، وكفرانه شكر نعمه عليه، فإن أنتم شكرتم له على نعمه، وأطعتموه في أمره ونهيه، فلا حاجة به إلى تعذيبكم، بل يشكر لكم ما يكون منكم من طاعة له وشكر، بمجازاتكم على ذلك بما تقصر عنه أمانكم، ولم تبلغه آمالكم^(١).

٨. قال الله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾^(٢)،

قال الإمام القرطبي رحمه الله: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسير هذه الآية: "مالكم لا تخشون الله عقاباً وترجون منه ثواباً"، وقال سعيد بن جبير رحمه الله حول هذه الآية: "مالكم لا ترجون لله ثواباً ولا تخافون له عقوبة"^(٣).

٩. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(٤)،

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرة شركاً بالله^(٥)، قال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى:

حدثني أبو بكر التميمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا إسرائيل، عن ثوير، عن أبيه، عن علي، قال: أحب آية في القرآن إلي: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)^(٦)،

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري تحت آية سورة النساء برقم (١٤٧).

(٢) سورة نوح، الآية برقم (١٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله القرطبي تحت آية سورة نوح برقم (١٣).

(٤) سورة النساء، الآية برقم (٤٨).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري تحت آية سورة نوح برقم (٤٨).

(٦) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٥٢).

وقال رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا محمد بن عمرو بن أبي مذعور، حدثنا معتمر بن سليمان، حدثني علي بن صالح، عن موسى بن عبيدة، عن أخيه، عن جابر بن عبد الله، أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا تزال المغفرة تحل بالعبد ما لم يرفع الحجاب، قيل: يا نبي الله! وما الحجاب؟ قال: الشرك به، وما من نفس تلقاه لا تشرك به شيئاً إلا حلت لها المغفرة من الله، إن شاء غفر لها، وإن شاء عذّبها، ثم قال: لا أعلم إلا أن نبي الله قرأ (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء^(١)).

(١) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٥٧).

الرجاء في السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام

لقد وردت في فضل الرجاء أحاديث كثيرة، نذكر هنا نبذة منها، وسوف يأتي ذكر البعض الآخر من هذه الروايات عند بيان الجوانب المتفرقة من الرجاء، إن شاء الله تعالى:

١. عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قبل موته بثلاث: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن"^(١).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: "قوله (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن)، وفي رواية (إلا وهو يحسن الظن بالله)، قال العلماء: هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة"^(٢).

وقوله "لا يموتن أحدكم"، أي لا يموت أحدكم في حال من الأحوال إلا في هذه الحالة، وهي حسن الظن بالله بأن يغفر له"^(٣).

وقال الإمام سراج الدين ابن الملحق رحمه الله تعالى:

^(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت برقم (٥١٢٤ و ٥١٢٥)،

وأخرجه الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني أيضاً في سننه برقم (٢٧٠٦)، تحقيق محي الدين، ط ١ / ١٤٢٠هـ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (١٤٦٦٤)،

كلهم من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنه.

^(٢) شرح النووي على صحيح مسلم للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الصفحة رقم (٣٣٢/١٧)، ط ٢ / ١٤٢٤هـ، دار المنار، القاهرة، مصر.

^(٣) كتاب الخوف والرجاء للشيخ صفوت عبد الفتاح محمود، الصفحة رقم (١٨٩-١٩٠)، ط ٢ / ١٤٢٤هـ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

هذا الحديث صحيح، رواه مسلم منفردا به كذلك وبزيادة أنه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل موته بثلاث، وفي رواية له يحسن بالله الظن، وفي ثقات أبي حاتم بن حبان بإسناده إلى (خلف) بن تميم (أنه) سأل علي بن (بكار) المصيصي عن معنى هذا الحديث، قال: أن لا (يجمعك) والفجار في دار واحدة، وهو كما قال، فيظن رحمة الله ويرجوها، ويتدبر الآيات والأحاديث الواردة في كرم الله تعالى وعفوه ورحمته، وما وعد به أهل التوحيد وما ييسره لهم من الرحمة (يوم القيامة)، كما قال تعالى في الحديث الصحيح: أنا عند ظن عبدي (بي)،

وهذا هو الصواب في معنى الحديث، وهو الذي قاله جمهور العلماء، وشذ الخطابي فذكر معه تأويلا آخر، أن معناه: أحسنوا أعمالكم حتى يحسن ظنكم بربكم، فمن أحسن عمله حسن ظنه، ومن ساء عمله ساء ظنه، وهو تأويل بعيد.

فائدة: لهذا الحديث طريق آخر من طريق أنس، ذكر فيه زيادة، حسنة في آخره في ترجمة أبي نواس الشاعر المشهور، واسمه: الحسن بن هانئ، وهو من مشاهير حديثه، ما رواه محمد بن إبراهيم بن كثير الصوفي عنه، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة^(١).

(١) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير للإمام أبي حفص ابن الملقن سراج الدين، الصفحة رقم (١٩٨/٥)، تحقيق: مصطفى أبو الغيط، ط ١ / ١٤٢٥هـ، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٢. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش:

(إن رحمتي غلبت غضبي)^(١)".

٣. عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يخرج رجلان من النار فيعرضان على الله ثم يؤمر بهما إلى النار فإلتفت أحدهما، فيقول: يا رب! ما كان هذا رجائي، قال وما كان رجاؤك؟ قال كان رجائي إذا أخرجتني منها أن لا تعيدني فيرحمه الله، فيدخله الجنة"^(٢).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى وهو الذي يبدء الخلق برقم (٢٩٥٥)،

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٤٩٣٩)،

وأخرجه الإمام الترمذي أيضاً في جامعه برقم (٣٤٦٦)،

وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه برقم (٤٢٨٥)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (٨٣٤٦)،

كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٢) أخرجه الإمام أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي في صحيح ابن حبان، باب حسن الظن بالله، ذكر البيان بأن حسن الظن بالمعبود جل وعلا قد ينفع في الآخرة لمن أراد الله به الخير برقم (٦٣١)، الصفحة رقم (١٤/٢)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ١ / ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٤. عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها، وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة"^(١).

٥. عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "قال الله يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيت بكراً مغفرة"^(٢).

٦. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه يقول مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رهط من أصحابه يضحكون فقال: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً"، فأتاه جبريل صلى الله عليه وآله وسلم فقال إن الله قال لك لم تقتطع عبادي؟ قال فرجع إليهم وقال: "سددوا وأبشروا"^(٣).

^(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب فضل المنيحة برقم (٢٤٣٨)،

وأخرجه الإمام أبو داود أيضاً في سننه، برقم (١٤٣٣)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (٦٥٣٧)،

كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه.

^(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده برقم (٣٤٦٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (٢٠٤٩٩)،

وأخرجه الإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أيضاً في سننه برقم (٢٦٦٩)، تحقيق

فواز أحمد زمرلي وخالد العلمي، ط ١ / ١٤٢٠هـ، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان.

كلاهما من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه.

^(٣) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه برقم (٣٥٩)، الصفحة رقم (٢٨٥/١).

قال الإمام البيهقي: "ففي هذا دلالة على أنه لا ينبغي أن يكون خوفه بحيث يويسه ويقنطه من رحمة الله، كما لا ينبغي أن يكون رجاؤه بحيث يأمن مكر الله، أو يجرته على معصية الله^(١)".

٦. وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "كان رجلان في بني إسرائيل متواخين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول أقصر، فوجده يوماً على ذنب فقال له أقصر، فقال خلني وربي، أبعثت عليّ رقيباً؟ قال والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد أكنت بي عالماً أو كنت على ما في يدي قادراً؟ وقال للمذنب إذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر إذهبوا به إلى النار، قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت^(٢) دنياه وآخرته^(٣)".

٧. عن جندب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدث: "أن رجلاً قال والله لا يغفر الله لفلان، وأن الله تعالى قال من ذا الذي يتألى عليّ آني لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحببت عملك^(٤)".

فقد علم بهذا الحديث أنه لا يجوز أن يُقنط أحد أحداً من رحمة الله تعالى.

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٥٨)، الصفحة رقم (٢٢/٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير في شرح هذه الكلمة، قال في النهاية: أوبقت دنياه وآخره، يقال وبق ووبق يوبق فهو وبق إذا هلك، مادة وبق، الصفحة رقم (١٤٦/٤)، تحقيق محمود محمد الطناحي و طاهر أحمد الزاوي، ط ١ / ١٣٨٣هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سنته، كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي برقم (٤٢٥٥)، وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (٧٩٤٢)،

كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى برقم (٧٤٥٣).

٨. عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسيسة عيناً ينظر ما صنعت غير أبي سفيان، فجاءوا ما في البيت أحدٌ غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم {قال لا أدري ما استثنى بعض نسائه}، قال فحدثه الحديث قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتكلم فقال: "إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا"، فجعل رجالٌ يستأذنونهم في ظهرانيهم في علو المدينة، فقال: "لا، إلا من كان ظهره حاضراً" فانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، حتى سبقوا المشركين إلى بدرٍ وجاء المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يقدمن أحد منكم إلى شيءٍ حتى أكون أنا دونه" فدنا المشركون، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض" قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري يا رسول الله! جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: "نعم"، قال بخ بخ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ما يحملك على قولك بخ بخ^(١)" قال لا، والله يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: "فإنك من أهلها"، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة، قال فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل^(٢).

(١) النووي شرح مسلم للإمام النووي لشرح الكلمة، قال الإمام النووي: بخ بخ، فيه لغتان إسكان الحاء المعجمة منوناً وهي كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير، قال الإمام النووي: قوله (لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها)، هكذا في أكثر النسخ رجاءة بالمد، ونصب التاء، وفي بعضها رجاء بلا تنوين وفي بعضها بالتنوين ممدودان بحذف التاء، ومعناه: أي والله ما فعلته لشيءٍ إلا رجاء أن أكون من أهلها، الصفحة رقم (٤٦/١٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب ثبوت اللجنة للشهيد برقم (٣٥٢٠).

٩. عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله فيلتفت أحدهم، فيقول أي ربّ إذا أخرجتني منها فلا تعدني فيها فينجيه الله منها"^(١).

١٠. قال الإمام ابن الدنيا رحمه الله تعالى:

حدثنا حمزة بن العباس، أخبرنا عبدان بن عثمان، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا رشدين بن سعد، حدثني أبو هانئ الخولاني، عن عمرو بن مالك الجنبي أن فضالة بن عبيد وعبادة بن الصامت حدثاه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا كان يوم القيامة وفرغ الله من قضاء الخلق يبقى رجلان فيؤمر بهما إلى النار فيلتفت أحدهما فيقول الجبار ردوه، فيرد فيقال له لم التفت؟ فيقول: كنت أرجو أن تدخلني الجنة قال فيؤمر به إلى الجنة فيقول: لقد أعطاني الله حتى لو أني أطعمت أهل الجنة ما نفذ ذلك مما عندي شيئا، قال فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذكره يرى السرور في وجهه^(٢).

١١. وقال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

حدثني رشدين بن سعد قال، حدثني ابن أنعم، عن أبي عثمان، أنه حدثه عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما فقال الرب: أخرجوهما فأخرجوا، فقال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما؟ قالوا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال: رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيان أنفسكما حيث كنتما من النار قال: فينطلقان فيلقي أحدهما نفسه فجعلها

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم (٢٨٣)،

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٢٨٣٥ و ١٣٥٣٠)،

كلاهما من حديث أنس رضي الله تعالى عنه.

(٢) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٥٩).

الله عليه بردا وسلاما، ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه فيقول له
 الرب: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول:
 رب! إني لأرجو أن لا تعيدني فيها بعدما أخرجتني فيقول الرب:
 لك رجاؤك فيدخلان الجنة جميعا برحمة الله^(١)

١٢. وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا الحسن بن الجنيد، حدثنا منصور بن عمار، حدثنا المهمل
 بن زياد، عن الأوزاعي، عن بلال بن سعد، قال: يؤمر
 بإخراج رجلين من النار فإذا خرجا ووقفنا قال الله لهما: كيف
 وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما؟ فيقولان: شر مقيل وأسوأ
 مصير صار إليه العباد، فيقول لهما: بما قدمت أيديكما وما أنا
 بظلام للعبيد، قال: فيأمر بصرفهما إلى النار فأما أحدهما فيعدو
 في أغلاله وسلاسله حتى يقتحمها، وأما الآخر فيتلكأ فيأمر
 بردهما فيقول للذي عدا في أغلاله وسلاسله ما حملك على ما
 صنعت وقد خبرتما؟ فيقول: إني قد خبرت من وبال المعصية ما
 لم أكن أتعرض لسخطك ثانية، قال: ويقول للذي تلكأ ما
 حملك على ما صنعت؟ فيقول: حسن ظني بك حين أخرجتني
 منها ألا تردني إليها فيرحمهما ويأمر بهما إلى الجنة^(٢).

(١) كتاب الزهد للإمام عبدالله بن المبارك شيخ الإسلام، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الصفحة

رقم (٣٤/١)، ط ١ / ١٤٢٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٦٠).

الرجاء في أقوال السلف

١. قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا الحسين بن صفوان، حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، حدثني محمد بن الحسين، حدثني زيد الحميري، قال حدثني أبو يعقوب الغازي قال: رأيت في منامي رجلاً آدم طوالاً والناس يتبعونه قلت من هذا؟ قالوا أويس القرني، قال: فاتبعته فقلت: أوصني، رحمتك الله قال: ابتغ رحمة الله عند محبته، واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءك عنه في خلال ذلك ثم ولي وتركني^(١).

٢. قال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى:

ثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أبي إسحاق، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال قال عمار بن ياسر: من أكبر الكبائر القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله عز وجل، والأمن لمكر الله^(٢).

٣. قال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا إسحاق بن إسماعيل، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن وبرة، عن أبي الطفيل، قال قال ابن مسعود: أكبر الكبائر الشرك بالله، والقنوط من رحمة الله، والأمن لمكر الله، واليأس من روح الله^(٣).

٤. قال الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى:

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي، الصفحة رقم (٦٠/٢).

(٢) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٢٣).

(٣) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٦٥).

وقيل: أعظم من الذنب اليأس من الرحمة، وأشد منه المماثلة بالتوبة، وقال أعرابي لابن عباس، من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ قال: يحاسبهم الله تعالى، قال نجونا ورب الكعبة، فقال: كيف؟ قال إن الكريم إذا قدر غفر، ورؤي الشبلي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فأنشد:

حاسبونا فدققوا ... ثم منوا فأعتقوا^(١)

٥. قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

أخبرنا أبو محمد المؤملي، حدثنا أبو عثمان البصري، حدثنا أبو أحمد الفراء، أخبرنا يعلى، حدثنا الأعمش، عن أبي سعد، عن أبي الكنود، قال مر عبد الله يعني ابن مسعود على قاص وهو يذكر، فقال: يا مذكراً لا تقنط الناس، ثم قرأ: (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً^(٢)).

٦. وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى أيضاً:

عن أبي سنان القسملي، قال وجدت في بعض الكتب: إن أحب عبادي إلي من حبيبي إلى عبادي، وأخيرهم بسعة رحمتي، وإن أبغض عبادي إلي من قنط عبادي وآيسهم من رحمتي^(٣).

٧. وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى أيضاً:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الواعظ، يقول سمعت الحسن بن علي بن سلام، يقول سمعت

(١) المرجع السابق.

(٢) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٤٣).

(٣) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٣٣).

يحيى بن معاذ يقول: إن كان صغر في جنب عطائك عملي فقد
كبر في حسن رجائك ألمي^(١).

٨. قال الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى:

حدثنا أبو يعلى وهو أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، ثنا عبد الله
بن عون، ثنا عثمان بن مطر الشيباني، عن ثابت البناني، عن
مطرف بن عبد الله بن الشخير، أنه كان يقول: يا إخواني!
اجتهدوا في العمل فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله
وعفوه، كانت لنا درجات في الجنة، وإن يكن الأمر شديدا
كما نخاف ونحاذر لم نقل: ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي
كنا نعمل، نقول: قد عملنا فلم ينفعنا^(٢).

٩. قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

حدثنا أبو معمر، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا القاسم بن
الفضل، عن لبطة بن الفرزدق، عن أبيه، قال لقيت أبا هريرة،
فقال: من أنت؟ قلت أخبرنا الفرزدق قال: إن قدميك
صغيران، كم من محصنة قذفتها؟ وإن لرسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم حوضا ما بين أيلة إلى كذا وكذا وهو قائم
بديناه فيقول إني إني، فإن استطعت أن لا تحرمه، قال فلما
قمت قال ما صنعت من شيء فلا تقنط^(٣).

١٠. قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: "وقال طائفة من العلماء إن كلمة
التوحيد سبب مقتضى لدخول الجنة والنجاة من النار، ولكن له شروط، وهي الإتيان

(١) المرجع السابق.

(٢) إقتضاء العلم والعمل للإمام أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الصفحة رقم
(١٥٨)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط ٥ / ١٤٠٥ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت،
لبنان.

(٣) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٨٧).

بالفرائض، وموانع وهي إتيان الكبائر^(١).

١١. قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

قال الحسن للفرزدق^(٢): "إِنَّ لَإِلهَ إِلاَّ اللهُ شَرْطٌ، فَإِيَّاكَ وَقَذْفَ الْمُحْصَنَةِ، وَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ هَذَا هُوَ الْعَمُودُ فَأَيْنَ الطَّنْبُ؟" يعني أَنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ عَمُودُ الْفِسْطَاطِ، وَلَكِنْ لَا يَثْبِتُ الْفِسْطَاطَ بِدُونِ أَطْنَابِهِ، وَهِيَ فَعْلُ الْوَأَجِبَاتِ وَتَرْكُ الْمُحْرَمَاتِ.
وقيل للحسن: إِنَّ نَاساً يَقُولُونَ مِنْ قَالَ: لَا إِلهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: "مَنْ قَالَ لَا إِلهَ إِلاَّ اللهُ فَأَدَّى حَقَّهَا وَفَرَضَهَا، دَخَلَ الْجَنَّةَ".

وقيل لوهب بن منبه: "أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك.
ويشبهه ما روي عن ابن عمر أنه سئل عن لا إله إلا الله: هو يضرّ معها عمل كما لا ينفع مع تركها عمل؟ فقال ابن عمر: اعمل ولا تغتر.

وقالت طائفة منهم الضحاك والزهري: كان هذا قبل الفرائض والحدود، فمن هؤلاء من أشار إلى أنها نسخت، ومنهم من قال: بل ضمّ إليها شروط زيدت عليها، وزيادة الشروط هل هي نسخ أم لا؟ فيه خلاف مشهور بين الأصوليين. وفي هذا كله نظر، فإن كثير من هذه الأحاديث متأخر بعد الفرائض^(٣).

(١) جامع العلوم والحكم للإمام أبي الفرج زين الدين عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، الصفحة رقم (١٠/٤١٥-٤١٥)، تحقيق الشيخ وهبة الزحيلي، ط ١ / ١٤١٧هـ، مكتبة دارالسلام، القاهرة، مصر.

(٢) الفرزدق: هو شاعر عصره، أبو فراس، همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي البصري، أرسل عن علي، ويروي عن أبي هريرة والحسين، وابن عمر وطائفة، توفي سنة عشر ومائة. سير أعلام النبلاء، الصفحة رقم (٤/٥٩٠)،

و شذرات الذهب في أخبار من ذهب للإمام أبي الفلاح عبدالحفي بن العماد الحنبلي ابن العماد، الصفحة رقم (١/١٤١)، ط ٢ / ١٣٩٩هـ، دار المسيرة، بيروت، لبنان.

(٣) البداية والنهاية للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، برقم (٩٢٦٥)، ط ٢ / ١٤١٦هـ، دار الحديث، القاهرة، مصر.

الفصل الرابع

في

ثمار الرجاء في الدنيا والآخرة

ثمار الرجاء في الدنيا من القرآن الكريم

للرجاء أثر كبير في صناعة الإيمان وتقويته إذ هو الحبل الموصل إلى انتظار ما هو محبوب، ألا وهو رضاء الله عزوجل عن العبد ومغفرته ودخول الجنة، والآيات والأحاديث التي وردت في آثار هذه الفضيلة خارجة عن الحصر، فما ورد في فضل الرجاء أكثر من أن يحصى، ولناخذ هنا قسما منها:

١- إن الرجاء في الدنيا سبب للمغفرة من الله سبحانه وتعالى

قال الله تعالى: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ^(١)).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وغير واحد: هم الثلاثة الذين خلفوا أي عن التوبة، وهم مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية، قعدوا عن غزوة تبوك في جملة من قعد كسلا وميلا إلى الدعة والحفظ وطيب الثمار والظلال لاشكا ونفاقا، فكانت منهم طائفة ربطوا أنفسهم بالسواري كما فعل أبو لبابة وأصحابه، وطائفة لم يفعلوا ذلك وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون، فترلت توبة أولئك قبل هؤلاء وأرجي

^(١) سورة التوبة، الآية برقم (١١٨).

هؤلاء عن التوبة حتى نزلت الآية، وهي قوله تعالى (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ^(١)).

وقوله (إما يعذبهم وإما يتوب عليهم) أي: هم تحت عفو الله، إن شاء فعل بهم هذا وإن شاء فعل بهم ذلك، ولكن رحمة تغلب غضبه (والله عليم حكيم) أي عليم بمن يستحق العقوبة ممن يستحق العقوبة ممن يستحق العفو، حكيم في أفعاله وأقواله، لا إله إلا هو، ولا رب سواه^(٢).

وكلامنا عن قوله تعالى (إما يعذبهم وإما يتوب عليهم) وليس عن (وآخرون مرجون) لأنها مؤخرون كما قال المفسرون.

فائدة: قال في "العناية": وإنما اشتد الغضب عليهم مع إخلاصهم، والجهاد فرض كفاية لما قيل إنه كان على الأنصار خاصة فرض عين، لأنهم بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ألا ترى قول راجزهم في الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

وهؤلاء من أجلهم فكان تخلفهم كبيرة.

و (إما) في الآية، إما للشك بالنسبة إلى الخاطب، أولاً إيهام بالنسبة إليه أيضاً، بمعنى أنه تعالى أجهم على المخاطبين أمرهم، والمعنى: ليكون أمرهم عندكم بين الرجاء والخوف، والمراد تفويض ذلك إلى إرادته ومشئته أوللتوزيع أي أمرهم دائر بين هذين الأمرين^(٣).

(١) سورة التوبة، الآية برقم (١١٨).

(٢) تفسير ابن كثير للإمام ابن كثير، الصفحة رقم (٤/٤٥٠).

(٣) محاسن التأويل، للإمام جمال الدين القاسمي، الصفحة (٨/٣٢٠)، تحقيق محمد فزاد عبد الباقي،

ط ١ / ١٣٩٨ هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٢- الرجاء في الدنيا يحقق الحصول على المرجو

قال الله تعالى: (يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْسَبُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَنْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ^(١)).

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: قوله تعالى على لسان نبيه يعقوب، هذا يدل على أنه تيقن حياته، إما بالرؤيا وإما بنطاق الله تعالى الذئب - كما في أول القصة -، وإما بإخبار ملك الموت إياه بأنه لم يقبض روحه، وهو أظهر.

والتحسس: طلب الشيء بالحواس، فهو تفعل من الحس، أي إذهبوا إلى هذا الذي طلب منكم أخاكم، واحتال عليكم في أخذه فاسألوا عنه وعن مذهبه أي لاتقنطوا من فرج الله، قاله ابن زيد، يريد: أن المؤمن يرجو فرج الله، والكافر يقنط في الشدة. وقرىء بضم الراء أي من رحمته التي يجيى بها العباد، وهذا إرشاد لهم إلى بعض ما أجهم في قوله (وأعلم من الله ما لا تعلمون).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى أيضاً (إنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون)، دليل على أن القنوط من الكبائر وهو اليأس^(٢).

(١) سورة يوسف، الآية برقم (٨٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله القرطبي، الصفحة رقم (١٦٥/٩).

ثمار الرجاء في الدنيا من السنة النبوية الشريفة

وأما في السنة النبوية الشريفة فأحاديث كثيرة تبين فضيلة الرجاء، منها:

١. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي^(١).
 ٢. وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن حسن الظن من حسن عبادة الله^(٢).
- وقد أخرجنا الأحاديث الباقية لأن معظمها متعلقة بالآخرة وهي الأساس، لأن المؤمن يرجو رحمة الله مغفرته في الآخرة.

٣. وقد ذكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى أن للرجاء آثار يتركها على المؤمن، فقال: ومن آثار التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتنعيم بمنجاته والتلطف في التملق له، فإن هذه الأحوال لا بد وأن تظهر على كل من يرجو ملكاً من الملوك أو شخصاً من الأشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله؟ فإن كان لا يظهريه فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والتزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال، ولما أثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل، ويدل على إثماره لهذه الأعمال حديث زيد الخيل، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "جنت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد؟ فقال: "كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحب الخير وأهله، وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأيقنت بثوابه، وإذا فاتني منه شيء حزنت عليه وحننت إليه، فقال: "هذه علامة فيمن يريد ولو أرادك

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى يريدون أن يدلوا كلام الله برقم (٦٩٥١).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله، باب استجابة الدعاء في غير قطعة برقم (٣٥٣٣)،

وأخرجه الإمام أبو داود أيضاً في سننه برقم (٤٣٤١)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (٧٦١٥)،

كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

للأخرى هياك ثم لايبالي في أي أوديتها هلكت^(١).
فقد ذكر علامة من أريد به الخير، فمن ارتجى أن يكون مراداً بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور^(٢).

٤. وقد ذكر الإمام بن القيم رحمه الله تعالى أن الرجاء من أجل المنازل وأعلامها وأشرفها، وعليه وعلى الحب والخوف مدار السير إلى الله تعالى^(٣)،

وقد مدح الله تعالى أهله وأئني عليهم فقال (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)^(٤).

وفي الحديث القدسي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يروي عن ربه عزوجل: "يا ابن آدم إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي"^(٥).

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (١٤٤/٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) مدارج السالكين للإمام ابن القيم، الصفحة رقم (٤١/٢).

(٤) سورة الأحزاب، الآية برقم (٢١).

(٥) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده برقم (٣٤٦٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (٢٠٤٩٩)،

وأخرجه الإمام الدارمي في سننه برقم (٢٦٦٩)،

كلاهما من حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه.

وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يقول الله عزوجل: أنا عند ظن عبدي، وأنا معه إذا ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم، وإن اقترب إلي شبرا اقتربت إليه ذراعاً وإن اقترب إلي ذراعاً اقتربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة^(١).

وإذا كان الرجاء فضيلة أخلاقية إسلامية مطلوبة محبوبة، فلا بد أن يكون لها حكم وفوائد وثمر،

والإمام ابن القيم رحمه الله تعالى يتوسع فيها الحديث، ومنها هذه الفوائد التالية:

- ١ - إظهار العبودية والإفتقار إلى الله، والحاجة إلى ما يرجوه من ربه، ويتطلع إليه من إحسانه، وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين.
- ٢ - إن الله سبحانه وتعالى يحب من عباده أن يرجوه ويسألوه من فضله، لأنه الملك الحق الجواد، أجود من سئل، وأوسع من أعطى، وأحب شئاً إلى الجواد أن يسأله السائلون ويرجوه الراجون.
- ٣ - الرجاء حاد يحدوا الراجي في مسيرته إلى ربه، ويحثه عليها، فلولاً الرجاء ماسار أحد، فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب، ويزعجه الخوف، ويحدوه الرجاء.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه برقم (٦٨٥٦)،

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه برقم (٤٨٥١)،

وأخرجه الإمام الترمذي أيضاً في جامعه برقم (٣٥٢٧)،

وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه برقم (٣٨١٢)،

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده أيضاً برقم (٧١١٥)،

كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

- ٤- إن الرجاء يضع صاحبه على عتبة الحب، ويدخله ساحته، فكلما اشتد رجاء العبد، وحصل له ما يرجوه، إزداد حبا لله تعالى، ورضى عنه وشكره.
- ٥- إن الرجاء هو الذي يبلغ بصاحبه المقام الأعلى، مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية، فإذا حصل له ما يرجوه كان أدعى لشكره.
- ٦- الرجاء يوجب لصاحبه المزيد من معرفة صفات الله وأسمائه الحسنى، فيتعلق بها، كما قال الحق جل جلاله: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(١))، وهذه الأسماء هي أعظم ما يدعو بها الداعي.
- ٧- إن الله تبارك وتعالى يريد من عبده تكميل مراتب عبوديته من الذل والإنكسار، والتوكل والاستعانة، والخوف والرجاء، والصبر والشكر، والرضى والإنابة وغيرها، فالرجاء عنصر من عناصر التكملة لهذه العبودية.
- ٨- في الرجاء انتظار وترقب وتوقع لفضل الله، وهذا يجعل القلب متعلقا على الدوام بذكر الله، موصول الإلتفات إليه، ومن كان مع الله كان الله معه، ومن كان معه سعد وفاز.
- وما أجمل قول من قال:
- | | |
|------------------------------|-------------------------|
| إذا اشتملت على اليأس واطمأنت | وضاق لمابه الصدر الرحيب |
| وأظنت المكاره واطمأنت | وأست في مكانه الخطوب |
| ولم تر لانكشاف الضروجهما | ولأغني بحيلته اللبيب |
| أناك على قنوط منك غوث | يمن به اللطيف المستجيب |
| فكل الحادثات إذ اتناهت | فموصول بماالفرج القريب |
- ٩- أن الرجاء محبوب لله تعالى، فالله عز وجل يحب من عباده أن يرجوه، ويأملوه، ويسألوه من فضله، لأنه الملك الحق الجواد، فهو أجود من سئل، وأوسع من أعطى، وأحب ما إلى الجواد أن يُرجى، ويُؤمل، ويُسأل.

(١) سورة الأعراف، الآية برقم (١٨٠).

- ١٠- التخلص من غضب الله، فمن لم يسأل الله يغضب الله عليه، والسائل راجٍ، وطالب.
- ١١- أن الرجاء حادٍ يحدو بالعبد في سيره إلى الله، ويطيّب له المسير، ويحثه عليه، ويبعثه على ملازمته، فلولا الرجاء لما سار أحد، فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب، ويزعجه الخوف، ويحدوه الرجاء.
- ١٢- أن الرجاء يطرحه على عتبة المحبة، فإنه كلما اشتدّ رجاؤه، وحصل له ما يرجوه ازداد حباً لله تعالى وشكراً له، ورضاً به، وعنه.
- ١٣- أنه يوجب له المزيد من معرفة الله، وأسمائه، ومعانيها، والتعلق بها، فإن الراجي متعلق بأسمائه الحسنى، متعبّد، وداعٍ بها.
- ١٤- أن المحبة لا تنفك عن الرجاء، فكل واحد منهما يمد الآخر، ويقويه.
- ١٥- أن الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف، فكل راجٍ خائفٌ، وكل خائفٌ راجٍ.
- ١٦- أن العبد إذا تعلق قلبه برجاء ربّه، فأعطاه ما رجاه كان ذلك أطفً موقعاً، وأحلى عند العبد، وأبلغ من حصول ما لم يرْجُه.
- ١٧- أن في الرجاء من الانتظار، والترقب، والتوقع لفضل الله تعالى ما يوجب تعلق القلب بذكره، ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه، وصفاته، وتنقّل القلب في رياضها الأنيقة، وأخذه بنصيبه من كل اسم، وصفة^(١).

(١) مدارج السالكين للإمام ابن القيم، الصفحة رقم (٣٦/٢-٥٥).

ثمار الرجاء في الآخرة من القرآن الكريم

من أهم ما يشغل المؤمن ويهمه في حياته هو إعداده ليوم القيامة، لأن ما أعده الله تعالى للناس في ذلك اليوم يجعل القلب خائفاً وجلالاً، إلى جانب هذا ذكر سبحانه وتعالى أن رحمته أوسع، وأن عاقبة الأمر للمتقين، كما قال الله تعالى (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ^(١)).

وكان مما دعا إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو حسن الظن بالله عز وجل فقال: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل^(٢).

وفضيلة هذه العبادة تظهر ما ورد فيها في محكم التنزيل من آيات ترغب في الرغبة والطمع في رحمته سبحانه وتعالى، فذكر قسماً من عباده الطائعين المؤمنين، لما أمر بان لهم منه فضلاً وأجرًا كبيراً.

١ - قال الله تعالى (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى^(٣)).

قوله: (ولله) ملك (ما في السموات ما في الأرض) من شئ، وهو يضل من يشاء وهو أعلم بهم، (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا) يقول ليجزي الذين عصوه من خلقه، فأساءوا بمعصيتهم إياه، فيشبههم بما النار^(٤).

وقوله: (ولله ما في السموات والأرض) أي وعاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم حسن

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية برقم (١٢٨).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت برقم (٥١٢٤)،

وأخرجه الإمام أبوداود أيضاً في سننه برقم (٢٧٠٦)،

وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه برقم (٤١٥٧)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (١٣٦١١)،

كلهم من حديث جابر رضي الله تعالى عنه.

(٣) سورة النجم، الآية برقم (٣١).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري، الصفحة رقم (٦٤/٢٧).

ومحسن، فللمسئىء السوءى وهى جهنم، وللمحسن الحسنى وهى الجنة^(١).

٢- وقال الله تعالى: (مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)^(٢).

قوله: فى الجنة من رؤيته، والفوز بكرامته (فإن أجل الله) وهو الموت، (لآت) أى فليبادر ما يصدق جاءه، ويحقق أمله من الثبات والتواصى بالحق والصبر والرغبة فيما عنده تعالى. أو المعنى: من كان يرجو لقاء الله، من كل صدق فى إيمانه، وأخلص فى يقينه، فاعلم أن أجل الله لآت، وهو الوقت الذى جعله أجلاً وغاية لظهور النصر والفتح وعلو الحق وزهوق الباطل، أى فلا يستطيعه، فإنه آت بوعده الله الحق وقوله الصدق، من كان يرجو الله يوم لقائه ويطمع فى ثوابه، فإن أجل الله الذى أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآت قريب^(٣).

٣- وقال الله تعالى: (ورحمتى وسعت كل شىء)^(٤).

قوله: (ورحمتى وسعت كل شىء) يقول: ورحمتى عمت خلقي كلهم، والمراد به ورحمتى وسعت المؤمنين بي من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، واستشهد بالذى بعد من الكلام، وهو قوله: (فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)^(٥).

قال أبو بكر الهذلي: فلما نزلت (ورحمتى وسعت كل شىء) قال إبليس أنا من الشىء، فزعها الله من إبليس، قال: (وَإَكْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)^(٦).

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام أبى عبدالله القرطبي، الصفحة رقم (٦٩/١٧).

(٢) سورة العنكبوت، الآية برقم (٥).

(٣) محاسن التأويل للإمام جمال الدين القاسمي، الصفحة رقم (١٣٧/١٣).

(٤) سورة الأعراف، جزء من الآية برقم (١٥٦).

(٥) جامع البيان فى تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري، الصفحة رقم (١٣٠/٢٠).

(٦) سورة الأعراف، الآية برقم (١٥٦).

فقال اليهود نحن نتقي ونؤتي الزكاة، ونؤمن بآيات ربنا، فترعها الله من اليهود، فقال (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي)، قال: فترعها الله من إبليس ومن اليهود، وجعلها لهذه الأمة^(١).

ورجاء العبد في الآخرة هو الطمع بمغفرة الله ورضوانه، ودخول الجنة والقرب من مراتب الأنبياء والصالحين، فما على المرء المسلم المؤدي للفرائض، لا حسن الظن بالله عزوجل، لأن الله تعالى قال (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ^(٢)).

فعليك يا أخي المذنب أن تتوب إلى الله تعالى توبة ناصحة مطيعة لله سبحانه وتعالى، لأن الله إذا علم من المستغفر صدقا غفر له ذنبه.

وحسبك أنه سبحانه وتعالى يفتح لك باب توبته على مصراعيه، ويرحب بعودتك إليه، مهما كنت عاصيا، مادمت لا تشرك به سبحانه وتعالى شيئا،

واعلم أن الله سبحانه وتعالى إن عدت إليه واصطلحت معه سيغفر لك جميع ذنوبك وأخطائك، بل سجعلك لك مكافئا حسنا، كما أشار إلى هذا سبحانه وتعالى (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا^(٣)).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري، الصفحة رقم (٧٩/١٩).

(٢) سورة الرحمن، الآية برقم (٦٠).

(٣) سورة الفرقان، الآية برقم (٧٠).

ثمار الرجاء في الآخرة من السنة النبوية الشريفة

وقد وردت في السنة المطهرة أحاديث كثيرة، تبين فضيلة الرجاء في الآخرة،
منها:

- ١- أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعامله من الأرض حتى يلقي الله وليس عليه شاهد بذنب^(١).
- ٢- عن عبادة بن الصامت وفضالة بن عبيد رضي الله تعالى عنهما معا أن رسول الله قال: إذا كان يوم القيامة وفرغ الله تعالى من قضاء الخلق، فيبقى رجلان فيؤمر بهما إلى النار، فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تعالى ردوه، فيردوه فيقول له لم ألفت؟ فيقول كنت أرجوا أن تدخلني الجنة فيؤمر به إلى الجنة، فيقول له لقد أعطاني الله عزوجل حتى لو أطمعت أهل الجنة مانقص ما عندي شيئا^(٢).
- ٣- وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار^(٣).
- ٤- وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أن عبدا أذنب فقال أي رب، أذنبت ذنبا فاغفرلي، فيقول الله عزوجل للملائكة: أنظروا إلى عبدي أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له

(١) من وصايا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، للشيخ عبد الله العفيفي، الصفحة رقم (٥٦٨/١)، ط ١ / ١٤٠١هـ، دار التراث العربي، القاهرة، مصر.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، مسند فضالة بن عبيد الأنصاري برقم (٢٢٨٣٩).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأهلها مخلوقة برقم (٣٠٢١).

- ربا يغفر الذنوب، ويأخذ بالذنب أشهدكم أني قد غفرت له^(١).
- ٥- وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: إني اختبأت شفاعتي لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً^(٢)،
- ٦- وفي حديث: لكل نبي دعوة يدعو بها فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة^(٣).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة برقم (٤٩٥٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي دعوة الشفاعتي لأمتي، برقم (٢٩٦).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي دعوة الشفاعتي لأمتي برقم (٢٩٧).

الآثار المترتبة على العبد لعدم رجائه في الدنيا والآخرة

وهناك آثار كثيرة تترتب على العبد لعدم رجائه في الدنيا وفي الآخرة، منها:

- ١- إن عدم الرجاء يسبب عدم الاعتبار، قال الله تعالى:
(وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا أَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَذَكَّرُونَ^(١)).
- ٢- إن عدم الرجاء يسبب القنوط من رحمة الله، قال الله تعالى:
(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَلْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ^(٢)).
- ٣- إن عدم الرجاء يسبب الغفلة عن الله، قال الله تعالى:
(إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَٰئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^(٣)).

قوله: (الرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع أي لا يخافون عقابا ولا يرجون ثوابا، وجعل لقاء الله تفخيما لهما، وقيل "يجري اللقاء على ظاهره، وهو الرؤية، أي لا يطمعون في (رؤيتنا)، و(غفلون) أي لا يعتبرون ولا يفكرون^(٤)).

وقوله: أي (فلا يتوقعون الجزاء) و(غفلون) أي لا يفكرون فيها^(٥).

- ٤- إن عدم الرجاء يسبب الطغيان، قال الله تعالى:
(وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَيْ إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ فَتَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ^(٦)).

(١) سورة الفرقان، الآية برقم (٤٠).

(٢) سورة الزمر، الآية برقم (٥٣).

(٣) سورة يونس، الآية برقم (٧ و ٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن أبي عبد الله للإمام القرطبي، الصفحة رقم (١٩٩/٨).

(٥) محاسن التأويل للإمام جمال الدين القاسمي، الصفحة رقم (١٠/٩).

(٦) سورة يونس، الآية برقم (١١).

قوله: (في طغيانهم يعمهون) أي في ضلالهم وشركهم يترددون^(١).

٥- إن عدم الرجاء يؤدي إلى الجهل بقيمة القرآن، قال الله تعالى:

(وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلْتَهُ فُلٌ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدَلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنَّ آتِيبُعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)^(٢).

قوله: يخبر تعالى عن تعنت الكفار من مشركي قريش، بأنهم إذا قرأ عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتاب الله وحججه الواضحة، قالوا له: إئت بقرآن غير هذا أي جنتنا بغيره من نمط آخر أو بدله وضع آخر، وما ذاك إلا لأنهم ليس عندهم خوف من الله تعالى ورجاء به^(٣).

٦- إن الرجاء يدفع إلى التكبر والجهل بتمام الكراهية، قال الله تعالى:

(وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا)^(٤).

قوله: يقول تعالى مخبراً عن تعنت الكفار في كفرهم، وعنادهم في قولهم (لولا أنزل علينا الملائكة) أي بالرسالة، كما تنزل على الأنبياء، وهذا من تكبرهم وكراهيتهم وعدم رجائهم لثواب الجزاء عند الله على إيمانهم بالرسالة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(٥).

٧- إن عدم الرجاء سبب من أسباب دخول النار، قال الله تعالى:

(إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا)^(٦).

(١) محاسن التأويل للإمام جمال الدين القاسمي، الصفحة رقم (١٢/٩).

(٢) سورة يونس، الآية برقم (١٥).

(٣) محاسن التأويل للإمام جمال الدين القاسمي، الصفحة رقم (١٤/٩).

(٤) سورة الفرقان، الآية برقم (٢١). تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، الصفحة رقم

(١٤٢/٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، الصفحة رقم (١٤٢/٥).

(٦) سورة النبأ، الآية برقم (٢٧).

قوله: قال القاشاني أي ذلك العذاب، لأنهم كانوا موصوفين بهذه الرذائل من عدم توقع المكافآت والتكذيب بالآيات، أي لفساد العمل والعلم، فلم يعملوا صالحا رجاء الجزاء، ولم يعلموا علما فيصدقوا بالآيات^(١).

(١) محاسن التأويل للإمام جمال الدين القاسمي وجامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير رحمهم الله تعالى، الصفحة رقم (٣٢/١٧) و (١٥/٣٠) و (٢٠٠/٧).

فوائد أخرى مهمة للرجاء

وللرجاء فوائد أخرى تفيد العبد في دنياه وفي آخرته، منها:

١- إن الرجاء يدفع للعبادة، قال الله تعالى:

(أَمْ مَنْ هُوَ قَائِتٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ^(١)).

إن في الآية (استجاب قيام الليل)، وفي قوله تعالى (يحذر الآخرة) رد على من ذم العبادة خوفا من النار أورجاء الجنة^(٢).

٢- إن الرجاء يدفع للهجرة والجهاد، قال الله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(٣)).

أي جنته على إيمانهم وهجرتهم وجهادهم، وإنما ثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للإيذان بأنهم عالمون بأن العمل غير موجب للأجر، وإنما هو على طريق التفضل منه سبحانه، لا لأن في فوزهم اشتباها، (والله غفور) لعتكهم حرمة الشهر، (رحيم) بما تجاوز عن قتالهم مع قيام دليل الحرمة فلم يعاقبهم^(٤).

٣- إن الرجاء يدفع للعمل، قال الله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً

(١) سورة الزمر، الآية برقم (٩).

(٢) محاسن التأويل للإمام القاسمي، الصفحة رقم (١٩٨/١٤)،

والجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله القرطبي الآية برقم (١٥٦/١٥).

(٣) سورة البقرة، الآية برقم (٢١٨).

(٤) محاسن التأويل للإمام القاسمي، الصفحة رقم (٢٠٩/٣)،

وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، الصفحة رقم (٤٤٧/١)،

وجامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري، الصفحة رقم (٣٥٥/٢).

يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ، لِيُوقِفَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ^(١).
 قوله (يرجون تجرة لن تبور) أي اجرا وفضلا لايفني، والتجارة استعارة لتحصيل
 الثواب بالطاعة، والبوار بمعنى الكساد والهلاك ترشيح للإستعارة^(٢)،
 قوله: ويرجون ثوبا من عند الله لا بد من حصوله^(٣).

٤ - إن الراجين لا يطلبون تقديس الناس لهم، قال الله تعالى:

(أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ
 وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا)^(٤).

قوله: (يبتغون) يطلبون من الله الزلفة القربة ويتضرعون إلى الله تعالى في طلب الجنة،
 وهي الوسيلة، أعلمهم الله تعالى أن المعبودين يبتغون القربة إلى ربهم، والهاء والميم في
 (ربهم) تعود على العابدين أو على المعبودين أو عليهم جميعا، وأما (يدعون) فعلى العابدين،
 و(يبتغون) على المعبودين^(٥).

(١) سورة فاطر، الآية برقم (٢٩ و ٣٠).

(٢) محاسن التأويل للإمام جمال الدين القاسمي، الصفحة رقم (٥٢/١٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، الصفحة رقم (٥٨١/٥).

(٤) سورة الإسراء، الآية برقم (٥٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله القرطبي تحت آية سورة الإسراء برقم (٥٧).

الباب

الثاني

في ما يتعلق بالرجاء

وفيه خمسة فصول وهو يشمل على الأمور التالية:

- ١ . الرجاء المذموم والرجاء المذموم
- ٢ . طرق تحصيل الرجاء
- ٣ . أهم أسباب الرجاء
- ٤ . مواقع الرجاء ومظانه
- ٥ . الجوانب المختلفة من الرجاء

الفصل الأول

في

الرجاء المحمود و الرجاء المذموم

الرجاء المحمود وأقسامه

مفهوم الرجاء المحمود:

الرجاء المحمود هو وجود اللذة عند تعلق القلب بما هو مراد لديه، وإحضار وجوده بالبال وهو أيضاً عبارة عن ارتياح القلب عند انتظار ما هو محبوب لديه، ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وأن يقوم المنتظر قبل الحصول على مراده بالقيام على أكثر أسبابه^(١)،

وهناك ستة أقسام للرجاء المحمود:

القسم الأول رجاء العامل المحسن:

رجاء رجلٍ عمل بطاعة الله تعالى على طريقة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهو يرجو من الله تعالى القبول فهو يرجوا أن يؤجر وأن يثاب على عمله وطاعته من الله تعالى ويطمع في كرمه وعطائه،

(١) الخوف والرجاء في ضوء السنة النبوية، للأستاذ محمد أكبر زاهد، الصفحة رقم (١٨٢)، رسالته الماجستير غير مطبوع بالجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)،

قال الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:

"قوله تعالى: (أُولَئِكَ) المنعوتون بالنعوت الجليلة (يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ)، أي: يؤملون تعلق رحمة سبحانه بهم أو ثوابه على أعمالهم، ومنها تلك الغزاة في الشهر الحرام، (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ): تذييل لما تقدم وتأكيداً له، ولم يذكر المغفرة فيما تقدم لأن رجاء الرحمة يدل عليها، وقدم وصف المغفرة لأن درأ المفاصد مقدم على جلب المصالح"^(٢).

وبين الله سبحانه وتعالى هذا المعنى أكثر وضوحاً وبياناً في موضع آخر حيث اختص سبحانه وتعالى الرجاء لمن يعمل الصالحات وينهى عن المعصيات، فقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٣)،

قال الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:

"فكانه قيلك فمن استمر علم رجاء كرامته تعالى فليعمل عملاً صالحاً في نفسه لانتقاً بذلك المرجو، كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات. قوله: (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)، إشراكاً جلياً كما فعله الذين كفروا بآيات ربه ولقائه، ولا إشراكاً خفياً كما يفعله للرياء"^(٤).

ومن أجل هذا من رجا ثواب طاعته من رب السموات والأرضين غفرله وجعله من أصفياه وأوليائه، فقد بين هذا المفهوم النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في أقواله: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً

(١) سورة البقرة، الآية برقم (٢١٨).

(٢) روح المعاني للإمام الآلوسي تحت آية سورة البقرة برقم (٢١٨).

(٣) سورة الكهف، جزء من الآية برقم (١١٠).

(٤) روح المعاني للإمام الآلوسي تحت آية سورة الكهف برقم (١١٠).

واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه^(١)."

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أربعون خصلةً أعلاهن منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلةٍ منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة"^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبدالله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة" فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: بأبي أنت وأمي يارسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة؟ فهل يدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: "نعم وأرجو أن تكون منهم"^(٣).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية برقم (١٧٦٨)،

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح برقم (١٢٦٨)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب فضل المنيحة برقم (٢٤٣٨)،

وأخرجه الإمام أبو داود أيضاً في سننه، برقم (١٤٣٣)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (٦٥٣٧)،

كلهم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين برقم (١٧٦٤)، وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر برقم (١٧٠٥)،

كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

القسم الثاني رجاء المسيء التائب:

رجاء رجلٍ أذنب ذنوباً، ولكنه تاب وندم وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير ورجع إلى الله تعالى بحيث لا يرجو إلا مغفرته وبعفه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه، ويكون على أملٍ أن تقبل توبته عند ربه ويفغر ذنبه بهذه التوبة، ويكون على أملٍ أيضاً أن يتقبله الله تعالى في زمرة الصالحين، فحينئذٍ يرجي له المغفرة وقبول التوبة،

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "قال الله تعالى يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة^(١)".

قال الشيخ المباركفوري رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: "و(ما) مصدرية ظرفية، أي: ما دمت تدعوني وترجوني يعني: في مدة دعائك ورجائك، غفرت لك على ما كان فيك، أي: من المعاصي، وإن تكررت وكثرت، و(لا أبالي) أي: والحال أنني لا أتعظم مغفرتك عليّ وإن كان ذنباً كثيراً أو كبيراً^(٢)".

عن أخشن السدوسي قال: دخلت على أنس رضي الله تعالى عنه فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "والذي نفسي بيده لو أخطأتم، حتى تملأ

(١) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده برقم (٣٤٦٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (٢٠٤٩٩)،

وأخرجه الإمام الدارمي أيضاً في سننه برقم (٢٦٦٩)،

كلاهما من حديث أبي ذر الفقاري رضي الله تعالى عنه.

(٢) تحفة الأحوذى للشيخ عبد الرحمن المباركفوري في شرح الحديث المذكور.

خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله لغفر لكم^(١)."

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه"^(٢).

وفي هذا المعنى يقول أبو نواس:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة
إن كان لا يرجوك إلا محسن
فلمد علمت بأن عفوك أعظم
فمن الذي يدعو ويرجو الجرم
وما لي إليك وسيلة إلا الرجاء
وجميل عفوك ثم إني مسلم^(٣)

وقد مدح الله سبحانه وتعالى العبد المسئ التائب باستمرار رجائه، وتدارك ما فرط منه، فما دام يكون هذا العبد المسئ التائب على هذه الحالة، (كلما أذنب استغفر)، يقول له سبحانه وتعالى: (قد غفرت لعبدي، فليعمل ماشاء) لأنه تعود على أنه كلما أذنب استغفر وتدارك خطاه في حق مولاه، فمولاه أحق بأن يتدارك توبته ورجائه، فلهذا يتوب عليه ويستغفر له في كل مرة.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن عبداً أصاب ذنباً ورّبماً قال: أذنبت ذنباً، فقال: ربّ أذنبت ورّبماً قال: أصبت فاغفر لي فقال ربه: علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنب، ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً فقال: ربّ أذنبت أو أصبت آخر فاغفره لي فقال: علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، باقي المسند السابق برقم (١٣٠٠٦).

(٢) أدب المفرد للإمام محمد بن اسماعيل البخاري، باب ليعزم الدعاء فإن الله لا مكروه له، برقم (٦٠٧)، ط ١ / ١٤١٢هـ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر.

(٣) أبو نواس: هو رئيس الشعراء، أبو علي الحسن بن هاني الحلبي، وقيل: ابن وهب، ولد بالأهواز، ونشأ بالبصرة، وسمع من حماد بن سلمة وطائفة، ولأبي نواس أخبار وأشعار رائقة في الغزل والخمور، وحظوة في أيام الرشيد والأمين، مات سنة (١٩٥هـ)، وللتفصيل سر أعلام النبلاء للإمام الذهبي، الصفحة رقم (٢٧٩/٩)، وشدرات الذهب في أخبار من ذهب للإمام ابن العماد الحنبلي، الصفحة رقم (٣٤٥/١).

أذنب ذنباً وربما قال: أصاب ذنباً قال: ربّ أصبت، أو قال: أذبت آخر فاغفره لي فقال: علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنب يأخذ به غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء^(١).

قال الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

"في هذا الحديث أنّ المصر على المعصية في مشيئة الله تعالى إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له مغلباً للحسنة التي جاء بها، وهي اعتقاده أنّ له رباً خالقاً يعذبه ويغفر له واستغفاره إياه على ذلك، يدل عليه قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(٢)، ولاسنة أعظم من التوحيد، فإن قيل إستغفاره ربّه توبة منه، قلنا: ليس الاستغفار أكثر من طلب المغفرة، وقال القرطبي: يدلّ هذا الحديث على عظيم فائدة الاستغفار وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه، وقال الإمام النووي: إنّ الذنوب ولو تكرّرت مائة مرة بل ألفاً وأكثر وتاب في كل مرّة قبلت توبته أو تاب عن الجميع توبة واحدة صحت توبته^(٣)."

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ) برقم (٦٩٥٣)،

أخرجه الإمام مسلم في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة برقم (٤٩٥٣)،

كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٢) سورة الأنعام، جزء من الآية برقم (١٦٠).

(٣) فتح الباري للإمام ابن حجر، الصفحة رقم (٤٧٩/١٣).

أي القسمين من الرجاء أكمل منهما؟

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

"واختلفوا أيّ الرجائين أكمل: رجاء المحسن ثواب إحسانه، أم رجاء المسيئ التائب مغفرة ربّه وعفوه؟، فطائفة رجحت رجاء المحسن، لقوّة أسباب الرجاء معه، وطائفة رجحت رجاء المذنب، لأنّ رجاءه مجرد عن علة رؤية العمل، مقرون بذله رؤية الذنب^(١)،

قال الإمام يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى: "يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الأعمال لأنّي أجدني أعتد في الأعمال على الإخلاص، وكيف أصفيها وأحزرها؟ وأنا بالآفات معروف، وأجدني في الذنوب أعتد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف"،

وقال الإمام يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى أيضاً: "إلهي! أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحب الساعات إليّ ساعة يكون فيها لقاءك^(٢)".

(١) مدارج السالكين للإمام ابن القيم، الصفحة رقم (٣٧/٢).

(٢) موسوعة أخلاق القرآن للشيخ أحمد الشرباصي، الصفحة رقم (٢٣٧/٢)، ط ٣ /

القسم الثالث رجاء المغفرة:

ويقصد به رجاء كل مذنب تائب طامع في قبول توبته والغفران لذنوبه، وهذا نوع مهم من أنواع الرجاء من النوع الذي يصفه بعض أطباء القلوب من أهل التصوف، بأنه يكاد يكون من أقوى الرجاء، وأنه سبق وقد ذكرنا بأن رجاء المخطئ التائب إلى ربه أقوى وأكمل حتى من رجاء المحسن الذي ينظر إلى عمله^(١).

والآن نعود إلى قول يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى وهو يقول: لا يكاد رجائي مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الأعمال، لأني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص وكيف أصفي الأعمال وأحزرها وأنا بالآفات معروف، وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف.

وقد ورد هذا النوع من الرجاء في قوله تعالى ﴿وَأَخْرُوجُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

التي نزلت في الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك، فبعد رجوع الصحابة من الغزوة أحسوا بالتقصير، وأنهم خالفوا أمر الله ورسوله فتابوا إلى الله تعالى، رجاء منهم بأن يتوب الله عليهم بعد أن تابوا، فنزلت الآية توثيقاً لهذا الموقف الذي ينم عن الإخلاص،

وكذلك ورد هذا النوع من الرجاء بكثرة في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها الحديث القدسي الذي غفرت لك على ما كانت منك ولا أبالي^(٣).

(١) الخوف والرجاء في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، للأستاذ عبد الله أسود خلف الجوالي، الصفحة رقم (١٥٤)، ط ١ / ١٤٢٤هـ، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

(٢) سورة التوبة، الآية برقم (١٠٦).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده برقم (٣٤٦٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

القسم الرابع رجاء النصر:

وهو نوع مهم من أنواع الرجاء لا تخفى أهميته، فإنه إذا كان الرجاء عموماً يبعث على الأمل وينفي اليأس والقنوط عن صاحبه، ويبعث على القوة والعزيمة ويجبر صاحبه على الصبر والتحمل، إذن فما أحوج الإنسان إلى هذه المعاني خصوصاً وهو في ساعات لقاء العدو وطلب النصر^(١).

ولقد أبدى القرآن الكريم أهمية واضحة بهذا النوع من الرجاء وجعل له مفهوماً خاصاً ومتميزاً، حيث أن الله تعالى عند ما حث المسلمين على الجهاد في سبيله فإنه تعالى جعل للمجاهد أجراً عظيماً بغض النظر عن نتائج المعارك وحجم الغنائم أو الخسائر، فقد وعد المجاهد بإحدى الحسينيين، الأولى النصر الذي فيه عزة الدين ودولة الدين، والثانية الشهادة التي فيها ما فيها من الأجر العظيم المقام الكريم الخالد،

وقال تعالى ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِذْ إِنْ أَحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ﴾^(٢).

إذن فما أعظم هذا المفهوم عند ما يعيشه المجاهد ويؤمن به ويعمل بمقتضاه،

ويبرز معنى هذا النوع من الرجاء في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٣).

نزلت هذه الآية في المسلمين الذين قاتلوا في أحد أن أمرهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد المعركة بالخروج في طلب الكفار مرة أخرى فشكوا إليه ما هم من جراحات وألم، فنزلت هذه الآية التي فيها بشارة عظيمة للمسلمين، وأن الله تعالى يقول لهم إن ما ترجون وتنتظرون من الخير من ربكم ما لا يرجونه ولا ينتظرونه، لأنكم

(١) الخوف والرجاء في القرآن الكريم للشيخ عبد الله أسود خلف الجوالي، الصفحة رقم (١٥٥).

(٢) سورة التوبة، الآية برقم (٥٢).

(٣) سورة النساء، الآية برقم (١٠٤).

تعلمون من الله بإيمانكم وبتابعكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما لا يعلمونه هم،
فإنكم تحضون الله تعالى بالعبادة والاستعانة وحسن التوكل، أما هم فمشركون
ولاحظ لهم في شئ من ذلك ولهذا وعد الله المؤمنين بإحدى الحسنين إمام النصر
وإمام الشهادة التي هي طريق الجنة.

القسم الخامس الرجاء الخفي للخير:

وهو الرجاء المحسوس به من خلال نصوص الآيات القرآنية التي لا تتعرض للرجاء بصورة مباشرة، فإن في كل آية من آيات القرآن الكريم نوع من أنواع الرجاء الخفي، والتي يشعر بها الإنسان ويرتاح لها ويرجو من ورائها الخير مما يدخل في نفسه من قرب الله تعالى ولطفه وإنعامه ما يدخل كقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾^(١)،

فولاية الله تعالى للمؤمنين شيء يرتاح له المسلم ويرجو من خلال هذه الولاية والقرب كل خير،

بل ولقد ذهب البعض إلى أبعد من ذلك حيث استشعروا الرجاء من الله تعالى حتى من خلال آيات الأحكام، فاعتبروا آيات الأحكام دليلاً على حرص الله تعالى على تحقيق مصالح العباد في أنفسهم وأعراضهم وأمواهم فيطمئنون لها، ويرجون الخير فيها لأن في تطبيق هذه الأحكام تحقيق لهذه المصالح، فإذا كان الله تعالى بهذا الحرص على نجاحهم وخلصهم في حياتهم، إذن فهذا مدعاة على رجاء الخير والتعلق بالله في أن يكون في الآخرة بنفس الحرص على نجاحهم وتحقيق الخير لهم^(٢)،

ومثال ذلك آية الدين في سورة البقرة، التي هي أطول آية في القرآن الكريم حيث يقول فيها صاحب قوة القلوب:

"إن الدنيا كلها قليل ورزق الإنسان فيها قليل من قليل وهذا الدين من رزقه قليل، ثم أن الله تبارك وتعالى احتاط في ذلك ورفق النظر بان وكد الدين بالشهود والكتاب، وأنزل فيه أطول آية في كتابه، ولو فاتني ذلك لم أبال به فكيف يكون فعله بي في الآخرة التي لا عوض لي من نفسي فيها"^(٣).

(١) سورة محمد، الآية برقم (١١).

(٢) الخوف والرجاء في القرآن الكريم للشيخ عبد الله أسود خلف الجوالي، الصفحة رقم (١٥٦).

(٣) قوت القلوب في معاملة المحبوب للإمام أبي طالب المكي، الصفحة رقم (٢٢٠)، ط ١ /

١٣٩٨هـ، تحقيق باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

القسم السادس رجاء تجارة لن تبور:

ذكر سبحانه وتعالى حكاية عن قسم من عباده أنهم عبدوا الله تعالى وقرؤوا كتابه وأنفقوا مما أتاهم الله فهم يرجون بهذه الأعمال ربها عليها،
وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ، لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(١)،

قوله "إن الذين يتلون كتاب الله" أي يداومون على قراءته حتى صارت سمة لهم وعنوانا كما يشعر به صيغة المضارع، والمراد بكتاب الله القرآن، فقد قال مطرف بن عبد الله بن الشخير "هذه آية القراءة"^(٢)،

"وأقاموا الصلوة" يقول: وأدوا الصلاة المفروضة لمواقيتها بحدودها، وقال: وأقاموا الصلاة بمعنى: وقيموا الصلاة، وقوله "وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية" يقول: وتصدقوا بما أعطيناهم من الأموال سرا في خفاء، وعلانية: جهارا، وإنما معنى ذلك أنهم يؤدون الزكاة المفروضة ويتطوعون بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه،

وقوله تعالى "يرجون" بفعلهم ذلك، "تجارة لن تبور" لن تكسد ولن تهلك، من قولهم: بارت السوق، إذا كسدت وبار الطعام، "فيوفيهم أجورهم" يقول: ويوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا، "ويزيدهم من فضله" يقول: وكفي يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل^(٣).

(١) سورة فاطر، الآية برقم (٢٩ و ٣٠).

(٢) روح المعاني للإمام الآلوسي، الصفحة رقم (١٩٢/٢٢).

(٣) الخوف والرجاء في القرآن الكريم للشيخ عبد الله أسود خلف الجوالي، الصفحة رقم (١٥٨).

وهناك أربعة أمور لا ينبغي نسيانها وهي مهمة جدا لتحقيق الرجاء المحمود:

- ١ - تذكر سعة رحمة الله، فالذي يقرأ يجد فيه أن الله تعالى ذكر الرحمة في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿تَبَيَّنَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١)، وأن رحمته سبقت غضبه وجاء في الحديث الذي ذكرناه أنه أنزل رحمة واحدة وأمسك تسعا وتسعين^(٢).
- ٢ - إن الله تعالى أمر بالرجاء في كثير من آياته، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).
- ٣ - ذكر عبادا له مدحهم أنهم كانوا راجين لرحمته، قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾^(٤).
- ٤ - الإحسان، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥).

(١) سورة الحجر، الآية برقم (٤٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، أول مسند الكوفيين، حديث جندب البجلي برقم (١٨٠٤٦)،

وأخرجه الإمام أبو داود في سننه برقم (٤٢٤١)،

كلاهما من حديث جندب البجلي رضي الله تعالى عنه.

(٣) سورة الأعراف، الآية برقم (٥٦).

(٤) سورة الإسراء، الآية برقم (٥٧).

(٥) سورة الأعراف، الآية برقم (٥٦).

الرجاء المذموم وأقسامه

مفهوم الرجاء المذموم:

إنَّ الرجاء المذموم عبارة عن رجاء ذلك المسئ المتماذي في التفريط والخطايا، المنغمس في الذنوب والمعاصي، والمنشغل بالملذات عن دار الآخرة، المعرض عن طريق السويِّ المستقيم، الغارق في شهواته وملذاته متبعاً لهواه، ويكون مصراً بها، ومع ذلك يدعى أنه يرجو رحمة الله سبحانه وتعالى ولكن بلا عمل، فهذا هو الغرور والرجاء الكاذب المذموم،

وفي هذا المعنى يقول أبو عثمان سعيد بن إسماعيل:

ما بال دينك ترضى أن تدنسه وإنَّ ثوبك مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إنَّ السفينة لا تجري على اليبس^(١)

فيمكن أن يعرف الرجاء المذموم كالآتي:

"هو ارتياح قلب المسئ المتماذي في التفريط رجاء ما هو محبوب لديه مع انخرام

أسبابه"^(٢).

وهناك ثلاثة أقسام في الرجاء المذموم:

القسم الأول رجاء من أتبع نفسه هواها وعلق بالله الأمامي:

فإنَّ المرء إذا انهزم في المعاصي وانغمس في الملذات والشهوات واتبع نفسه هواها، ولا يندم على ما يصدر منه من المعاصي، بل يصر قمتكا واجتراء على ربه، وهو مع ذلك يرجو رحمة الله تعالى ويعتقد بأنه لا يضر مع نور الإيمان المعصية كما لا ينفع مع الكفر

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي، الصفحة رقم (١٢/٢).

(٢) الخوف والرجاء في ضوء السنة النبوية للأستاذ محمد أكبر زاهد، رسالته الماجستير، الصفحة

رقم (٢٣٣).

الطاعة وتمنى على الله الأمانى فقد ضلّ الطريق ووقع في الحيرة والضلال، وليس له سبيل
للنجاة والخروج عمّا هو فيه من الحيرة إلا الرجوع إلى حظيرة الإيمان والقيام بالعمل لما
بعد الموت، وهذا هو القسم الحقيقي للرجاء المذموم،

عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:
"الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
الأمانى"^(١).

^(١) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله برقم
(٢٣٨٣)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، مسند الشاميين برقم (١٦٥٠١)،
وأخرجه الإمام ابن ماجة أيضاً في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له برقم
(٤٢٥٠)، كلهم من حديث شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه،
وقال الإمام الترمذي هذا حديث حسن.

القسم الثاني الرجاء الناشئ عن الإعجاب بنفسه وعمله:

وفي غالب الأحيان يكون الباعث على الرجاء المذموم وإعجاب المرء بنفسه واغتراره على قليل عمله أو على ترك العمل معتقداً بأن قليل عمله سينجيه من عذاب الله وسيرفع درجاته يوم القيامة، لأن الأمر كان على عكس ذلك لدى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث لم يعجبهم أعمالهم الجليلة، بل كانوا يخافون على أعمالهم الصالحة مع كثرتها من عدم القبول، والخشية من أن يقعوا في العجب والرياء، اللذان يوجبان سخط الباري جل وعلا، وهذا هو دأب الصالحين في كل زمان، وقد مدحهم الله عز وجل في كتابه المبين فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(١)،

عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(٢)، قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال: لا، يابنت الصديق! ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات^(٣)،

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: "أي: يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصرُوا في القيام بشرط العطاء، وهذا من باب الإشفاق

(١) سورة المؤمنون، الآية برقم (٦٠).

(٢) سورة المؤمنون، الآية برقم (٦٠).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة المؤمنون برقم (٣٠٩٩)،

وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه، كتاب الزهد، باب التوقي على العمل برقم (٤١٨٨)،

كلاهما من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها.

والاحتياط^(١)،

فلأجل هذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أصناف المهلكات إعجاب المرء بنفسه، وانتظاره برجاءه المذموم ورفع الدرجات،

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ثلث منجيات وثلث مهلكات، فأما المنجيات فتقوى الله في السرّ والعلانية، والقول بالحق في الرضا والسخط والقصد في الغنى والفقر، وأما المهلكات فهوى متبع وشحّ مطاع وإعجاب المرء بنفسه وهي أشدّهن^(٢)،

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإنّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٤)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء، يا ربّ! يا ربّ! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟^(٥)".

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير تحت آية سورة المؤمنون برقم (٦٠).

(٢) شعب الايمان للإمام البيهقي، باب الخوف من الله برقم (٦٥٥)، الصفحة رقم (٩/١).

(٣) سورة المؤمنون، الآية برقم (٥١).

(٤) سورة البقرة، الآية برقم (١٧٢).

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها برقم (١٦٨٦)،

وأخرجه الإمام الترمذي أيضاً في جامعه، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة البقرة برقم (٢٩١٥)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، باقي مسند المكثرين، باقي المسند السابق برقم (٧٩٩٨)،

وأخرجه الإمام الدارمي أيضاً في سننه، كتاب الرقاق، باب في أكل الطيب برقم (٢٦٠١)، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنها.

القسم الثالث الرجاء الناشئ عن العجز والكسل:

وقد يكون الباعث الرجاء المذموم والاعتزاز هو العجز والكسل، فيترك العمل الصالح والمجاهدة في ترك المعاصي من أجل كسله وعجزه، ويجعل من الرجاء حيلة ذهبية لستر هذا الكسل، مع أن قلبه خال عن الرجاء، وليس الرجاء باعثاً على حالته هذه إنما سببها كسله وعجزه، ولا يدري أن الكسل والعجز مذمومان شرعاً وعقلاً، وقد استعاذ منهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم،

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والمهرم، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من عذاب القبر^(١)،

وقال الإمام ابن بطال رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث:

"قال المهلب: أما استعاذته صلى الله عليه وآله وسلم من الجبن فإنه يؤدي إلى عذاب الآخرة، لأنه يفر من قرنه في الزحف فيدخل تحت وعيد الله، لقوله: وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ^(٢)، وربما يفتن في دينه، فيرتد لجبن أدركه، وخوف على صحته من الأسر والعبودية.....، والعجز: مختلف في معناه، أما أهل الكلام فيجعلونه: ما لا استطاعة لأحد على ما يعجز عنه، لأن الاستطاعة عندهم مع الفعل، وأما أهل الفقه فيقولون: العجز هو ما يستطيع أن يعمل إذا أراد لأنهم يقولون: إن الحج ليس على الفور ولو كان على المهلة، عند أهل الكلام لم يصح معناه، لأن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل والذين يقولون بالمهلة يجعلون الاستطاعة قبل الفعل، وأما الكسل فهم مجمعون على أنه ضعف النية وإيثار

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن برقم (٢٦١١)،

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء التوبة والاستغفار، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره برقم (٤٨٧٨)،

كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

(٢) سورة الأنفال، جزء من الآية برقم (١٦).

الراحة للبدن على التعب، وإنما أستعيد منه، لأنه يعدد عن الأفعال الصالحة للدنيا والآخرة^(١).

وعن عوف بن مالك أنه حدثهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قضى بين رجلين، فقال المقضي عليه لما أدبر حسبي الله ونعم الوكيل، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم "إن الله تعالى يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس (الكيس العقل)، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل"^(٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الرجاء محمودٌ وحسن في نفسه، فإن من لا يسأل الله عزوجل ولا يرجوه ولا يرجو ثواب حسناته من عند الله سبحانه وتعالى يغضب عليه غضباً لا يتحملة شيئاً من المخلوقات لا الإنس والجان ولا السموات والأرضين، نعوذ برحمة الله وفضله من سخطه وغضبه،

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من لم يسأل الله يغضب عليه"^(٣).

وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

والله يغضب إن تركت سؤاله

وبني آدم حين يُسأل يغضب^(٤)

(١) شرح ابن بطلال على صحيح البخاري للإمام ابن بطلال تحت هذا الحديث برقم (٢٦١١).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الأفضية، باب الرجل يخلف على حقه برقم (٣١٤٣)، وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، باقي مسند الأنصار، حديث عوف بن مالك الأشجعي الأنصاري برقم (٢٢٨٥٨).

كلاهما من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله برقم (٣٢٩٥)، وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، باقي مسند المكثرين، باقي المسند السابق برقم (٩٣٢٤).

وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء برقم (٣٨١٧).

كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنها.

(٤) شعب الإيمان للإمام البيهقي، باب في الرجاء من الله تعالى، برقم (١١٠٠)، الصفحة رقم (٣٥/٢).

إلا أن هذا الرجاء يصير مذموماً وسمياً مهلكاً في حق العاصي المغرور، المتمني على الله ما لا يليق بشأنه من الأمانى، المعرض عن العبادة والطاعة، المقتحم في المعاصي والذنوب.

الفصل الثاني

في

طرق تحصيل الرجاء

لقد رأينا في الصفحات السابقة أن الرجاء من أهم الأمور والمطالب الشرعية، وقد تعرض العلماء خاصة علماء السلوك والتصوف للطرق والأسباب التي يمكن بها تحصيل هذه الفضيلة، و نذكر هنا شيئا من هذه الطرق بفضل الله تعالى:

من الذي يحتاج إلى هذه المعالجات؟

أول سؤال نواجهه في هذه المسألة هو: من الذي يحتاج إلى مثل هذه المعالجات؟ أو من الذي تفيده هذه المعالجات؟ وقد بحث علماء السلوك في هذا السؤال أيضاً، وذلك لأن مراعاة حد الاعتدال مطلوب في كل أمر من أمور الشريعة، فلا تفيده هذه المعالجات لمن أدته إلى الرجاء المفرط، لأن هذه المعالجات لا تزيد إلا إفراطاً إلى تفريط، فيقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

إعلم أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين: إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة، وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله، وهذان رجلان مانلان عن الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفريط، فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال، فأما العاصي المغرور المتمني على الله مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فأدوية الرجاء تنقلب

سحوما مهلكة في حقه وتزل منزلة العسل الذي هو شفاء لمن
غلب عليه البرد، وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة^(١).

ثم يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى مدعماً رأيه بالأدلة الشرعية، وموضحاً خطأ من لا
يراعي مثل هذه الأمور من الوعاظ والخطباء:

فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفاً ناظراً إلى مواقع العلل
معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها، فإن المطلوب هو
العدل والقصد في الصفات والأخلاق كلها، وخير الأمور
أوساطها، فإذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين عولج بما يردده إلى
الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط، وهذا الزمان زمان لا
ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء، بل المبالغة في
التخويف أيضاً تكاد أن لا تردهم إلى جادة الحق وسنن الصواب،
فأما ذكر أسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية، ولكنها لما
كانت أخف على القلوب وألذ عند النفوس، ولم يكن غرض
الوعاظ إلا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء، كيفما كانوا
مالوا إلى الرجاء حتى ازداد الفساد فساداً وازداد المنهمكون في
طغيانهم تمادياً، قال علي كرم الله وجهه: إنما العالم الذي لا يقنط
الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله^(٢).

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (١٦٣/٤).

(٢) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (١٦٤/٤).

كيف تستعمل هذه المعالجات ومن الذي يستعملها؟

إن مثل هذه المعالجات من الطب الروحاني والإيماني، فكما أن الطب الجسماني لا يحسن استعماله كل أحد، وإنما يُحتاج فيه في كثير من الأحيان إلى الطبيب، لأننا إذا هذا الدواء نافع لمعالجة الحمى، مثلاً فهذا لا يعنى أنه يفيد كل مصاب بالحمى بل يمكن أن يفيد بعضاً ويضر آخرين، كذلك الطب الروحاني والمعالجات الروحانية التي لم ينص عليها القرآن والسنة وإنما استنبطها مهرة هذا الميدان ينبغي أن يكون استعمالها بمشورة طبيب هذا الحقل، يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى موضحاً هذه النكتة:

ونحن نذكر أسباب الرجاء لتستعمل في حق الآيس أو فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعاً، لأنهما جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الأخرق الذي يظن أن كل شيء من الأدوية صالح لكل مريض كيفما كان^(١).

هذا، ويمكن أن نقسم الأسباب التي تعين على حصول الرجاء إلى قسمين: المراقبة والنظر في أحواله وأحوال الكون ومراقبتها، والثاني النظر في نصوص الشريعة واستقراؤها، ونبين فيما كلا منهما بشيء من التفصيل:

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (١٦٦/٤).

أولاً الاعتبار والمراقبة

الرجاء شعبة من معرفة الله، معرفة صفاته التي تتعلق برحمته، وقد جعل القرآن الكريم النظر في الكون ومظاهره المختلفة وسيلة وذريعة لمعرفة الله سبحانه وتعالى ومعرفة صفاته، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾^(١)، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، واقتداءً بالهدي القرآني استعمل أهل السلوك الاعتبار والنظر في أمور الكون ومراقبتها لترسيخ المعرفة بالله والمعرفة بصفاته، وهذا الذي فعلوه لتحصيل الرجاء كما سنراه خلال السطور الآتية وخاصة في عبارات الغزالي وغيره، ثم إن الاعتبار والمراقبة لتحصيل الرجاء له بعض جوانب مهمة، نذكرها بشيء من التفصيل:

١. أن ينظر في العناية الإلهية في هذا الكون ومظاهر لطف الله وكرمه فيه، كيف يخلق الله الأشياء وكيف يرببها وكيف يهيئ الأسباب لمنافعها ودفع الضرر عنها، وأن العناية الإلهية لم تقتصر على قضاء حوائج خلقه بل أعطى كل شيء ما يزينه ويحسنه، ويعين الإنسان في هذا الاعتبار والمراقبة التدبر في القرآن الكريم ومعرفة أحوال الكون من الجمادات والنباتات والحيوانات وما إلى ذلك بواسطة العلم الكوني (Science)، والنظر في هذا كله يجعل الإنسان يوقن بأن الله لا يريد بهذا الكون إلا خيراً ورحمة وأن رحمته سابقة على غضبه، ثم يستدل الإنسان منه على أن الله تعالى لا يريد به إلا خيراً، وهذا هو الرجاء.
٢. أن يذكر الإنسان ما جرى عليه من الأحوال وكيف أدركته العناية الإلهية واللطف الرباني في كل لحظة من حياته، وهذا يدل على أن ربه لطيف به، فيقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى مبيناً هاتين النكتتين:
"أما الاعتبار فهو أن يتأمل جميع ما ذكرناه في أصناف

(١) سورة الفاشية، الآية برقم (١٧-١٨-١٩-٢٠).

النعم من كتاب الشكر حتى إذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الإنسان حتى أعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وجمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينلهم بفقده غرض مقصود، وإنما كان يفوت به مزية جمال، فالعناية الإلهية إذا لم تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن تفوقهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم إلى اهلاك المؤبد، بل إذا نظر الإنسان نظراً شافياً علم أن أكثر الخلق قد هبى له أسباب السعادة في الدنيا، حتى إنه يكره الانتقال من الدنيا بالموت، وإن أخبر بأنه لا يعذب بعد الموت أبداً مثلاً أو لا يحشر أصلاً فليست كراحتهم للعدم إلا لأن أسباب النعم أغلب لا محالة، وإنما الذي يتمنى الموت نادر، ثم لا يتمناه إلا في حال نادرة ورافعة هاجمة غريبة، فإذا كان حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلاً، فالغالب أن أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم، فهذا إذا توّمل حق التأمل قوي به أسباب الرجاء^(١).

٣. وكما يفيد النظر في الأمور الكونية كذلك يفيد المراقبة في مقاصد الشريعة وأسرارها، حيث يتضح له أن الله تعالى كيف يراعى مصالح عباده في شريعته وكيف يسر لهم رضاه وجنته بتيسير دينه مما يُستدل به على أن الله تعالى لا يريد أن يشقى عباده ولا أن يدخل عليهم المشقة، ومثل هذا الرب جدير بأن يرجى

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (٤/١٤٧).

منه كرمه ورحمته،

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

"ومن الاعتبار أيضاً النظر في حكمة الشريعة وسنتها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها، حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في البقرة من أقوى أسباب الرجاء، فقيل له: وما فيها من الرجاء؟ فقال: الدنيا كلها قليل، ورزق الإنسان منها قليل، والدين قليل عن رزقه، فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدي عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه، فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه؟"^(١)

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (٤/١٤٨).

ثانياً النظر في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية

هناك أنواع من النصوص نظر فيها الإنسان و أكثر من قراءتها والتدبر فيها فإنها تورث فيه رجاء من الله تعالى، منها:

١ . النصوص الواردة في حسن الظن بالله و نماذج السلف والصلحاء من هذه الأمة والأمم السالفة في هذا الصدد، وقد مر ذكرها.

٢ . النصوص الواردة في بيان سعة رحمة الله وفضله والقصص الواردة في ذلك وقد مر بيان شيء منها.

٣ . النصوص الواردة في بيان سعة مغفرة الله والقصص ذلك، وقد مر بيان عدد منها

٤ . الآيات القرآنية والأحاديث الواردة في تدبر هذا الكون والنظر فيه.

٥ . الآيات والأحاديث الواردة في بيان شفقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورحمته بأمته وشفاعته لها، فإنه أهم شيء يورث الرجاء في قلب المؤمن وأكبر

دواء لمرضى اليأس والانكسار، كما قال الشاعر:

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم

فقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى^(١)﴾، قال: لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار، وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول: أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ^(٢)﴾، ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ

(١) سورة الضحى، الآية برقم (٥).

(٢) سورة الزمر، الآية برقم (٥٣).

فَتَرْضَى^(١) ﴿٢﴾.

وبما أن شفقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أمته ورحمته بها من أسباب

الرجاء لأفراد أمته، نذكر هذا السبب في فصل مستقل، إنشاء الله تعالى.

(١) سورة الضحى، الآية برقم (٥).

(٢) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (١٤٧/٤).

ثالثاً الاهتمام بالعمل

كما أن الرجاء يبعث الإنسان على العمل كذلك العمل الصالح يبعث الإنسان على أن يرجو من الله الخير والمغفرة وحسن المثوبة، فكلما كان العمل الصالح أكثر كان الرجاء أكثر، وكلما كان العمل أقل كان الرجاء أشبه بالتمني والغرور، كما بيناه من قبل، وقد ذكرنا أن من مواقع الرجاء الدعاء، فينبغي للمؤمن أن يدعو الله تعالى وهو مؤمن بالإجابة، ومما يزيد الإيقان بالإجابة هو العمل الصالح، كما جاء في حديث الغار:

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا يتجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم، اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا وأنه أتاني يطلب أجره فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة فقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عليهما ليلة فجننت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت أن أوقفهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة حتى

نظروا إلى السماء فقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلي وأبي راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيها بما فدفتها إليها فأمكنني من نفسها فلما قعدت بين رجلها فقالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقممت وتركت المائة دينار فإن كنت تعلم أي فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا^(١)،

ففي هذه القصة زاد كل واحد منهم عمله الصالح الخالص رجاءً من الله أن يستجيب له دعاءه، فاستجاب الله لهم، فَعَلِمَ من هذا أن العمل الصالح أيضاً يبعث على الرجاء،

روى الإمام البيهقي رحمه الله تعالى عن ذي النون بن إبراهيم "ذي النون المصري" قال: صلاة الفرض مفتاح الخوف، والنافلة مفتاح باب الرجاء، وذكر الله الدائم مفتاح باب الشوق، وليس بالخوف ينال الفرض، ولكن بالفرض ينال الخوف، ولا بالرجاء تنال النافلة ولكن بالنافلة ينال الرجاء، ومن شغل قلبه ولسانه بالذكر قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه، وهذا سر الملكوت فاعلمه واحفظه^(٢).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار برقم (٣٢٠٦)،

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال برقم (٤٩٢٦)،
كلاهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما.

(٢) شعب الإيمان للإمام البيهقي، الصفحة رقم (٤٤٠/٢).

ومن الدليل على أن العمل الصالح يورث الرجاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: عن الربيع بن أنس، قوله: أولئك يرجون رحمة الله، قال: هؤلاء خيار هذه الأمة، ثم جعلهم الله أهل رجاء، إنه من رجا طلب، ومن خاف هرب^(٢).

وقال الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: عن عروة بن الزبير، قال: فلما فرج الله عن المسلمين، من أهل تلك السرية، ما كانوا فيه من غم، ما أصابوا طمعوا فيما عند الله من ثوابه، فقالوا: يا نبي الله! أنطمع لنا أن تكون غزوة نعطي فيها أجر المجاهدين في سبيل الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^{(٣)(٤)}.

(١) سورة البقرة، الآية برقم (٢١٨).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري، الصفحة رقم (٣٦٧/٢).

(٣) سورة البقرة، الآية برقم (٢١٨).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم للإمام ابن أبي حاتم تحت آية سورة البقرة برقم (٢١٨).

رابعاً طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما أمر ونهى عن ربه تبارك وتعالى ومعلوم أن طاعة الرسول من طاعة الله كما قال تعالى (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ^(١))، ومن الآيات التي يستلزم الرجاء فيها طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا^(٢))،

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسى بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عزوجل، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين^(٣).

وقال الإمام القاسمي رحمه الله تعالى:

وقوله: (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أي رضوان الله ورحمته وثواب اليوم الآخر ونجاته^(٤).

(١) سورة الأحزاب، جزء من الآية برقم (٨٠).

(٢) سورة الأحزاب، الآية برقم (٢١).

(٣) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، الصفحة رقم (٤٣٧/٥).

(٤) محاسن التأويل للإمام القاسمي، الصفحة رقم (٢٣٦/١٣).

الفصل الثالث

في

مواقع الرجاء ومطالنه

إن للرجاء مواقع ومظان مختلفة، أكثرها محمودة ومطلوبة في الشرع، لكن البعض منها مما ليس من الرجاء الشرعي في شيء، وإنما هو رجاء من حيث اللغة فقط، وإليكم بيان هذه المواضع، لكن لنبدأ كلامنا بنقل كلام للإمام البيهقي رحمه الله تعالى الذي نقله عن أبي عبد الله الحلبي رحمه الله تعالى فقال:

وهو على وجوه:

أحدها: رجاء الظفر بالمطلوب، والوصول إلى المحبوب،

والثاني: رجاء دوامه بعد ما حصل،

والثالث: رجاء دفع المكروه وصرفه كي لا يقع،

والرابع: رجاء الدفع والإمالة لما قد وقع،

وكل ذلك حسن جميل على التفصيل الذي سأذكره للدعاء،

وإذا استحکم الرجاء حدث عنه من التخشع والتذلل نحو ما

يحدث عن الخوف إذا استحکم، لأن الخوف والرجاء متناسبان،

إذ الخائف في حال خوفه يرجو خلاف ما يخافه، ويدعو الله عز

وجل به، ويسأله إياه، والراجي في حال رجائه خائف خلاف ما

يرجو، ويستعيذ بالله منه، ويسأله صرفه، ولا خائف إلا وهو

راج، ولا راجي إلا وهو خائف - وبسط الكلام فيه إلى أن قال

- ولأجل تناسب الأمرين قرن الله تعالى بهما في غير آية من كتابه

فقال: ﴿وَأَذْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) ﴿٢﴾.

والآن نذكر بعض مواقع الرجاء ومظانه:

الموقع الأول: رجاء المطيع قبول ربه طاعته بفضله ورحمته

إذا وفق الله لعبد لعمل خير فإنه إذا نظر إلى عمله ينبغي له أن يتصور أنه وقع في عمله تقصيرات وأنه لم يؤد حقه ولم يأت به على وجهه، وعلى هذا ينبغي له أن يستغفر الله تعالى على ذلك، كما نقل القرآن الكريم عن عباده المحسنين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ، كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٣)، قال الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:

"أي هم مع قلة هجوعهم وكثرة تمجدهم يداومون على الاستغفار في الأسحار كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم ولم يتفرغوا فيه للعبادة، وفي بناء الفعل على الضمير إشعار بأنهم الأحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطناهم فيه، وفي الآية من الإشارة إلى مزيد خشيتهم وعدم اغترارهم بعبادتهم ما لا يخفى، وحمل الاستغفار على حقيقته المشهورة هو الظاهر وبه قال الحسن^(٤)".

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية برقم (٥٧).

(٢) شعب الإيمان للإمام البيهقي، الثاني عشر من شعب الإيمان، الصفحة رقم (٥٦/٣).

(٣) سورة الذاريات، الآية برقم (١٦-١٧-١٨).

(٤) روح المعاني للإمام الآلوسي تحت آية سورة الذاريات برقم (١٦-١٧-١٨).

لكن العبد إذا نظر رحمة الله الواسعة ينبغي له أن يرجو أن الله سبحانه وتعالى سيقبل عمله على ما فيه من التقصيرات لأنه واسع الفضل والمغفرة، وأنه تعالى لا يشدد على عباده بل هو أرحم لهم من الأم لابنه.

الموقع الثاني: رجاء المطيع أن الله سيثيب على هذه الطاعة

لأن الله تعالى وعد على هذه الطاعات بالأجر والثواب في الآخرة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والله تعالى لا يخلف الميعاد، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١)،

قال الإمام الألوسي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:

"قوله تعالى: (أُولَٰئِكَ) المنعوتون بالنعوت الجليلة (يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ)، أي: يؤملون تعلق رحمته سبحانه بهم أو ثوابه على أعمالهم، ومنها تلك الغزاة في الشهر الحرام، (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ): تذييل لما تقدم وتأكيداً له، ولم يذكر المغفرة فيما تقدم لأن رجاء الرحمة يدل عليها، وقدم وصف المغفرة لأن درأ المفسد مقدم على جلب المصالح"^(٢).

فالعمل الصالح يبعث العبد على الرجاء من الله كما أن الرجاء من الله يبعث العبد على العمل الصالح، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٣).

(١) سورة البقرة، الآية برقم (٢١٨).

(٢) روح المعاني للإمام الألوسي تحت آية سورة البقرة برقم (٢١٨).

(٣) سورة الكهف، جزء من الآية برقم (١١٠).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"^(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أربعون خصلةً أعلاهن منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلةٍ منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة"^(٢).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية برقم (١٧٦٨)،

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح برقم (١٢٦٨)،
كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب فضل المنيحة برقم (٢٤٣٨)،

وأخرجه الإمام أبو داود أيضاً في سننه، برقم (١٤٣٣)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (٦٥٣٧)،

كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبدالله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة" فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة؟ فهل يدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: "نعم وأرجو أن تكون منهم"^(١).

ومن ثم كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكثرة حرصه بنجاة أمته وإرشادهم إلى سبل الحق وطريق السوي المستقيم، يحض المؤمنين بالقيام على مهام الطاعات حتى لا يحرموا من رحمة الله تعالى ودخول جنته.

^(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين برقم (١٧٦٤)، وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر برقم (١٧٠٥)،

كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

الموقع الثالث: رجاء العبد من الله رحمته في أمور دنياه

ينبغي للعبد أن يرجو من ربه رحمته إذا أصيب بمصيبة من مصائب الدنيا، وأن لا يتلى باليأس بل ينتظر الفرج من الله تعالى في الشدة والعسر فإن مع العسر يسرا وأن يحسن الظن بربه، كما فعل سيدنا يعقوب عليه السلام عند فقدده ولديه يوسف وبنيامين، وقال لبيه أيضاً: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١)، وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن حسن الظن بالله من حسن عبادة الله"^(٢).

(١) سورة يوسف، الآية برقم (٨٧).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله، باب استجابة الدعاء في

غير قطيعة رحم برقم (٣٥٣٣)،

وأخرجه الإمام أبوداود أيضاً في سننه، كتاب الأدب، باب في حسن الظن برقم (٤٣٤١)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة برقم (٧٦١٥)،

كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

الموقع الرابع: الرجاء من الله بسبب الرخص المشروعة

ينبغي للعبد إذا استعمل رخصه أن يرجو من الله أنه يقبلها، لأنه هو الذي جعل الدين بهذه الرخص، فيرجي منه أن ييسر على عباده الحساب في الآخرة، روى الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان عن المعتمر بن سليمان قال: قال لي أبي حين حضرته الوفاة: يا معتمر! حدثني بالرخص، لعلي ألقى الله وأنا حسن الظن به^(١).

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي، الثاني عشر من شعب الإيمان، الصفحة رقم (٢٣/٢).

الموقع الخامس: رجاء المذنب التائب إلى الله عز وجل

من أذنب ذنباً، ثم تاب وندم وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير ورجع إلى الله تعالى بحيث لا يرجو إلا مغفرته وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه، ويكون على أمل أن تقبل توبته عند ربه ويغفر ذنبه بهذه التوبة، ويكون على أمل أيضاً أن يتقبله الله تعالى في زمرة الصالحين، فحينئذ يرجي له المغفرة وقبول التوبة،

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة"^(١)،

فقوله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله عز وجل "يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي"، فهذا في مقدور الله عز وجل ولا يعجزه أحد، ورحمته وسعت كل شيء،

وقوله "يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك"، فهي فرصة عظيمة لمن قصر في حق الله، فالباب لم يسد وما زال مفتوحاً لكل من أراد أن يتوب ويرجع وينيب إلى الله تعالى^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن عبداً أصاب ذنباً وربّما قال: أذنبت ذنباً، فقال: ربّ أذنبت وربّما قال: أصبت فاغفر لي فقال ربه: علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنب، ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً فقال: ربّ أذنبت أو أصبت آخر فاغفره لي فقال: علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم

(١) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده برقم (٣٤٦٣).

(٢) كتاب الخوف والرجاء للشيخ صفوت عبدالفتاح محمود، الصفحة رقم (١٨٧).

أذنب ذنباً وربّما قال: أصاب ذنباً قال: ربّ أصبت، أو قال: أذنبت آخر فاغفره لي فقال: علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنب يأخذ به غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء^(١).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ بَرَقْم (٦٩٥٣)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة برقم (٤٩٥٣)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

الموقع السادس: الرجاء عند دعاء الرب تبارك وتعالى

ينبغي للعبد أن يكثّر دعاء ربه تعالى كما ينبغي له أن يرجو أن الله سيقبل دعاءه،

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه"^(١)،

وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة، فإنّ الله لا يتعاظمه شيءٌ أعطاه"^(٢).

^(١) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله، باب ما جاء في جامع

الدعوات عن النبي صلى الله عليه وسلم برقم (٣٤٠١).

^(٢) أدب المفرد للإمام البخاري، باب ليعزم الدعاء فإنّ الله لا مكروه له برقم (٦٠٧).

الموقع السابع: الرجاء و حسن الظن بالله عند الموت

الرجاء وحسن الظن بالله وإن كان مطلوباً في جميع حالات المؤمن لكن له أهمية كبيرة عند موته،

عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: قبل موته بثلاث قال: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن"^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل على شاب وهو في الموت، فقال: "كيف تجردك؟ قال: والله يارسول الله إني أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف"^(٢).

ويقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في هذا الصدد:

ثم إن غلبة الخوف هو الأصلح ولكن قبل الإشراف على الموت،
أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن، لأن الخوف
جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل،
فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق أسباب

^(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت برقم (٥١٢٤ و ٥١٢٥)،

وأخرجه الإمام أبو داود أيضاً في سننه برقم (٢٧٠٦)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (١٤٦٦٤)،

كلهم من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنه.

^(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الجنائز، باب ما جاء في أن المؤمن يموت بعرق الجبين برقم (٩٠٥)،

وأخرجه الإمام ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له برقم (٤٢٥١)،

كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

الخوف، فإنّ ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته، وأما روح الرجاء فإنه يقوّي قلبه ويحبب إليه ربه الذي إليه رجاؤه، ولا ينبغي أن يفارق أحدّ الدنيا إلا محباً لله تعالى ليكون محباً للقاء الله تعالى، فإنّ من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه^(١).

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (١٦٦/٤).

الموقع الثامن: رجاء المكروب برحمة ربه

من مواقع الرجاء أن يعلق العبد أمله ورجاءه برحمة ربه وفضله وكرمه دائماً، عن أبي بكرة نفيح بن الحارث بن كلدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "دعوات المكروب، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت"^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "سلوا الله من فضله فإن الله عز وجل يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج"^(٢).

قال الشيخ المباركفوري رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث:

قوله: "سلوا الله من فضله" أي بعض فضله فإن فضله واسع وليس هناك مانع،

وقوله: "فإن الله يحب أن يسأل" أي من فضله لأن يده تعالى ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار،

وقوله: "وأفضل العبادة انتظار الفرج" أي ارتقاب ذهاب البلاء والحزن بترك الشكاية إلى غيره تعالى، وكونه أفضل العبادة لأن الصبر في البلاء انقياد للقضاء، والفرج بفتحيتين (بالفارسية

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح برقم (٤٤٢٦)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، أول مسند البصريين، حديث أبي بكرة نفيح بن الحارث بن كلدة برقم (١٩٥٣٥)،

كلاهما من حديث أبي بكرة نفيح بن الحارث بن كلدة رضي الله تعالى عنه. (٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله، باب ما جاء في انتظار الفرج وغير ذلك برقم (٣٤٩٤).

كشائش)، يقال فَرَجَ اللهُ الغم عنه أي كشفه وأذهبه^(١).

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في هذا الشأن:

وفي رواية ابن بشران: "انتظار الفرج من الله عبادة، ومن رضي

بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل^(٢)".

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ

الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٣)،

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن هذه الآية لما نزلت،

بشّر بها أصحابه وقال: "لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ"^(٤)، وذكر من قال ذلك،

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت يونس، قال:

قال الحسن: لما نزلت هذه الآية (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) قال رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم: "أَبَشِّرُوا أُنَاكُمْ الْيُسْرُ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ"،

وقال أيضاً: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن

الحسن، قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً مسروراً فرحاً وهو

يضحك، وهو يقول: "لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ (فَإِنَّ

مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)"،

وقال أيضاً: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة،

قوله: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)، ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

بشّر أصحابه بهذه الآية، فقال: "لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ"،

وقال أيضاً: حدثنا ابن المشي، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا سعيد،

عن معاوية بن قرّة أبي إياس، عن رجل، عن عبد الله بن مسعود، قال: لو

(١) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي للشيخ المباركفوري تحت هذا الحديث برقم (٣٤٩٤).

(٢) شعب الإيمان للإمام البيهقي، الصفحة رقم (٥٤/٢).

(٣) سورة الشرح، الآية برقم (٤ و ٥).

(٤) تفسير القرآن للإمام البخاري في صحيحه، سورة الشرح.

دخل العسر في جُحْر، لجاء اليسر حتى يدخل عليه، لأن الله يقول: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (١).

وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى:

حدثنا أبو سعيد المديني، حدثني أبو بكر بن أبي شيبة الحزامي، ثنا محمد بن إبراهيم بن المطلب بن أبي وداعة السهمي، قال: حدثني زهرة بن عمرو التيمي، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: يا غلام! ألا أعلمك كلمات تنتفع بهن؟ قال: بلي، يا رسول الله! قال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما هو كائن، فلو جهد العباد أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهد العباد على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل لله بالصدق في اليقين فافعل، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً (٢).

وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا علي بن الجعد، أنبأ شعبة، عن معاوية بن قررة، عن حدثه، عن عبد الله بن مسعود، قال: لو أن العسر دخل في جحر لجاء اليسر حتى يدخل معه، ثم قال: قال الله عز وجل: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري تحت آيتي سورة الشرح.

(٢) الفرج بعد الشدة للإمام أبي محمد عبدالله التوخي، الصفحة رقم (٨)، تحقيق عبود الشالجي،

يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا^(١).

وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا خالد بن خدّاش، قال حدثني عبد الله بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أسلم، أن أبا عبيدة حصر بالشام، ونال منه العدو، فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: مهما يزل بأمرك شدة يجعل الله له بعدها فرجا، وإنه لن يغلب عسر يسرين، وإنه يقول: (اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)^{(٢)(٣)}.

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة آل عمران، جزء من الآية برقم (٢٠٠).

(٣) الفرج بعد الشدة للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٨).

الموقع التاسع: الرجاء في الآخرة

وكما أن رجاء المؤمن وهو في الدنيا يفيدته كذلك رجاؤه في الآخرة يفيد في بعض الأحيان،

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يخرج رجلان من النار فيعرضان على الله ثم يؤمر بهما إلى النار فإلتفت أحدهما، فيقول: يا رب! ما كان هذا رجائي، قال وما كان رجاؤك؟ قال كان رجائي إذا أخرجتني منها أن لا تعيدني فيرحمه الله، فيدخله الجنة^(١)".

(١) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه، باب حسن الظن بالله، ذكر البيان بأن حسن الظن بالمعبود جل وعلا قد ينفع في الآخرة لمن أراد الله به الخير برقم (٦٣١)، الصفحة رقم (١٤/٢).

الفصل الرابع

في

بيان أهم أسباب الرجاء

شفقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمة هي أهم وأعظم أسباب الرجاء، نذكر شيئاً من التفصيل فيها:

شفقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمة وشفاعته لها:

والنصوص الواردة في هذا الصدد كثيرة جداً، نذكر هنا شيئاً منها على سبيل

المثال:

١. قال الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى^(١)﴾،
 ٢. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ^(٢)﴾،
- قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقوله: "عزير عليه ما عنتم" أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمة ويشق عليها، ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال: "بعثت بالحنيفية السمحة"^(٣)، وفي الصحيح: "إن هذا الدين

(١) سورة الضحى، الآية برقم (٥).

(٢) سورة التوبة، الآية برقم (١٢٨).

(٣) جزء من حديث طويل، أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي برقم (٢١٢٦٠).

يسر^(١) " وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة، يسيرة على من يسرها
الله تعالى عليه، وقوله "حريص عليكم" أي على هدايتكم
ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم^(٢).

٣. عن أبي صالح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يناديهم يا أيها الناس "إنما أنا رحمة مهداة"^(٣).

٤. عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:
"شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"^(٤).

٥. عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة، فقرأ بآية حتى أصبح، يركع بها ويسجد بها: "إن تعذبهم فإثم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم" فلما أصبح قلت: يا رسول الله! ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها؟ قال: "إني سألت ربي عز وجل

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين يسر برقم (٣٨)، وأخرجه الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي أيضاً في السنن الكبرى، كتاب الإيمان وشرائعها، باب الدين يسر برقم (٤٩٤٨)، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البندراي والسيد الكسروي الحسن، ط ١ / ١٤١١ هـ - دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير تحت آية سورة التوبة برقم (١٢٨).

(٣) أخرجه الإمام الدارمي في مسنده، المقدمة، باب كيف كان أول شأن النبي برقم (١٥).

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله برقم (٢٣٥٩ و ٢٣٦٠)،

وأخرجه الإمام أبو داود أيضاً في سننه، كتاب السنة، باب في الشفاعة برقم (٤١١٤)،

وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة برقم (٤٣٠٠)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، باقي مسند المكثرين، باقي المسند السابق برقم (١٢٧٤٥)،

كلهم من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

الشفاعة لأمتي، فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئاً^(١).

٦. عن جسرة بنت دجاجة أنها انطلقت معتمرة، فانتهدت إلى الربذة، فسمعت أبا ذر يقول: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة من الليالي في صلاة العشاء، فصلى بالقوم، ثم تخلف أصحاب له يصلون، فلما رأى قيامهم وتخلفهم انصرف إلى رحله، فلما رأى القوم قد أدخلوا المكان رجع إلى مكانه فصلي، فجئت فقممت خلفه، فأوماً إلي بيمينه، فقممت عن يمينه، ثم جاء ابن مسعود فقام خلفي وخلفه، فأوماً إليه بشماله، فقام عن شماله، فقمنا ثلاثتنا يصلي كل واحد منا بنفسه، ويتلو من القرآن ما شاء الله أن يتلو، وقام بآية من القرآن يرددتها حتى صلى الغداة، فلما أصبحنا أومأت إلى عبد الله بن مسعود: أن سله ما أراد إلى ما صنع البارحة؟ فقال ابن مسعود بيده: لا أسأله عن شيء حتى يحدث إلي، فقلت: بأبي أنت وأمي، قمت بآية من القرآن ومعك القرآن، لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه، قال: "دعوت لأمتي"، قلت: فماذا أجبت؟ أو ماذا رد عليك؟ قال: "أجبت بالذي لو اطلع عليه كثير منهم طلعة تركوا الصلاة"، قلت: أفلا أبشر الناس؟ قال: "بلى"، فانطلقت معنفاً قريباً من قذفة بحجر، فقال عمر: يا رسول الله! إنك إن تبعث إلى الناس بهذا نكلوا عن العبادة،

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري برقم (٢٠٣٦٥)، وأخرجه الإمام الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي أيضاً في سنن النسائي، كتاب الافتتاح، باب ترديد الآية برقم (١٠٠٠)، تحقيق عبدالفتاح أبوغدة، ط ١ / ١٤٢٠هـ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل برقم (١٣٤٠)،

كلهم من حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه.

فناداه أن أرجع فرجع، وتلك الآية: "إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم"^(١).

٧. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلا قول عيسى: "إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم" فرفع يديه فقال: "اللهم أمّتي" وبكى، فقال الله: يا جبريل! اذهب إلى محمد وربيك أعلم، فأسأله: ما يبكيه؟ فأتاه جبريل فسأله، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما قال، فقال الله: يا جبريل! اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمّتك ولا نسوؤك"^(٢).

٨. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لكل نبي دعوة مستجابة، يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة"^(٣).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح الحديث المذكور:

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "لكل نبي دعوة....."،

وفي الرواية الأخرى: "لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري برقم (٢٠٥٢٠).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب دعاء النبي لأمته وبكائه شفقة عليهم برقم (٣٠١).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة برقم (٥٨٢٩).

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي دعوة الشفاعة لأمته برقم (٢٩٣).

كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً،
 وفي الرواية الأخرى: لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له
 وإني أريد إن شاء الله أن أؤخر دعوتي شفاعاً لأمتي يوم القيامة،
 وفي الرواية الأخرى: لكل نبي دعوة دعاها لأمته وإني اختبأت
 دعوتي شفاعاً لأمتي يوم القيامة،
 هذه الأحاديث تفسر بعضها بعضاً، ومعناه: أن كل نبي له دعوة
 متيقنة الإجابة وهو على يقين من إجابتها، وأما باقي دعواتهم فهم
 على طمع من إجابتها، وبعضها يجاب وبعضها لا يجاب،
 وذكر القاضي عياض أنه يحتمل أن يكون المراد لكل نبي دعوة
 لأمته كما في الروايتين الأخيرتين، والله أعلم،
 وفي هذا الحديث: بيان كمال شفقة النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم على أمته، ورأفته بهم، واعتناؤه بالنظر في مصالحهم المهمة،
 فأخر صلى الله عليه وآله وسلم دعوته لأمته إلى أهم أوقات
 حاجاتهم^(١).

٩. عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 قال: "يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيدخلون الجنة
 ويسمون الجهنميين"^(٢).

قال الشيخ العظيم آبادي رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث الشريف:
 "ويسمون الجهنميين" ليس التسمية بها تنقيصاً لهم بل استذكارة

(١) شرح النووي على صحيح مسلم للإمام النووي تحت هذا الحديث برقم (٢٩٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار برقم (٦٠٨١)،
 وأخرجه الإمام أبو داود أيضاً في سننه، كتاب السنة، باب في الشفاعة برقم (٤١١٥)،
 وأخرجه الإمام الترمذي أيضاً في جامعه، أبواب صفة جهنم عن رسول الله برقم (٢٥٢٥)،
 كلهم من حديث عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه.

ليزدادوا فرحا على فرح لكونهم عتقاء الله تعالى، كذا في مجمع البحار وفي بعض النسخ الجهنميون بالواو، فقيل إنه علم لهم فلم يغير^(١).

١٠. عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "وعدي ربي أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثياته"^(٢)،

ولا شك أن مثل هذا الحديث يبعث كبير رجاء في أفراد أمته على صاحبها ألف ألف الصلاة والسلام،

قال الشيخ المباركفوري رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث الشريف:

"وثلاث حثيات" بفتح الحاء والمثلثة جمع حثية، والحثية والحثوة يستعمل فيما يعطيه الإنسان بكفيه دفعة واحدة من غير وزن وتقدير، قال الزركشي: بالنصب عطف على سبعين وهو مفعول يدخل فيكون حينئذ ثلاث حثيات مرة فقط، وبالرفع عطف على سبعون الذين مع كل ألف، فيكون ثلاث حثيات فسبعين مرة انتهى، قيل والرفع أبلغ قلت روى أحمد عن أبي أمامة رضي الله

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود للشيخ أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحت هذا

الحديث برقم (٤١١٥)، ط ١ / ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله برقم (٢٣٦١)،

وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه، كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد برقم (٤٢٧٦)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، باقي مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي برقم (٢١٢٧١)،

كلهم من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه.

تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب"، فقال يزيد بن الأحنس: والله ما أولئك في أمتك إلا كالذباب الأصبه في الذباب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "قد وعدني سبعين ألفا مع كل ألف سبعين ألفا وزادني ثلاث حثيات"، الحديث، قال المنذري في الترغيب: ورواه محتج بهم في الصحيح فهذه الرواية تؤيد النصب^(١).

١١. عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين؟ لا، ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين"^(٢).

ولا يحتاج إلى البيان ما يصوره هذا الحديث من كمال شفقتة ووفور رحمته صلى الله عليه وآله وسلم بالمذنبين من أمتة، ولا شك أن هذا من أكبر بواعث الرجاء، وفي شرح سنن ابن ماجة تحت الحديث المذكور:

"أي تلك الشفاعة التي خيرت بينها وبين دخول نصف الأمة الجنة ليست هي للمتقين وإنما هي للمذنبين، ويحتمل أن المراد أترون الشفاعة مخصوصة للمتقين وليس كذلك، وإنما هي شاملة للمذنبين، وفي الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات"^(٣).

١٢. عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر بمسجد بني معاوية، دخل فركع فيه

(١) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى للشيخ عبد الرحمن المباركفوري تحت هذا الحديث برقم

(٢٣٦١).

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة برقم (٤٣٠١).

(٣) شرح سنن ابن ماجة للشيخ نورالدين السندي تحت هذا الحديث برقم (٤٣٠١).

ركعتين وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً ثم انصرف فقال: "سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها"^(١).

١٣. عن خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة فأطأها، قالوا: يا رسول الله! صليت صلاة لم تكن تصليها، قال: "أجل، إنما صلاة رغبة ورهبة، وإني سألت الله فيها ثلاثاً فأعطاني اثنين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمي بسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها"^(٢).

١٤. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن حوضي أبعد من أيلة من عدن، هو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل، باللبن ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض برقم (٥١٤٥)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، مسند العشرة المبشرة بالجنة، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص برقم (١٤٩٠)،

كلاهما من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الفتن عن رسول الله، باب ما جاء في سؤال النبي ثلاثاً في أمته برقم (٢١٠١)، من حديث خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه،

وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه، كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن برقم (٣٩٤١)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، مسند الأنصار، حديث معاذ بن جبل برقم (٢١٠٩٢)،

كلاهما من حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه.

حوضه"، قالوا: يا رسول الله! أتعرفنا يومئذ؟ قال: "نعم لكم سيماء، ليست لأحد من الأمم تردون علي غرا محجلين من أثر الوضوء"^(١).

١٥. عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم إبراهيم، فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول لست لها، ولكن عليكم موسى فإنه كليم الله، فيأتون موسى فيقول لست لها، ولكن عليكم عيسى فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى فيقول لست لها، ولكن عليكم محمد فيأتوني فأقول أنا لها، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي ويلهمني محمداً أحمده بما لا تحضرنى الآن، فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً، فيقال يا محمداً! ارفع رأسك، وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب أمي أمي، فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنتقل فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً، فيقال يا محمداً! ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول يارب أمي أمي، فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان فأنتقل فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً فيقال يا محمداً! ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب أمي أمي، فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردلة من إيمان فأخرجه من النار، فأنتقل فأفعل ثم أعود الرابعة

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتعجيل في الوضوء برقم (٣٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الحوض برقم (٤٢٩٢)، من حديث حذافة بن اليمان رضي الله تعالى عنه.

فأحده بتلك الخامد وآخر له ساجدا فيقال يا محمد! ارفع رأسك وقل
تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب انذن لي فيمن قال لا إله
إلا الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي
لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله^(١).

١٦. عن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم: "إن لكل نبي حوضاً، وإنهم ليتباهون أيهم
أكثر وارداً، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم وارداً"^(٢).

و لا شك أنه كلما كان عدد الواردين على حوض سيد الشافعين وسيد
المشفعين صلى الله عليه وآله وسلم أكثر وأكثر كان أبعث للرجاء في
نفوس أمتة على صاحبها ألف ألف الصلاة والسلام.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع
الأنبياء وغيرهم برقم (٦٩٥٦)،
وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم
(٢٨٦)،

كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.
(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب
ما جاء في صفة الحوض برقم (٢٣٦٧).

١٧. عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال: "أنا فاعل"، قلت يا رسول الله! فأين أطلبك؟ قال اطلبني أول ما تطلبني على الصراط"، قلت فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: "فاطلبني عند الميزان"، قلت فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: "فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطيء هذه الثلاث المواطن"^(١).

و لا شك أن كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المواطن الثلاث ولزومه صلى الله عليه وآله وسلم لها إنما يكون شفقة على أمته ورحمة بها، فداه أرواحنا وآباؤنا وأمهاتنا وكل شيء لنا، عليه وعلى آله وأصحابه مآت آلاف التحية والسلام.

قال الشيخ المباركفوري رحمه الله تعالى في شرح الحديث المذكور:

"قلت يا رسول الله فأين أطلبك"، قال الطيبي رحمه الله أي في أي موطن من المواطن التي أحْتَاج إلى شفاعتك أطلبك لتخلصني من تلك الورطة، فأجاب على الصراط وعند الميزان والحوض، أي أفقر الأوقات إلى شفاعتي هذه المواطن"^(٢).

(١) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب ما جاء في شأن الصراط برقم (٢٣٥٧)،

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك برقم (١٢٣٦٠)، كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

(٢) تحفة الأحوذى للشيخ عبد الرحمن المباركفوري في شرح الحديث المذكور برقم (٢٣٥٧).

الفصل الخامس

نفي

الجوانب المختلفة من أهمية الرجاء

الرجاء له علاقة وثيقة بالأحكام والنظريات الإسلامية المختلفة، و إدراك هذه الأحكام والأصول يعين كثيرا في فهم أهمية الرجاء في الإسلام، من هنا نقلني في هذا الفصل الضوء على هذه الجوانب، إنشاء الله تعالى.

الجانب الأول: سعة رحمة الله تعالى

الرجاء يتعلق برحمة الله تعالى ورحمة الله واسعة، فكلما كان الإيمان بسعة رحمة الله تعالى قويا يكون الرجاء أكثر، وقد جاء بيان سعة رحمة الله تعالى في غير واحد من نصوص كتاب الله والسنة النبوية الشريفة، ونحن نذكر شيئا منها:

سعة رحمة الله تعالى في القرآن الكريم:

١. قال الله تعالى:

﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١)

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية برقم (١٥٦).

فهذه الآية وإن كانت عامة، شاملة لكل شيء لكن لها بهذه الأمة نوع خصوص،
قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:

فقال بعضهم: مخرجه عامٌ، ومعناه خاص، والمراد به ورحمتي
وسعت المؤمنين بي من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم،
واستشهد بالذي بعده من الكلام، وهو قوله: "فسأكتبها للذين
يتقون"^(١).

ثم قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:

حدثني المثنى قال، حدثنا أبو سلمة المنقري قال، حدثنا حماد
بن سلمة قال أخبرنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن
ابن عباس أنه قرأ: "ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين
يتقون"، قال: جعلها الله لهذه الأمة^(٢).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى^(٣):

وقوله تعالى: {ورحمتي وسعت كل شيء} آية عظيمة الشمول
والعموم، كقوله إخباراً عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون:
{رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا^(٤)}

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبي، حدثنا الجريري،
عن أبي عبد الله الجشمي، حدثنا جندب هو ابن عبد الله البجلي،
رضي الله تعالى عنه قال: جاء أعرابي فأناخ راحلته ثم عقلها، ثم
صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما صلى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتى راحلته فأطلق عقالها، ثم

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري تحت آية سورة الأعراف برقم (١٥٦).

(٢) المرجع السابق.

(٣) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير تحت آية سورة الأعراف برقم (١٥٦).

(٤) سورة غافر، جزء من الآية برقم (٧).

ركبها، ثم نادى: اللهم ارحمني ومحمدا، ولا تشرك في رحمتنا أحدا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أتقولون هذا أضل أم بعيره؟ ألم تسمعوا ما قال؟" قالوا: بلى، قال: "لقد حظرت رحمة واسعة، إن الله عز وجل، خلق مائة رحمة، فأنزل رحمة واحدة يتعاطف بها الخلق، جنبها وإنسها وبهائمها، وأخر عنده تسعا وتسعين رحمة، أتقولون هو أضل أم بعيره؟"^(١)

قال الإمام الألوسي رحمه الله تعالى:

{ورحمتي وسعت كل شيء} أي شأنا منها واسعة تبلغ كل شيء، ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في الدنيا بنعمتي، وفي نسبة الإصابة إلى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة إلى الرحمة بصيغة الماضي إيذان بأن الرحمة مقتضى الذات، وأما العذاب فمقتضى معاصي العباد، والمشينة معتبرة في جانب الرحمة أيضاً، وعدم التصريح بها، قيل: تعظيماً لأمر الرحمة، وقيل: للاشعار بغاية الظهور، ألا ترى إلى قوله تعالى: {فسأكتبها} فإنه متفرع على اعتبار المشينة كما لا يخفى، كأنه قيل: فإذا كان الأمر كذلك أي كما ذكر من إصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من أشاء فسأكتبها إثباتا خاصا^(٢).

قال الإمام ابن عاشور رحمه الله تعالى:

وقوله: {ورحمتي وسعت كل شيء} مقابل قول موسى {فاغفر لنا وارحمنا}، وهو وعد تعريض بمحصول الرحمة المسؤولة له ولمن معه

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، أول مسند الكوفيين، حديث جندب البجلي برقم (١٨٠٤٦)، وأخرجه الإمام أبو داود في سننه برقم (٤٢٤١)،

كلاهما من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه.

(٢) روح المعاني للإمام الألوسي تحت آية سورة غافر برقم (٧).

من المختارين، لأنها لما وسعت كل شيء فهم أرجى الناس بها، وأن العاصين هم أيضاً مغمورون بالرحمة، فمنها رحمة الإمهال والرزق، ولكن رحمة الله عباده ذات مراتب متفاوتة^(١).
والرحمة المرجوة في هذه الآية بمعنى الرضى أي رضي الله تعالى، كما يشير إلى ذلك الإمام ابن عاشور حيث يقول: وذكر خوف العذاب بعد رجاء الرحمة، للإشارة إلى أنهم في موقف الأدب مع ربهم فلا يزيدهم القرب من رضاه إلا إجلالا له وخوفا من غضبه^(٢).

٢. قال الله تعالى:

﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣)

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى:

"وادعوه خوفاً وطمعاً"، يقول: وأخلصوا له الدعاء والعمل، ولا تشركوا في عملكم له شيئاً غيره من الآلهة والأصنام وغير ذلك، وليكن ما يكون منكم في ذلك خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه، وإن من كان دعاؤه إياه على غير ذلك، فهو بالآخرة من المكذبين، لأن من لم يخف عقاب الله ولم يرج ثوابه، لم يبال ما ركب من أمر يستخطه الله ولا يرضاه^(٤).

ثم قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى:

"إن رحمة الله قريب من المحسنين"، يقول تعالى ذكره:

إن ثواب الله الذي وعد المحسنين على إحسانهم في الدنيا، قريب

(١) التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور تحت آية سورة غافر برقم (٧).

(٢) التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور، الصفحة رقم (١٤٤/١٥).

(٣) سورة الأعراف، جزء من الآية برقم (٥٧).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري تحت آية سورة الأعراف برقم (٥٧).

منهم، وذلك هو رحمته، لأنه ليس بينهم وبين أن يصيروا إلى ذلك من رحمته، وما أعد لهم من كرامته، إلا أن تفارق أرواحهم أجسادهم^(١).

ثم قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى:

قال: {قريب} ولم يقل: "قريبة"، لأنه ضمن الرحمة معنى الثواب، أو لأنها مضافة إلى الله، فلهذا قال: قريب من المحسنين، وقال مطر الوراق: تنجزوا موعود الله بطاعته، فإنه قضى أن رحمته قريب من المحسنين، رواه ابن أبي حاتم^(٢).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

"إن رحمة الله قريب من المحسنين" أي: إن رحمته مرصدة للمحسنين، الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره، كما قال تعالى: [ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي^(٣)] " ."

٣. رجاء لقاء الله تعالى:

من صفات أهل الإيمان أنهم بعد ما قدموه من عمل صالح في الدنيا، أنهم يحبون أن يلقوا بهم سبحانه وتعالى، لتوفي كل نفس ما عملت، وليمنعوا بلقاء ربه تعالى الذي ليس وراءه إلا النعيمون، وأما الكفار والمنافقون فليس شيء أكره عندهم من لقاء الله تعالى، لأنهم في يأس من رحمته وفي يأس من لقائه فيكرهون هذا اللقاء ولا يطمنون ولا يرجونه، ومن لا يرجوا لقاء الله تعالى فإن الله لا يحب لقاءه، ورذيلة

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة الأعراف، الآية برقم (١٥٦ و ١٥٧).

(٤) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير تحت آيتي سورة الأعراف برقم (١٥٦ و ١٥٧).

الكافرين التي مابعدھا رذيلة أنهم محرومون من الرجاء في الله وحسن الظن به والأمل في رحمته، ولذلك حمل القرآن المجيد حملة صارمة على أولئك اليائسين من لقاء الله لقاء رحمة وثواب، فيقول الله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^(١)].

أي لا يتوقعون لقاء الله في الآخرة أبدا، لأنهم منكرون للبعث، أو لا يؤمنون لقاء الله الخاص بالمتقين في دار الكرامة^(٢).

وهذا النوع من الرجاء فيه من الشمولية التي يندرج تحتها كل يسير ونعيم أخروي فقط، لأنه رجاء لما بعد الموت، ونرى هذه الشمولية واضحة في تفسير القاسمي لقوله تعالى [قُلْ إِيَّا مَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا^(٣)]. حيث يقول: (فمن كان يرجوا لقاء ربه) أي يخاف المصير إليه أو يأمل لقاءه ورؤيه أو جزاءه الصالح وثوابه^(٤).

فترى أنه فسر كلمة اللقاء بالخوف تارة، ثم بأمل اللقاء ثم بالرؤية ثم بالجزاء الصالح أي الثواب، ولا عجب في ذلك لأن لقاء الله تعالى من الممكن أن يحدث أيا من هذه المعاني.

ثم يصور الله لنا موقف كل من الفريقين المؤمنين والكافرين من رجاء لقائه تعالى:

فأما عن المؤمنين فيقول: (مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^(٥))، هذه الآية التي اختلف فيها المفسرون، فذهب بعضهم إلى أن (من) في الآية هي للمؤمنين والكافرين، فأما الكافرون فقالوا: بأن الرجاء هنا بمعنى

(١) سورة يونس، الآية برقم (٧ و ٨).

(٢) موسوعة أخلاق القرآن للدكتور أحمد الشرباصي، الصفحة رقم (٢/٢٣٥).

(٣) سورة الكهف، الآية برقم (١١٠).

(٤) محاسن التأويل للإمام جمال الدين القاسمي، الصفحة رقم (١١/١٠٦).

(٥) سورة العنكبوت، الآية برقم (٥).

الخوف ولقاء الله بمعنى البعث أي أن الكفار الذين يخافون ويتقون البعث، فليعلموا أن البعث حق وأن الموت آت لا محالة.

ونقل العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى رأيا آخر لبعض العلماء هو أن هذا التفسير هو خروج عن الظاهر من غير ضرورة ملحة، ثم قال عنهم: واختار بعضهم أن الرجاء بمعناه المشهور، وأن لقاء الله تعالى هو مشاهدته سبحانه على الوجه اللائق به عز وجل، ثم قال: أي من كان يتوقع مشاهدة الله تعالى يوم القيامة التي لانعيم يعد لها ويلزمها الفوز بكل خير ونعيم^(١).

وأما عن الكافرين فيقول الله تعالى: (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ^(٢))، إذن! فإن الذين لا يرجون ولا يتوقعونه ولا يعلمون له، فإنهم منغمسون في طغيانهم وكفرهم، فيذرهم الله تعالى في حالهم إلى أن يتفاجأوا باللقاء.

ويقول الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى عن الرجاء في هذه الآية (فندر الذين لا يرجون لقاءنا) أي نتركهم إمهالا واستدرجا، (في طغيانهم) أي الذي هو عدم رجاء اللقاء وإنكار البعث والجزاء، وما يتفرغ على ذلك من الأعمال السيئة والمقالات الشنيعة (يعمهُون) أي يترددون ويتحIRON^(٣).

٤ . رجاء اليوم الآخر:

وهو رجاء النجاة من تقلبات وأهوال اليوم الآخر، وفيه معنى من الخوف ولما كان اليوم الآخر من الأيام التي ينتظرها الناس كان حالهم أنهم راجون في ذلك اليوم المغفرة والرحمة ودخول الجنة،

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر اليوم الآخر مقتربا برجاء العفو من الله تعالى، فقال: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

(١) روح المعاني للإمام الآلوسي، الصفحة رقم (١٣٧/٢٠).

(٢) سورة يونس، الآية برقم (١١).

(٣) روح المعاني للإمام الآلوسي، الصفحة رقم (٧٩/١١).

وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا^(١)، أي لمن كان يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة ولا يرغب بنفسه، ولكنه تكون به أسوة في أن يكون معه حيث يكون هو،

وقال الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى: قوله (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) بمعنى يوم القيامة موضع الثواب لأن ثوابه تعالى يقع فيه، فهو إلى ما قال الطيبي من إطلاق اسم الغل على الحال، والكلام نحو قولك: أرجوا زيدا وكرمه مما يكون ذكر المعطوف عليه فيه توطئة للمعطوف وهو المقصود^(٢).

وكان نبي الله شبيب عليه السلام قد دعا قومه إلى رجاء الله واليوم الآخر، كما حكى ذلك القرآن الكريم، فقال الله تعالى: (وَأَلِيَّ مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ^(٣))،

يقول: وأرجوا بعبادتكم إياه جزاء اليوم الآخر وذلك يوم القيامة، أي توقعوه وماسيقع فيه من فنون الأهوال، وافعلوا اليوم من الأعمال ماتأمنون به غائلته، أو الأمر بالرجاء أمر بفعل ما يترتب عليه الرجاء إقامة المسبب مقام السبب، فالمعنى افعلوا ما ترجون به ثواب اليوم الآخر^(٤).

وقال صاحب مجمع البيان: قوله (وارجوا اليوم الآخر) أي وأملوا ثواب اليوم الآخر واخشوا عقابه بفعل الطاعات وتجنب السيئات^(٥).

(١) سورة الأحزاب، الآية برقم (٢١).

(٢) روح المعاني للإمام الآلوسي، الصفحة رقم (١٦٨/٢١).

(٣) سورة العنكبوت، الآية برقم (٣٦).

(٤) روح المعاني للإمام الآلوسي، الصفحة رقم (١٥٧/٢٠).

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، للإمام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، الصفحة رقم

(٢٨٣/٤)، تحقيق السيد هاشم الرسولي الخلاتي، ط ١ / ١٤٢١هـ، دار إحياء التراث

العربي، بيروت، لبنان.

سعة رحمة الله تعالى في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

ففي هذه الأحاديث الشريفة الآتية دلالة واضحة على سعة رحمة الله تعالى، فنحن نذكر مجرد متن الأحاديث بسبب الاختصار إلا أن يكون الشرح مهم جداً، والله أعلم.

١. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "جعل الله الرحمة في مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه^(١)".

قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: (فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها) خص الفرس بالذكر لأنها أشد الحيوان المألوف الذي يعاين المخاطبون حركته مع ولده، ولما في الفرس من الخفة والسرعة في التنقل، ومع ذلك تتجنب أن يصل الضرر منها إلى ولدها^(٢).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: مقتضى هذا الحديث أن الله علم أن أنواع النعم التي ينعم بها على خلقه مائة نوع، فأنعم عليهم في هذه الدنيا بنوع واحد انتظمت به مصالحهم وحصلت به مرافقهم، فإذا كان يوم القيامة كمل لعباده المؤمنين ما بقي فبلغت مائة وكلها للمؤمنين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا^(٣)﴾، فإنَّ رَحِيمًا من أبنية المبالغة التي لا شيء فوقها، ويفهم من هذا أن الكفار لا يبقى لهم

^(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء برقم

(٥٥٤١)،

والإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى برقم (٤٩٤٢)، وأخرجه الإمام الترمذي أيضاً في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله، باب خلق الله مائة رحمة برقم (٣٤٦٤)،

كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

^(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر تحت هذا الحديث برقم (٥٥٤١).

^(٣) سورة الأحزاب، جزء من الآية برقم (٤٣).

خط من الرحمة لا من جنس رحمت الدنيا ولا غيرها، إذا كمل كل ما كان في علم الله من الرحمت للمؤمنين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾^(١).
قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:

هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين، قال العلماء: لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار - المبنية على الأكدار - بالإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به، فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة، وهي دار القرار ودار الجزاء، والله أعلم، هكذا وقع في نسخ بلادنا جميعاً (جعل الله الرحمة مائة جزء) وذكر القاضي (جعل الله الرحم) بحذف الهاء وبضم الراء، قال: ورويناه بضم الراء ويجوز فتحها ومعناه الرحمة^(٢).

قال الشيخ المباركفوري رحمه الله تعالى:

قال الطيبي: رحمة الله تعالى لا نهاية لها، فلم يرد بما ذكره تحديداً، بل تصويراً للتفاوت بين قسط أهل الإيمان، منها في الآخرة وقسط كافة المربوبين في الدنيا^(٣).

٢. وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال "أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو نائم، عليه ثوب أبيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته فإذا هو نائم، وقد استيقظ فجلست إليه فقال: "ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة". قلت: وإن زنى وإن سرق! قال: "وإن زنى وإن سرق". قلت: وإن زنى وإن سرق! قال: "وإن زنى وإن سرق"، ثلاثاً ثم قال في الرابعة على رغم أنف أبي ذر،

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية برقم (١٥٦).

(٢) النووي شرح صحيح مسلم للإمام النووي تحت هذا الحديث برقم (٤٩٤٢).

(٣) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى للشيخ عبدالرحمن المباركفوري تحت هذا الحديث برقم

فخرج أبوذر وهو يقول وإن رغم أنف أبي ذر^(١).

٣. وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: ذكر لي أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ: "من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة قال: ألا أبشّر الناس، قال: لا، إني أخاف أن يتكلوا"^(٢).

٤. وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أتاني آت من ربي فأخبرني، أو قال فبشّرني، أنّه من مات من أمّتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق^(٣).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب الثياب البيض برقم (٥٣٧٩)، وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة برقم (١٣٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا برقم (١٢٦)، وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة برقم (٤٧).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله برقم (١١٦١)، وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة برقم (١٣٧).

٥. وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً فقال: يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الموجبتان؟ فقال: "من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله دخل النار"^(١).
٦. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يدخل النار أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردلٍ من الإيمان، ولا يدخل الجنة أحدٌ في قلبه مثقال حبة من كبرياء"^(٢).
٧. وعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأنّ الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"^(٣).

- (١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله برقم (١١٦٢)، وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة برقم (١٣٥).
- (٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه برقم (١٣٢)، وأخرجه الإمام الترمذي أيضاً في جامعه، أبواب البر والصلة عن رسول الله برقم (١٩٢١)، وأخرجه الإمام أبو داود أيضاً في سننه، كتاب اللباس برقم (٣٥٦٨)، وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه، كتاب الزهد برقم (٤١٦٣)، وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة برقم (٣٧١٨)، كلهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.
- (٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب حديث الأنبياء، باب قوله يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم برقم (٣١٨٠)، وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً برقم (٤١)، كلاهما من حديث عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه.

٨. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: له يوماً من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقناً بما قلبه، فبشّره بالجنة^(١).
٩. عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبيّ فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي، إذ وجدت صبيّاً في السبي أخذته فألصقته بطنها وأرضعته، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها"^(٢)،

قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله "إذ وجدت صبيّاً أخذته"، عرف من سياقه أنها كانت فقدت صبيّاً أرضعته ليخف عنها، فلما وجدت صبيّاً بعينه أخذته فالتزمته، قوله "أترون" أي أنظنون، قوله "قلنا لا" أي لا تطرحه طائعة أبداً، قوله: "لله أرحم بعباده" كأن المراد بالعباد هنا من مات على الإسلام، ويؤيده ما أخرجه الحاكم من حديث أنس رضي الله تعالى عنه "تقول ابني ابني، وسعت فأخذته، فقال القوم، يا رسول الله! ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار، فقال: "ولا الله بطارح حبيبه في النار"، فالتعبير بحسبه يخرج الكافر، وكذا من شاء إدخاله ممن لم يتب من مرتكبي الكبائر^(٣).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً برقم (٤٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الوالد وتقبيله ومعانقته برقم (٥٥٤٠).

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (٤٩٤٧).

كلاهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر تحت هذا الحديث برقم (٥٥٤٠).

١٠. عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها، وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة"^(١).

١١. عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أن رجلاً قتل تسعة وتسعون نفساً، فجعل يسأل هل له من توبة؟ فأتى راهباً فسأل، فقال ليست لك توبة، فقتل الراهب، ثم جعل يسأل، ثم خرج من قرية إلى قرية فيها قومٌ صالحون، فلما كان في بعض الطرق أدركه الموت، فنأى ب صدره ثم مات فاخصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشير، فجعل من أهلها"^(٢).

قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: "أن رجلاً" لم أقف على اسمه، "فأتى راهباً" فيه إشعارٌ بأن ذلك كان بعد رفع عيسى صلى الله عليه وآله وسلم، لأن الرهبانية إنما ابتدعتها أتباعه كما نص عليه القرآن، "فنأى" أي مال أو نهض مع تشاقل

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب فضل المنيحة برقم (٢٤٣٨)،

وأخرجه الإمام أبو داود أيضاً في سننه، كتاب الزكاة برقم (١٤٣٣)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة برقم (٦٢٠٠)،

كلهم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل و حديث الغار برقم (٣٢١١)،

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله برقم (٤٩٦٨)،

وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه، كتاب الديات، باب هل لقاتل مؤمن توبة برقم (٢٦١٢)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، باقي مسند المكثرين برقم (١٠٧٢٧)،

كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه.

أي مال إلى الأرض التي طلبها^(١).

١٢. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنَّ لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفوهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادةً وأشدَّ لك تمجيدياً وأكثر لك تسييحاً، قال: يقول: فما يسألونني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا ربَّ ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو آلهم رأوها؟ قال: يقولون: لو آلهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً وأشدَّ لها طلباً وأعظم منها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ياربَّ ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً وأشدَّ لها مخافة، قال: يقول: فأشهدكم أنني قد غفرت لهم، قال: يقول ملكٌ من الملائكة: فيهم فلانٌ ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم^(٢)."

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر تحت هذا الحديث برقم (٣٢١١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل برقم (٥٩٢٩)،

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم (٤٨٥٤)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، باقي مسند المكثرين برقم (٧١١٧)،

كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

١٣ . عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: بينما رجل يمشي في طريق إذ وجد غصن شوك، فأخذه فشكر الله له فغفر له^(١).

١٤ . عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "حوسب رجلٌ ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير إلا غصن شوك كان على الطريق، كان يؤذي الناس فعزله فغفر له"^(٢).

قال الإمام ابن حبان رحمه الله تعالى:

قال أبو حاتم: "الله جل وعلا أجل من أن يشكر عبده إذ هو البادئ بالإحسان إليهم والمتفضل بإتمامها عليهم، ولكن رضي الله جل وعلا بعمل العبد عنه يكون شكراً من الله جل وعلا على ذلك الفعل".

١٥ . عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له" قالوا: يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن لنا

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل التهجير إلى الظهر برقم (٦١٥)، وكتاب الإمارة، باب بيان الشهداء برقم (٣٥٣٨)،

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق برقم (٤٧٤٣)،

وأخرجه الإمام الترمذي أيضاً في جامعه، أبواب البر والصلة عن رسول الله برقم (١٨٨١)،

وأخرجه الإمام أبو داود أيضاً في سننه، كتاب الأدب برقم (٤٥٦٥)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، باقي مسند المكثرين برقم (٧٥٠٥)،

كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٢) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه، باب ذكر البيان بأن هذا الرجل الذي نحى غصن الشوك من الطريق لم يعمل خيراً غيره برقم (٥٣٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

في البهائم أجراً؟ فقال: "في كل ذات كبدٍ رطبةٍ أجرٌ"^(١)،
قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله "يأكل الثرى" بالمثلثة أي: يكدم بفمه
التراب الندى، وفي المحكم الثرى التراب وقيل التراب الذي إذا بل ولم يصر طيناً لازباً،
قوله: "فشكر الله" أي: أثنى عليه أو قبل عمله، أو جزاه بفعله، وقال القرطبي: معنى
قوله فشكر الله له، أي: أظهر ما جزاه به عند الملائكة، وقوله "كل كبد رطبة" أي: كل
كبد حية، والمراد رطوبة الحياة أو لأن الرطوبة لازمة للحياة فهو كناية^(٢).

١٦. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أن امرأة
بغياً رأت كلباً في يومٍ حارٍ يطيف ببئرٍ قد أدلج لسانه من العطش، فنزعت بموقها،
فغفر لها"^(٣).

قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: "يطيف" بضم أوله من أطاف يقال أطفت
بالشيء إذا أدمت المرور حوله، قوله "بغياً" بفتح الموحدة وكسر المعجمة هي الزانية،
وتطلق على الأمة مطلقاً، قوله "موقها" بضم الميم وسكون الواو بعدها قاف هو الخف،

^(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء برقم (٢٢٨٦)،
وكتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم برقم (٥٥٥٠)،
وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة
وإطعامها برقم (٤١٦٢)،
وأخرجه الإمام أبو داود أيضاً في سننه، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب
والبهائم برقم (٢١٨٧)،
وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، باقي مسند المكثرين برقم (٨٥١٩)،
كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

^(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر تحت هذا الحديث برقم (٢٢٨٦).

^(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها
برقم (٤١٦٣)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، باقي مسند المكثرين برقم (١٠١٧٨)،
كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

وقيل: ما يلبس فوق الخف^(١).

١٧. وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من عشرين مرة يقول: "كان ذوالكفل من بني إسرائيل لا يتورع من شيء فهو امرأة فراودها على نفسها، وأعطاهما ستين ديناراً، فلما جلس منها، بكت وأرعدت فقال لها مالك؟ فقالت: إني والله لم أعمل هذا العمل قط وما عملته إلا من حاجة، قال: فندم ذوالكفل وقام من غير أن يكون منه شيء، فأدركه الموت من ليلته، فلما أصبح وجدوا على بابه مكتوباً، إن الله قد غفر لك^(٢)".

١٨. عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خلق الله عز وجل يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة، فجعل في الأرض منها رحمة، فيها تعطف الوالدة على ولدها، والبهائم بعضها على بعض والطيور، وآخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة أكملها الله بهذه الرحمة^(٣).

١٩. عن جندب بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال، جاء أعرابي فأناخ راحلته، ثم عقلها، فصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتى راحلته فأطلق عقالها، ثم ركبها ثم نادى: اللهم ارحمني ومحمداً ولا تشرك في رحمتنا أحداً، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أتقولون هو

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر تحت هذا الحديث، الصفحة رقم (٥٩١/٦).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله برقم (٢٤٢٠)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة برقم (٤٥١٧)، كلاهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٤٩٤٦)، من حديث سلمان بن الإسلام رضي الله تعالى عنه، وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة برقم (٤٢٨٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه.

أضل أم بعيره، ألم تسمعوا ما قال؟ قالوا: بلى، قال: لقد حظر رحمة الله واسعة، إن الله خلق مائة رحمة، فأنزل رحمة يعاطف بها الخلائق جنها وإنسها ومهائمها، وعنده تسع وتسعون رحمة^(١).

٢٠. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش، إن رحمتي غلبت غضبي^(٢)، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

"قال أبو سليمان الخطابي: أراد بالكتاب أحد شيئين: إما القضاء الذي قضاه وأوجبه كقوله سبحانه وتعالى: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} (٣)، أي قضى الله ويكون معنى قوله: "فهو عنده فوق العرش"، أي فعلم ذلك عند الله فوق العرش لا ينساه ولا ينسخه ولا يبدله، كقوله سبحانه وتعالى: {قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا

(١) أخرجه الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في المستدرک علی الصحیحین، کتاب التوبة والإنباء برقم (٧٧٣٨)، من حدیث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه، وقال هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه، ط ٢ / ١٤٠٩ هـ، دار الكتاب العرب، بیروت، لبنان.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى وهو الذي يبدء الخلق برقم (٢٩٥٥)،

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٤٩٣٩)،

وأخرجه الإمام الترمذي أيضاً في جامعه برقم (٣٤٦٦)،

وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه برقم (٤٢٨٥)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (٨٣٤٦)،

كلهم من حدیث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٣) سورة المجادلة، جزء من الآية برقم (٢١).

يُنْسَى^(١)، وإما أن يكون أراد بالكتاب اللوح المحفوظ الذي فيه ذكر الخلق وبيان أمورهم وذكر آجالهم وأرزاقهم والأقضية النافذة فيهم ومآل عواقب أمورهم^(٢).
قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:

وفي رواية: (سبقت رحمتي غضبي)، قال العلماء: غضب الله تعالى ورضاه يرجعان إلى معنى الإرادة، فإرادته الإثابة للمطيع، ومنفعة العبد تسمى رضا ورحمة، وإرادته عقاب العاصي وخذلانه تسمى غضبا، وإرادته سبحانه وتعالى صفة له قديمة يريد بها جميع المرادات، قالوا: والمراد بالسبق والغلبة هنا كثرة الرحمة وشمولها، كما يقال: غلب على فلان الكرم والشجاعة إذا كثرا منه^(٣).
قال الشيخ المباركفوري رحمه الله تعالى:

قال الجزري قوله: إن رحمتي تغلب غضبي هو إشارة إلى سعة الرحمة وشمولها الخلق، كما يقال غلب على فلان الكرم أي هو أكثر خصاله، وإلا فرحمة الله وغضبه صفتان راجعتان إلى إرادته للثواب والعقاب، وصفاته لا توصف بغلبة إحداهما الأخرى وإنما على سبيل المجاز للمبالغة، وقال الطيبي: أي لما خلق الخلق حكم حكما جازما، ووعد وعدا لازما، لا خلف فيه بأن رحمتي سبقت غضبي، فإن المبالغ في حكمه إذا أراد إحكامه عقد عليه سجلا وحفظه، ووجه المناسبة بين قضاء الخلق وسبق الرحمة أنهم مخلوقون للعبادة شكرا للنعم الفائضة عليهم، ولا يقدر أحد على أداء حق الشكر، وبعضهم يقصرون فيه، فسبقت رحمته في حق الشاكر، بأن وفي جزاءه وزاد عليه ما لا يدخل تحت الحصر، وفي حق المقصر إذا تاب ورجع

(١) سورة طه، جزء من الآية برقم (٥٢).

(٢) أصول الإيمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب، الصفحة رقم (٥٣)، تحقيق باسم فيصل الجوابرة، ط ١ / ١٤٢٩ هـ، دار الراية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٣) النووي شرح صحيح مسلم للإمام النووي تحت هذا الحديث برقم (٤٩٣٩).

بالمغفرة والتجاوز، ومعنى سبقت رحمتي تمثيل لكثرتها وغلبتها على الغضب
بفرسي رهان تسابقتا فسبقت إحداهما الأخرى^(١).

٢١. قال الإمام ابن الدنيا رحمه الله تعالى:

حدثنا إسماعيل بن عبيد الله بن عمر الحراني، حدثنا سعيد بن بزيع، حدثني
محمد بن إسحاق، قال فحدثني رجل من أهل الشام يقال له أبو منظور،
قال حدثني عمي، عن عامر الرام، أخي الخضر قال أبو أحمد: قبيلة من
محارب قال: إني لبلادنا، إذ رفعت لي آيات وألوية، فقلت من هذا؟
فقالوا: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبلت فإذا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرة قد بسط له تحتها كساء وهو جالس
حوله أصحابه، فبينما نحن كذلك إذ أقبل رجل عليه كساء، في يده شيء قد
التف عليه فقال: يا رسول الله! لما رأيتك أقبلت فمررت بغیضة من شجر،
فسمعت فيها أصوات فراخ طائر، فأخذت فوضعتهن في كساني، فأقبلت
أمهن فاستدارت على رأسي، فكشفت لها عنهن، فوقعت معهن، فلففتهن
جميعاً، فهم أولاء معي، قال: ضعهن عنك، فوضعتهن بكساني، فأبت إلا
لزومهن، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أتعجبون لرحمة أم
الأفراخ بفراخها؟ والذي بعثني بالحق لله أرحم بعباده من أم الأفراخ
بفراخها، اذهب بمن حتى تضعهن من حيث أخذت، قال فذهب بمن
فردهن^(٢).

(١) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى تحت هذا الحديث برقم (٣٤٦٦)، أبواب الدعوات عن
رسول الله.

(٢) حسن الظن بالله للإمام ابن الدنيا، الصفحة رقم (٢١).

الجانب الثاني: حسن الظن بالله تعالى

الرجاء بالله يعني أن المؤمن يحسن الظن بالله، وحسن الظن بالله مما أمر به الشرع وندب إليه القرآن والسنة، ونذكر هنا شيئا من النصوص الدالة على ذلك:

١. عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل وفاته بثلاث يقول: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن^(١)).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:

قال العلماء: هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة، وقد سبق في الحديث الآخر قوله سبحانه وتعالى: (أنا عند ظن عبدي بي)، قال العلماء: معنى (حسن الظن بالله تعالى) أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه^(٢).

٢. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "حسن الظن من حسن العبادة"^(٣).

قال الشيخ العظيم آبادي رحمه الله تعالى: قوله (حسن الظن): أي

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت برقم (٥١٢٤ و ٥١٢٥)،

وأخرجه الإمام أبو داود أيضاً في سننه برقم (٢٧٠٦)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (١٤٦٦٤)،

كلهم من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنه.

(٢) النووي شرح صحيح مسلم للإمام النووي، الصفحة رقم (٣٣٢/١٧).

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في حسن الظن بالله برقم (٤٣٤١)،

وأخرجه الإمام الترمذي أيضاً في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله برقم (٣٥٣٣)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، كتاب باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة برقم

(٧٦١٥)،

كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

بالمسلمين، وبالله تعالى (من حسن العبادة): أي من جملة حسن العبادة التي يتقرب بها إلى الله تعالى، وفائدة هذا الحديث الإعلام بأن حسن الظن عبادة من العبادات الحسنة، كما أن سوء الظن معصية من معاصي الله تعالى، كما قال تعالى {إن بعض الظن إثم} أي وبعضه حسن من العبادة كذا في السراج المنير^(١).

٣. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله يقول أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني^(٢)، ومعنى "أنا عند ظن عبدي بي"، أي قادر على أن أعمل به ما ظن أي عامل به^(٣).

٤. عن وائلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء^(٤).

٥. عن حيان أبي النضر، قال خرجت عائدا ليزيد بن الأسود فلقيت وائلة بن الأسقع وهو يريد عيادته، فدخلنا عليه، فلما رأى وائلة، بسط يده، وجعل يشير إليه، فأقبل وائلة حتى جلس، فأخذ يزيد بكفي وائلة، فجعلهما على وجهه، فقال له وائلة: كيف ظنك بالله؟ قال: ظني بالله والله حسن، قال: فأبشر، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود للشيخ العظيم آبادي، كتاب الأدب، باب في حسن الظن بالله برقم (٤٣٤١).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الزهد، باب في حسن الظن بالله برقم (٢٣١٠)، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

(٣) كتاب الخوف والرجاء للشيخ صفوت عبدالفتاح محمود، الصفحة رقم (١٨٩).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب مسند المكين، باب حديث وائلة بن الأسقع من الشاميين برقم (١٥٤٤٢)،

وأخرجه الإمام الدارمي أيضاً في سننه، كتاب الرقاق، باب في حسن الظن بالله برقم (٢٦١٥).

وسلم، يقول: قال الله جل وعلا: أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً، وإن ظن شراً^(١).

٦. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن الله جل وعلا يقول: أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيراً فله، وإن ظن شراً فله^(٢).

٧. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "قال الله: أنا عند ظن عبدي بي"^(٣).

قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى: "أي: قادرٌ على أن أعمل به ما ظن آني عامل به، وقال الكرماني: وفي السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف، وكأنه أخذه من جهة التسوية، فإنّ العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظنّ إيقاع الوعيد، وهو جانب الخوف، لأنه لا يختار لنفسه بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد وهو جانب الرجاء، وهو كما قال أهل التحقيق بالمستحضر، ويؤيد ذلك حديث: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله"^(٤).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكيين، حديث واثلة بن الأسقع برقم (١٥٤٤٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، باقي المسند السابق برقم (٨٧١٥).

(٣) جزء من حديث طويل، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه برقم (٧٤٠٥) و باب قول الله تعالى يريدون أن يدلوا كلام الله برقم (٧٥٠٥)،

والإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم (٢٦٧٥)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر تحت هذين الحديثين برقم (٧٤٠٥) و (٧٥٠٥).

نماذج من حسن الظن بالله عند أولياء الله والسلف رحمهم الله تعالى:

١ . قال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى:

حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا أبو عمر الضريير، حدثنا سهيل، أخو حزم القطعي قال: رأيت مالك بن دينار رحمه الله تعالى في منامي، فقلت يا أبا يحيى! ليت شعري ماذا قدمت به على الله عز وجل؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة، محابها عني حسن الظن بالله^(١).

٢ . وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا الحسين بن عمرو، عن يحيى بن يمان، قال: قال سفيان الثوري رحمه الله: ما أحب أن حسابي جعل إلى والدي، ربي خير لي من والدي^(٢).

٣ . قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

أخبرنا أحمد بن محمد الماليني، حدثنا أبو عمرو عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، قال: سمعت أبا بكر عبد الله بن إبراهيم بن الصباح، يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازي، يقول: لقد رجوت ممن ألبسني بين الأحياء ثوب عافيته أن لا يعذبني بعد الممات، وقد عرفت جود رافته، إلهي! إن كنت غير مستأهل لما أرجو من رحمتك فأنت أهل أن تجود على المذنبين بفضل سعتك، إلهي! لولا ما عرفت من عدلك ما خفت من عذابك، ولولا ما عرفت من فضلك ما رجوت ثوابك، إلهي! إن كنت لا تعفو إلا أهل طاعتك فإلى من يفرع المذنبون؟ وإن كنت لا

(١) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٨).

(٢) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٣٨).

ترحم إلا أهل تقواك فمن يستغيث المسيئون؟^(١).

٤. وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى أيضاً:

سمعت أبا محمد بن يوسف، يقول: سمعت منصور بن محمد بن إبراهيم الفقيه، يقول: سمعت محمد بن محمد بن عبد الله الزيدي، يقول: قال بعض الحكماء في مناجاته: إلهي! لو أتاني الخبر أنك غير قابل دعائي ولا سامع شكواي، ما تركت دعائك ما بل ريق لساني، أين يذهب الفقير إلا إلى الغني؟ وأين يذهب الدليل إلا إلى العزيز؟ أنت أغنى الأغنياء وأعز الأعراء يا رب^(٢).

٥. وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى أيضاً:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الجرجاني الواعظ، يقول: حدثنا أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان الباغندي، حدثنا أحمد بن أبي الخواري، قال: سمعت أبا سليمان الداراني، - ووقفت عليه وهو لا يراني فسمعته - يقول: لئن طالبتي بذنوبي لأطالبك بعفوك، ولئن طالبتي بتوبتي لأطالبك بسخائك، ولئن أدخلتني النار لأخبرن أهل النار أي أحبك^(٣).

٦. وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى أيضاً:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير، حدثنا أبو محمد الجريري، قال: سمعت سهل بن عبد الله التستري، يقول: ينبغي للعاقل أن يقول: إلهي! إن بعد علمي فإني عبدك، كرمك أرجو وأؤمل دوامها عندي، ولا أتوهم

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٨٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٨٦).

عليها إذ خلقتني وصيرتني عبدا لك، أن تكلني إلى نفسي أو
تولي أمري غيرك^(١).

٧. قال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى:

حدثنا زهير بن حرب، حدثنا شباة بن سوار، حدثنا هشام بن
الغاز، حدثني حيان أبو النضر، قال: قال وائلة بن الأسقع:
قدي إلى يزيد بن الأسود، فإنه قد بلغني أن ألما به، قال: فقدته
فدخل عليه وهو ثقيل، فقلت له: إنه ثقيل قد وجه، وقد ذهب
عقله، قال: نادوه، فنادوه، فقلت: إن هذا وائلة أخوك، قال:
فأبقى الله من عقله ما سمع أن وائلة قد جاء، قال: فمد يده،
فجعل يلتمس بما، فعرفت ما يريد، فأخذت كف وائلة
فجعلتها في كفه، وإنما أراد أن تقع يده في يد وائلة ذلك
لموضع يد وائلة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،
فجعل يضعها مرة على وجهه، ومرة على صدره، ومرة على
فيه، قال وائلة: ألا تخبرني عن شيء أسألك عنه؟ كيف ظنك
بالله؟ قال: أغرقتني ذنوبي وأشفيت على هلكة، لكني أرجو
رحمة الله، قال: فكبر وائلة وكبر أهل البيت بتكبيره، قال: الله
أكبر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يقول
الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن ظان ما شاء^(٢).

٨. وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

زعم الحسن بن علي الحلواني قال: حدثنا عمران بن أبان
الواسطي، قال: حدثنا خلف بن خليفة، عن ابن أخي الشعبي،
أو عن ابن عمه، عن الشعبي، عن مسروق، عن ابن مسعود:

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٩٨).

(٢) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٣).

أن امرأة من الأنصار أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعشرة أولاد لها، فقالت: هؤلاء أولادي معك أغز بهم في سبيل الله فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يغزو بهم، فكانت تسأل عنهم حتى استشهد منهم سبعة فكانت بمن مضى منهم أشد فرحاً منها بمن بقي حتى بقي واحد منهم، فكان أصغرهم وكان فيه التواء فمرض فكانت أمه عند رأسه تمرضه وتبكي فقال: يا أمه! ما لك لم تبكين؟ لإخوتي كانوا خيراً لك مني وكان في عليك التواء؟ قالت: لذلك أبكي قال: يا أمه، أرايت لو أن النار بين يديك أكنت تلقيني فيها؟ قالت: لا، قال: فإن ربي عز وجل أرحم بي منك قال: فمات، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن ابنك قد غفر له بحسن ظنه بربه^(١).

٩. وقال الإمام ابن الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير، عن ليث، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عبد الله رضي الله تعالى عنه، قال: لله أرحم بعبده يوم يأتيه، أو يوم يلقاه، من أم واحد فرشت له بأرض قر، ثم قامت فلمست فراشه بيدها، فإن كانت شوكة كانت بما قبله، وإن كان لذغة كانت بما قبله^(٢).

١٠. وقال الإمام ابن الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا أبو عمر الضرير، حدثنا سهيل، أخو حزم القطعي قال: رأيت مالك بن دينار رحمه الله تعالى في منامي، فقلت: يا أبا يحيى ليت شعري ماذا قدمت به على الله عز وجل؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة، محابها عني حسن الظن

(١) حسن الظن بالله للإمام ابن الدنيا، الصفحة رقم (٤٨).

(٢) حسن الظن بالله للإمام ابن الدنيا، الصفحة رقم (٢٢).

بالله^(١).

١١ . وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا عمار بن عثمان الحلبي، قال: حدثني حصين بن القاسم الوزان، عن عبد الواحد بن زيد رحمه الله، قال: رأيت حوشبا في منامي، فقلت: أبا بشر كيف حالكم؟ قال: نجونا بعفو الله، قال: قلت: فما تأمرنا به؟ قال: عليك بمجالس الذكر، وحسن الظن بمولائك، فكفى بهما خيراً^(٢).

١٢ . وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثني محمد بن الحسين، حدثنا عبيد الله بن موسى، حدثنا عمار بن يوسف، قال: رأيت حسن بن صالح في منامي، فقلت: قد كنت متمنياً للقائك، فماذا عندك فتخبرنا به؟ فقال: أبشر فلم أر مثل حسن الظن بالله عز وجل شيئاً^(٣).

١٣ . وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا إسماعيل بن زكريا الكوفي، حدثنا منصور بن الحجاج، قال: قال عمر بن ذر رحمه الله تعالى: إن لي في ربي جل وعز أملين: أملأ أن لا يعذبني بالنار، فإن عذبني لم يخلدني فيها مع من أشرك به^(٤).

١٤ . وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا أبو الحسن البصري أحمد بن عبد الله، حدثنا سليمان بن

(١) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٨).

(٢) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٩).

(٣) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (١١).

(٤) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (١٧).

نوح، عن يونس، عن الحسن، قال: أتى أعرابي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله! من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ قال: الله عز وجل قال: أفلحت ورب الكعبة، إذا يترك حقه، وربما قال: إذا لا يأخذ حقه^(١).

١٥. وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا أبو جعفر المؤدب أحمد بن بشر بن الحارث في جنازة بشر بن الحارث رحمه الله قال: حدثنا عطاء بن المبارك، قال: قال بعض العباد: لما علمت أن ربي عز وجل يلي محاسبي زال عني حزني، لأن الكريم إذا حاسب عبده تفضل^(٢).

١٦. وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا أبو عبد الرحمن الكوفي، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، قال: سمعت ثابتاً، قال: كان شاب به رهق، وكانت أمه تعظه، تقول: أي بني! إن لك يوماً، فاذا ذكر يومك، يا بني! إن لك يوماً فاذا ذكر يومك، فلما نزل به الموت قالت: أي بني! قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول لك: إن لك يوماً فاذا ذكر يومك، فقال: يا أمه! إن لي ربا كثير المعروف، فأنا أرجو أن لا يعدمني بعض معروف ربي أن يرحمني قال ثابت: فرحمه الله بحسن ظنه بربه في حاله تلك^(٣).

١٧. وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا أبو عمرو محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة المروزي قال: أخبرنا علي بن شقيق، أخبرنا الحسين بن واقد، عن أبي

(١) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٢٦).

(٢) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٢٧).

(٣) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٣٥).

غالب، قال: كنت أختلف إلى الشام في تجارة، وعظم ما كنت أختلف من أجل أبي أمامة فإذا فيها رجل من قيس من خيار المسلمين، فكنت أنزل عليه ومعنا ابن أخ له مخالف، يأمره وينهاه ويضربه فلا يطيعه، فمرض الفتي فبعث إلى عمه فأبى أن يأتيه قال: فأتيته به حتى أدخلته عليه، فأقبل عليه يسبه ويقول: أي عدو الله الخبيث، ألم تفعل كذا؟ ألم تفعل كذا؟ قال: أفرغت أي عم؟ قال: نعم، قال: أرأيت لو أن الله عز وجل دفعني إلى والدي، ما كانت صانعة بي؟ قال: إذا والله كانت تدخلك الجنة، قال: فوالله لله أرحم بي من والدي، فقبض الفتي، قال: فخرج عليه عبد الملك بن مروان، فدخلت القبر مع عمه، قال: فخطوا له خطا ولم يلحدوا، قال: فقلنا: باللبن فسوينا، قال: فسقطت منه لينة، فوثب عمه وتأخر، قلت: ما شأنك؟ قال: ملئ قبره نورا، وفسح له فيه مد البصر^(١).

١٨ . وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد القرشي، عن الحسين بن علي، عن محمد بن أبان، عن حميد قال: كان لي ابن أخت مرهق، فمرض، فأرسلت إلي أمه، فأتيتها فإذا هي عند رأسه تبكي، فقال: يا خالي! ما يبكيها؟ قلت: ما تعلم منك، قال: أليس إنما ترهمني؟ قلت: بلى، قال: فإن الله عز وجل أرحم بي منها، فلما مات أنزلته القبر مع غيري، فذهبت أسوي لينة فاطلعت في اللحد، فإذا هو مد البصر، فقلت لصاحبي: هل رأيت ما رأيت؟ قال: نعم فليهنك ذلك، فظننت أنه بالكلمة

(١) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٣٦).

التي قالها^(١).

١٩ . وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثني أبو إسحاق الرياحي، حدثنا مرجان بن وداع، قال: كان شاب به رهق فاحتضر، فقالت له أمه: أي بني! توصي بشيء، قال: نعم، خاتمي لا تسلبيني، فإن فيه ذكر الله عز وجل، لعل الله أن يرحمني، قال: فمات فرني في النوم، فقال: أخبروا أمي بأن الكلمة قد نفعني، وأن الله عز وجل قد غفر لي^(٢).

٢٠ . وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا بشر بن معاذ العقدي، قال: قال عباد المنقري: خرجت يوماً أريد الجبان، فإذا بثلاثة نفر يحملون جنازة ومعهم امرأة، قال: فحملت معهم حتى انتهينا إلى الجبان، فقلت: صلوا على صاحبكم، فقالوا: أنت فصل عليه، فإنما نحن حاملون، قال: فصليت عليه، ودفناه، فبينما أنا قاعد إذ غلبتني عياني، فأريت في منامي، فقيل لي: قد غفر الله للميت، قال: فانتبهت فزعا، فسألت عن أمره، فقيل: سل المرأة فهي أمه، فسألته، فقالت: ما تريد إلى ذلك؟ فأخبرتها، فحمدت الله، وقالت: كان ابني مسرفاً على نفسه، فلما احتضر قال: يا أمه! ألقني خدي بالتراب، ففعلت، فقال: ضعي قدميك عليه، واستوهبيني من ربي لعله أن يرحمني، واقلمي فص خاتمي، فإن فيه لا إله إلا الله، فاجعله في كفي، لعل ذلك ينفعني، قالت: ففعلت به قال أبو بكر: فقلت لبشر بن معاذ: من حدثك بهذا

(١) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٣٧).

(٢) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٣٩).

عن عباد؟ قال: حدثني من أثق به من أصحابنا^(١).

٢١. وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

زعم محمد بن الحسين، أن شعيب بن محرز حدثهم قال: حدثنا عبد الله بن شبيب، قال: سمعت أبي ذكر المعاصي، فأكبرها وأعظمها ثم قال: وإن كان كل ما عصيت به عظيماً، فإنه في سعة رحمتك صغير^(٢).

٢٢. وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

زعم محمد بن الحسين قال: حدثني صدقة بن سليمان، قال: حدثني مسمع، قال: قالت امرأة من العرب ذات عقل ودين: سبحانك إلهي! إمهالك المذنبين أطمعني لهم في حسن عفوك عنهم، سبحانك إلهي! لم يزل قلبي يشهد برضائك لمن نال عفوك، سبحانك إلهي تفضلاً منك وامتناناً على خلقك^(٣).

(١) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٤٤).

(٢) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٤١).

(٣) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٥٦).

الجانب الثالث: سعة مغفرة الله

من أنواع الرجاء ومواقفه أن العبد إذا صدر منه ذنب توجه إلى الله تعالى واستغفره وتاب إليه، وهذا إنما يكون إذا اعتقد العبد أن الله تعالى واسع المغفرة يغفر الذنوب جميعاً، وقد بين الله تعالى في غير واحد من مواضع من القرآن الكريم كما بينه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدد غير قليل من الأحاديث، ونحن نذكر هنا شيئاً من هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة:

سعة مغفرة الله في القرآن الكريم:

١. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾^(١)

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: قال ابن جرير: حدثني سليمان بن عبد الجبار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس: {الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم} قال: هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن تغفر اللهم تغفر لهما...، وأي عبد لك ما ألاما...، وهكذا رواه الترمذي، عن أحمد بن عثمان أبي عثمان البصري، عن أبي عاصم النبيل، ثم قال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ثم قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا يونس، عن الحسن، عن أبي هريرة، أراه رفعه: {الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم} قال:

(١) سورة النجم، جزء من الآية برقم (٣٢).

"اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود، واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود"، قال: "ذلك الإمام"،

وحدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن في قول الله: {الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم}، قال: اللمم من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر، ثم لا يعود،

وحدثني يعقوب، حدثنا ابن عليّة، عن أبي رجاء، عن الحسن في قول الله: {الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم}، قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولون: هو الرجل يصيب اللمة من الزنا، واللمة من شرب الخمر، فيجتنبها ويتوب منها، وقال ابن جرير، عن عطاء، عن ابن عباس: {إلا اللمم} يلم بها في الحين. قلت: الزنا؟ قال: الزنا ثم يتوب^(١).

٢. وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢)، قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى^(٣):

وقال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم قال يعلى إن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا محمدا

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير تحت آية سورة النجم برقم (٣٢).

(٢) سورة الزمر، الآية برقم (٥٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير تحت آية سورة الزمر برقم (٥٣).

صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا إن الذي تقول وتدعو إليه
 لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فترل {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ
 مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
 وَلَا يَزْنُونَ^(١)}، ونزلت {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ^(٢)}.

وقال الإمام الألوسي رحمه الله تعالى:

الأول: نداؤهم بعنوان العبودية فإنها تقتضي المذلة وهي
 أنسب بحال العاصي إذا لم يتب واقتضاؤها للترحم ظاهر.

الثاني: الاختصاص الذي تشعر به الإضافة إلى ضميره تعالى
 فإن السيد من شأنه أن يرحم عبده ويشفق عليه.

الثالث: تخصيص ضرر الإسراف المشعرة به "على" بأنفسهم
 فكانه قيل ضرر الذنوب عائد عليهم لا علي، فيكفي ذلك من
 غير ضرر آخر كما في المثل أحسن إلى من أساء كفى المسيء
 إساءته، فالعبد إذا أساء ووقف بين يدي سيده ذليلاً خائفاً عالماً
 بسخط سيده عليه ناظراً لإكرام غيره ممن أطاع لحقه ضرر إذ
 استحقاق العقاب عقاب عند ذوي الألباب.

الرابع: النهي عن القنوط مطلقاً عن الرحمة فضلاً عن المغفرة
 وإطلاقها.

(١) سورة الفرقان، جزء من الآية برقم (٦٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى يا عبادي الذين

أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا برقم (٤٤٣٦)،

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا

الحج والهجرة برقم (١٧٤)،

كلاهما من حديث عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما.

الخامس: إضافة الرحمة إلى الاسم الجليل المحتوي على جميع معاني الأسماء على طريق الالتفات، فإن ذلك ظاهر في سعتها وهو ظاهر في شمولها التائب وغيره.

السادس: التعليل بقوله تعالى "إن الله... الخ"، فإن التعليل يحسن مع الاستبعاد وترك القنوط من الرحمة مع عدم التوبة أكثر استبعاداً من تركه مع التوبة.

السابع: وضع الاسم الجليل فيه موضع الضمير لإشعاره بأن المغفرة من مقتضيات ذاته لا لشيء آخر من توبة أو غيرها.

الثامن: تعريف الذنوب فإنه في مقام التمدح ظاهر في الاستغراق فتشمل الذنب الذي يعقبه التوبة والذي لا تعقبه.

التاسع: التأكيد بالجميع.

العاشر: التعليل بأنه "هو... الخ".

الحادي عشر: التعبير بالغفور فإنه صيغة مبالغة وهي إن كانت باعتبار الكم شملت المغفرة جميع الذنوب أو باعتبار الكيف شملت الكبائر بدون توبة.

الثاني عشر: حذف معمول "الغفور"، فإن حذف المعمول يفيد العموم.

الثالث عشر: إفادة الجملة الحصر، فإن من المعلوم أن الغفران قد يوصف به غيره تعالى فالحضور فيه سبحانه إنما هو الكامل العظيم وهو ما يكون بلا توبة.

الرابع عشر: المبالغة في ذلك الحصر.

الخامس عشر: الوعد بالرحمة بعد المغفرة فإنه مشعر بأن العبد غير مستحق للمغفرة لولا رحمته وهو ظاهر فيما إذا لم يتب.

السادس عشر: التعبير بصيغة المبالغة فيها.

السابع عشر: إطلاقها، ومنع المعتزلة مغفرة الكبائر والعتو عنها من غير توبة وقالوا: إنها وردت في غير موضع من القرآن الكريم مقيدة بالتوبة، فإطلاقها هنا يحمل على التقييد لاتحاد الواقعة وعدم احتمال النسخ، وكون القرآن في حكم كلام واحد^(١).

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو قبيل قال سمعت أبا عبد الرحمن المري يقول سمعت ثوبان - مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ}، فقال رجل يا رسول الله! فمن أشرك؟ فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: "ألا ومن أشرك" ثلاث مرات^(٢).

ويقول الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى:

حدثني محمد بن الحسين، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثني الأعمش، عن أبي سعيد، عن أبي الكنود، قال: مر عبد الله على قاص يذكر النار فقال: يا مذكر، لم تقنط الناس؟ ثم قرأ (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)^(٣).
ويقول الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير، عن منصور، عن الشعبي، عن شتير، قال: سمعت عبد الله، يقول: إن أكبر آية في

(١) روح المعاني للإمام الآلوسي تحت آية سورة الزمر برقم (٥٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار ومن حديث ثوبان برقم (٢١٣٢٨).

(٣) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٥١).

القرآن فرجا آية في سورة الغرف: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) فقال مسروق: صدقت^(١).
ويقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى بعد ذكر هذه الآية:
وفي أخبار يعقوب صلى الله عليه وآله وسلم أن الله تعالى أوحى إليه: أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف؟ لأنك قلت أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون، لم خفت الذئب ولم ترجني؟ ولم نظرت إلى غفلة أخوته ولم تنظر إلى حظي له^(٢).

سعة مغفرة الله في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

١. عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "قال الله: يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيت بكراً مغفرة"^(٣).

٢. قال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى:

حدثني أبي قال: أخبرنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفياء، عن عون بن عبد الله، قال: قال عبد الله: ليغفرن الله عز وجل يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر^(٤).

(١) المرجع السابق.

(٢) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (١١٢/٣).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده برقم (٣٤٦٣)، وقال هذا حديث حسن غريب.

(٤) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٦٧).

٣ . وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثني محمد بن الحسين، حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي جحيفة، عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أصاب في الدنيا ذنباً فعوقب به، فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده، ومن أذنب في الدنيا ذنباً فستره الله عليه فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه^(١).

٤ . وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة، حدثنا علي بن الحسن، عن عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا يحيى بن أيوب: أن عبيد الله بن زحر حدثه عن خالد بن أبي عمران، عن أبي عياش، قال: قال معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن شتم أنبأتكم ما أول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة، وما أول ما يقولون له إن الله عز وجل يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا رب! فيقول: لم؟ فيقولون: رجونا عفوك ومغفرتك، فيقول عز وجل: قد وجبت لكم مغفرتي^(٢).

(١) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (٥٣).

(٢) حسن الظن بالله للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (١١).

الجانب الرابع: الاحتساب وتوقع الثواب من الأمور المطلوبة في الأعمال

هناك أمور كثيرة مطلوبة في أعمال الطاعة من حسن النية وكون العمل موافقا لسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من هذه الأمور المطلوبة هو الاحتساب أي أن يعمل المؤمن عمل الخير وهو يتوقع ثوابه من ربه عزوجل، وهذا يزيد العمل خشوعا وإحسانا، من النصوص الدالة على ذلك:

١. قال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بَرِيَّةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أَكْطَافَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ^(١)﴾،

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى:

إنما عنى الله جل وعز بذلك: أن أنفسهم كانت موقنة مصدقة بوعد الله إياها فيما أنفقت في طاعته بغير من ولا أذى، فثبتتهم في إنفاق أموالهم ابتغاء مرضاة الله، وصححت عزمهم وآراءهم، يقينا منها بذلك، وتصديقا بوعد الله إياها ما وعدها، ولذلك قال من قال من أهل التأويل في قوله: (وتثبيتا)، وتصديقا - ومن قال منهم: ويقينا - لأن تثبيت أنفس المنفقين أموالهم ابتغاء مرضاة الله إياهم، إنما كان عن يقين منها وتصديق بوعد الله^(٢).

(١) سورة البقرة، الآية برقم (٢٦٥).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري تحت آية سورة البقرة برقم (٢٦٥).

٢. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من يقيم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"^(١).
٣. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من أتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط"^(٢).
٤. عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن الله عز وجل فرض صيام رمضان، وسنتت قيامه، فمن صامه وقامه احتساباً خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه"^(٣).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قيام ليلة القدر من الإيمان برقم (٣٤)،

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح برقم (١٢٦٩)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب اتباع الجنائز من الإيمان برقم (٤٥)، وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنائز واتباعها برقم (١٥٧١)،

كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٣) أخرجه الإمام النسائي في سننه، كتاب الصيام، باب ذكر اختلاف يحيى بن أبي كثير والنضر بن شيبان برقم (٢١٨٠)،

وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام شهر رمضان برقم (١٣١٨)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، مسند العشرة المبشرة بالجنة، من حديث عبدالرحمن بن عوف برقم (١٥٧٢)،

كلهم من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه.

٥. عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "الخيال في نواصيها الخير معقود أبدا إلى يوم القيامة، فمن ربطها عدة في سبيل الله، وأنفق عليها احتسابا في سبيل الله، فإن شبعها وجوعها وريها وظمأها وأروائها وأبوالها فلاح في موازينه يوم القيامة، ومن ربطها رياء وسمعة وفرحا ومرحا، فإن شبعها وجوعها وريها وظمأها وأروائها وأبوالها خسران في موازينه يوم القيامة"^(١).
٦. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي، أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل"^(٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند القبائل، من حديث أسماء ابنة يزيد برقم (٢٦٢٩٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان برقم (٢٥)، وكتاب الجهاد والسير، باب تمنى الشهادة برقم (٢٥٨٨)، وكتاب التمني، باب ما جاء في التمني ومن تمنى الشهادة برقم (٦٦٨٥ و ٦٦٨٦).

الجانب الخامس: الرجاء يؤدي إلى طيب النفس والبشاشة

الرجاء يبعث المؤمن على أن يؤدي عمله فرحاً مستبشراً، ومثل هذا الفرح والبشاشة مطلوبان، قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ^(١)﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ^(٢)﴾، فإذا كان الشيطان يريد حزن المؤمنين فإن معناه أن الرحمن يريد فرحهم وسرورهم، ولا يخفى أن طيب النفس في إنما يحصل إذا كان المؤمن يرجو الله في عمله، ومن النصوص الدالة على أن طيب النفس في العمل مطلوب، منها:

١. عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "الخازن الأمين الذي يؤدي ما أمر به طيبة نفسه أحد المتصدقين^(٣)".
٢. عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة، من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقبتهن، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه، وأدى الأمانة، قالوا يا أبا الدرداء! وما

(١) سورة يونس، الآية برقم (٥٨).

(٢) سورة المجادلة، الآية برقم (١٠).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب استئجار الرجل الصالح برقم (٢١٠٠)، وكتاب الزكاة، باب أجر الخادم إذا تصدق بأمر صاحبه غير مفسد برقم (١٣٤٨)، كتاب الوكالة، باب وكالة الأمين في الخزانة ونحوها برقم (٢١٥١)، وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أجر الخازن الأمين إذا تصدقت من بيت برقم (١٦٩٩)،

كلاهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه.

أداء الأمانة؟ قال الغسل من الجنابة^(١)."

٣. عن عبدالله بن معاوية الغاضري من غاضرة قيس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان، من عبد الله وحده وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بما نفسه رافدة عليه كل عام، ولا يعطي الهرمة ولا الدرنة ولا المريضة ولا الشرط اللثيمة ولكن من وسط أموالكم، فإن الله لم يسألكم خيره ولم يأمركم بشره"^(٢).

(١) أخرجه الإمام أبوداود في سننه، كتاب الصلاة، باب المحافظة على الصلوات برقم (٣٦٥).

(٢) أخرجه الإمام أبوداود في سننه، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة برقم (١٣٤٩).

الجانب السادس: إن الإسلام فهمي عن التشاؤم و استحسان التفاؤل

إن الله سبحانه وتعالى يحب أن يعيش عباده المؤمنين حياة سعيدة لا حزن فيها ولا كدورة النفس، فهمي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الطيرة، وكان يحب الفأل، ومن الدليل على أن طيب النفس وارتياح القلب أمر مطلوب، وهناك أحاديث كثيرة تدل على جواز الفأل الحسن والنهي عن الطيرة والتشاؤم، نذكر منها الحديثين الشريفين فقط على سبيل المثال: منها:

١. عن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه عن عمه قال كنا في مجلس، فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى رأسه أثر ماء، فقال له بعضنا تراك اليوم طيب النفس، فقال: أجل والحمد لله، ثم أفاض القوم في ذكر الغنى، فقال لا بأس بالغنى لمن اتقى والصحة لمن اتقى خير من الغنى، وطيب النفس من النعيم^(١)، قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى في المرقاة في شرح الحديث المذكور:

"فقلنا يا رسول الله! تراك طيب النفس، أي ظاهر البشر والسرور ومنشرح الخاطر على ما يتلأأ منك من النور.....، وطيب النفس أي انشراح الصدر، المقتضي للشكر والصبر، المستوي عنده الغنى والفقر من النعيم، أي من جملة النعيم الذي يعبر عنه بجنة نعيم، على ما قاله بعض العارفين في قوله تعالى ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان^(٢)﴾، الرحمان جنة في الدنيا وجنة

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب برقم (٢١٣٢)،

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، حديث أبي جبرة الضحاك بن الضحاك عن عمومة له برقم (٢٢١٤٤)،

كلاهما من حديث معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه عن عمه رضي الله تعالى عنه.

(٢) سورة الرحمن، الآية برقم (٤٦).

في العقبى، وقيل من النعيم المسؤول عنه المذكور، في قوله تعالى ﴿ثُمَّ لِنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(١)، وهو لا ينافي ما ذكرناه فإنه الفرد الأكمل من جنس النعيم الذي لا ينبغي أن يقال لغيره بالنسبة إليه إنه النعيم، فإن ما عداه قد يعد كونه من الماء الحميم أو من عذاب الجحيم^(٢)."

قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث:

(وطيب النفس من النعيم)، لأن طيبها من روح اليقين وهو النور الوارد الذي أشرق على الصدر، فإذا استنار القلب ارتاحت النفس من الظلمة والضيق والظنك، فإنها لشهواتها في ظلمة، والقلب مرتبك فيها فالسائر إلى مطلوبه في ظلمة يشتد عليه السير ويضيق صدره ويتكد عيشه ويتعب جسمه، فإذا أضاء له الصبح ووضع له الطريق وذهبت المخاوف وزالت العسرة ارتاح القلب واطمأنت النفس وصارت في نعيم^(٣).

٢. عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "لا طيرة وخيرها الفأل، قالوا وما الفأل؟ قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم"^(٤)،

(١) سورة التكاثر، الآية برقم (٨).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للإمام الملا علي القارئ، كتاب الرقاق، باب استحباب المال والعمر للطاعة، ط ١ / ١٣٨٢هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

(٣) السراج المنير شرح الجامع الصغير للإمام علي بن أحمد بن نور الدين محمد بن إبراهيم، تحت هذا الحديث السابق، ط ١ / ١٤١٩هـ، دارالخيرية، القاهرة، مصر.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الطيرة برقم (٥٣١٣)، وباب الفأل برقم (٥٣١٤)،

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم برقم (٤١٢٢)،

كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:
 قوله قالوا وما الفأل؟ قال الكلمة الطيبة، بين لهم صلى الله عليه
 وآله وسلم أن الفأل يعجبه، فدل أنه ليس من الطيرة المنهي
 عنها، قال ابن القيم ليس في الإعجاب بالفأل، ومحبه شيء من
 الشرك بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة، ومن حب الفطرة
 الانسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلانمها، كما أخبرهم أنه
 حب اليه من الدنيا النساء والطيب، وكان يحب الحلوى والعسل
 ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان ويستمع اليه، ويحب معالي
 الاخلاق ومكارم الشيم، وبالجملة يحب كل كمال وخير وما
 يفضي اليهما، والله سبحانه وتعالى قد جعل في غرائز الناس
 الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبه وميل نفوسهم اليه،
 وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح
 والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك،
 فإذا قرعت هذه الاسماء الأسماع استبشرت بها النفس وانشرح لها
 الصدر وقوي بها القلب، وإذا سمعت اضدادها أوجب لها ضد
 هذه الحال فأحزنها ذلك وأثار لها خوفا وطيرة وانكماشاً وانقباضاً
 عما قصدت له وعزمت عليه فأورث لها ضرراً في الدنيا ونقصاً
 في الايمان ومقارفة للشرك، وقال الحلبي وإنما كان صلى الله
 عليه وآله وسلم يعجبه الفأل، لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى
 بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به والمؤمن مأمور بحسن
 الظن بالله تعالى على كل حال^(١).

(١) تيسر العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد
 الوهاب، الصفحة رقم (٣٨٢)، ط ١ / ١٤٢١هـ، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض،
 المملكة العربية السعودية.

الجانب السابع القنوط والتقنيط عن رحمة الله تعالى وأنه كبيرة من الكبائر

ومما يدل على فضل الرجاء هو أن الله عزوجل حرّم القنوط والياس عن رحمته وجعلهما من أعمال الضالين المكذّبين، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١)، وقال سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه السلام: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(٢)، وقال يعقوب عليه السلام لبيه: ﴿يَا بَنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسُّوْا مِن يُّوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَّأَسُوا مِن رُّوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَّأَسُ مِن رُّوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣).

ومن الواضح أن الأشياء تعرف بأضدادها أصولاً ولغةً، وضد الرجاء هو اليأس والقنوط، فالتشديدات الواردة في القنوط عن رحمة الله أو اليأس عن روح الله كثيرة، وكل ذلك ثناءً على الرجاء، لأن مذمة الشيء ثناءً على ضده، وضد الرجاء هما اليأس والقنوط، ثم إن الله عزوجل لما حرّم اليأس عن رحمته، فكأنه أمر الناس بالرجاء في رحمته^(٤)، وإليك شيئا من النصوص في هذا الصدد:

١. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه يقول: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رهط من أصحابه يضحكون فقال: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً"، فاتاه جبريل صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إن الله قال لك: لم تقنط عبادي؟ قال فرجع إليهم وقال: "سدّدوا وأبشروا"^(٥)،

(١) سورة الزمر، الآية برقم (٥٣).

(٢) سورة الحجر، الآية برقم (٥٦).

(٣) سورة يوسف، الآية برقم (٨٧).

(٤) الخوف والرجاء في ضوء السنة النبوية للأستاذ محمد أكبر زاهد، رسالته الماجستير، الصفحة رقم (١٦٥).

(٥) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه، باب في الرجاء من الله برقم (٣٥٩)، وأخرجه الإمام البيهقي أيضاً في شعب الإيمان، باب في الرجاء برقم (١٠٥٨)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في هذا الحديث: "ففي هذا دلالة على أنه لا ينبغي أن يكون خوفه بحيث يويسه ويقنطه من رحمة الله، كما لا ينبغي أن يكون رجاؤه بحيث يأمن مكر الله، أو يجرته على معصية الله^(١)".

٢. وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "كان رجلان في بني إسرائيل متواخين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول أقصر، فوجده يوماً على ذنب فقال له أقصر، فقال خلني وربي، أبعثت علي رقيباً؟ قال والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد أكنت بي عالماً أو كنت على ما في يدي قادراً؟ وقال للمذنب إذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر إذهبوا به إلى النار، قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته^(٢)".

٣. عن جندب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدث: "أن رجلاً قال والله لا يغفر الله لفلان، وأن الله تعالى قال من ذا الذي يتألى عليّ آني لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحببت عملك^(٣)".

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي، باب في الرجاء من الله برقم (١٠٥٨)، الصفحة رقم (٢٢/٢).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي برقم (٤٢٥٥)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (٧٩٤٢)،

كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان

من رحمة الله تعالى برقم (٧٤٥٣).

الباب

الثالث

في علاقة الرجاء مع الخوف

وفيه ستة فصول وهويشتمل على الأمور التالية:

- ١ . حقيقة الخوف في اللغة والعرف والشرع
- ٢ . أسس عامة للجمع بين الرجاء والخوف
- ٣ . الجمع بين الرجاء والخوف في القرآن الكريم
- ٤ . الجمع بين الرجاء والخوف في الأحاديث النبوية
- ٥ . الجمع بين الرجاء والخوف في أقوال السلف والعلماء
- ٦ . أيهما أفضل الرجاء أو الخوف وخاصة ما هو الأولى عند الموت؟

لقد درسنا في الصفحات الماضية الرجاء من الله تعالى، ولا يتم الحديث عن الرجاء إلا مع إلقاء نظرة على جانب آخر من الصورة وعلى قرين للرجاء في الأحكام الإسلامية، ألا وهو الخوف، فإن الرجاء لا يكفي وحده، بل يجب أن يصاحبه الخوف من الله تعالى، كما أن الخوف من الله تعالى لا يكفي وحده بل يجب أن يكون معه الرجاء من الله تعالى، فعلاقة الخوف مع الرجاء علاقة وثيقة لا يتم الحديث عن أحدهما إلا مع الحديث عن الآخر، و سنتكلم في الصفحات الآتية عن علاقة الخوف مع الرجاء أو بلفظ آخر حكم الجمع بين الخوف والرجاء، تكميلاً لبحث الرجاء،
إنشاء الله تعالى.

الفصل الأول

في

حقيقة الخوف في اللغة والعرف والشرع

إن الخوف من الله تعالى من الأحكام الدينية التي ورد ذكرها في كثير من نصوص القرآن والسنة، ولو خُضنا في تفاصيله لطلنا بنا البحث وخرجنا عن موضوعنا، وهو الرجاء، لكن لا بد لبيان علاقة الرجاء مع الخوف أن نلقي ضوءاً سريعاً على معنى الخوف وحقيقته، ليسهل لنا بيان علاقة الرجاء معه، فنقول وبالله التوفيق:

إنَّ حقيقة الخوف هي تألم القلب ووجود الحرقة في القلب بسبب توقع مكروه يناله أو محبوب يفوته، وذلك إما بسبب كثرة جنايته أو تقصيره في حق المحبوب أو معرفته بجلاله وهيبته.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: "إنَّ الخوف والرجاء زمامان، يمنعان النفس عن الخروج إلى رعوناتها^(١)".

وإلى هذا أشار الواسطي حيث قال: "الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد"، ثم يقول: "إنَّ حال الخوف ينتظم من علم وحال وعمل، أما العلم فهو العلم بالسبب المفضي إلى المكروه وذلك كمن جنى على ملك أحد ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلاً ويجوز العفو والإفلات، ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقوداً غضوباً منتقماً كونه محفوفاً بمن يحته على الانتقام خالياً عن يتشفع إليه في حقه، وكان هذا

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (٤/١٥٥-١٥٦).

الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنائته عند الملك، فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب، وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف، وقد يكون الخوف لا عن سبب جنائية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فإنه يخاف السبع بصفة ذات السبع وهي حرصه وسطوته على الافتراس غالباً وإن كان افتراسه بالاختيار،

وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه، كخوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فإن الماء يخاف لأنه بطبعه مجبول على السيلاان والإغراق، وكذا النار على الإحراق، فالعلم بأسباب المكروه هو سبب الباعث المثير لإحراق القلب وتألمه، وذلك الإحراق هو الخوف، فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته، وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع، وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي، وتارة يكون بهما جميعاً،

وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغناؤه، وأنه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(١)، تكون قوة خوفه، فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا"^(٢)، وكذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣).

(١) سورة الأنبياء، الآية برقم (٢٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أنا أعلمكم بالله برقم (٢٠)، من حديث سيدة عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٣) سورة فاطر، جزء من الآية برقم (٢٨).

الخوف لغة

نسوق أولاً نصوص علماء اللغة في معنى هذه المادة والكلمات المشتقة منها:

١. قال الإمام ابن منظور رحمه الله تعالى في لسان العرب:

الْخَوْفُ الْفَزَعُ خَافَهُ يَخَافُهُ خَوْفًا وَخَيْفَةً وَمَخَافَةً، قَالَ اللَّيْثُ خَافَ يَخَافُ خَوْفًا وَإِنَّمَا صَارَتِ الْوَاوُ أَلْفًا فِي يَخَافُ لِأَنَّهُ عَلَى بِنَاءِ عَمَلٍ يَعْمَلُ فَاسْتَقْلَمُوا الْوَاوُ فَأَلْقَوْهَا، وَفِيهَا ثَلَاثَةُ أَشْيَاءِ الْحَرْفُ وَالصَّرْفُ وَالصَوْتُ، وَرَبَّمَا أَلْقُوا الْحَرْفَ بِصَرْفِهَا وَأَبْقُوا مِنْهَا الصَوْتَ وَقَالُوا يَخَافُ وَكَانَ حَدُّهُ يَخَوْفُ بِالْوَاوِ مَنْصُوبَةً فَأَلْقُوا الْوَاوِ.....، وَمِنْهُ التَّخْوِيفُ وَالْإِخَافَةُ وَالتَّخَوُّفُ وَالنَّعْتُ خَائِفٌ وَهُوَ الْفَزَعُ، وَقَوْلُهُ:

أَتَهَجُرُ نَيْتًا بِالْحِجَازِ تَلْفَعَتْ بِهِ

الْخَوْفُ وَالْأَعْدَاءُ أَمْ أَنْتَ زَائِرَةٌ؟

إنما أراد بالخوف المخافة، وخوف الرجل إذا جعل فيه الخوف، وخوفته إذا جعلته بحالة يخافه الناس، ابن سيده، وخوف الرجل جعل الناس يخافونه، وفي التزويل العزيز ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾^(١) أي يجعلكم تخافون أوليائه، وقال ثعلب: معناه يخوفكم بأوليائه، قال: وأراه تسهياً للمعنى الأول، والعرب تُضَيِّفُ الْمَخَافَةَ إِلَى الْمَخَوْفِ فَتَقُولُ: أَنَا أَخَافُكَ كَخَوْفِ الْأَسَدِ أَي كَمَا أَخَوْفُ بِالْأَسَدِ، حَكَاهُ ثَعْلَبُ، قَالَ: وَمِثْلُهُ:

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي

عَلَى وَعَلِ بِذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية برقم (١٧٥).

وقال بعد أسطر:

وفي حديث عمر رضي الله تعالى عنه "نعم العبدُ صُهَيْبٌ لَوْ
لَمْ يَخَفِ اللَّهَ لَمْ يَعِصِهِ"، أراد أنه إنما يُطِيعُ اللَّهَ حُبًّا لَهُ لَا خَوْفَ
عِقَابِهِ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ عِقَابٌ يَخَافُهُ مَا عَصَى اللَّهَ فِي الْكَلَامِ مَحذُوفٍ
تَقْدِيرُهُ لَوْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ لَمْ يَعِصِهِ فَكَيْفَ وَقَدْ خَافَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ
"أَخِيفُوا الْمَوَاطِنَ قَبْلَ أَنْ تُخِيفَكُم"، أَي احْتَرِسُوا مِنْهَا، "فَإِذَا ظَهَرَ
مِنْهَا شَيْءٌ فَاقْتُلُوهُ"، الْمَعْنَى: اجْعَلُوهَا تَخَافَكُم وَاخْمَلُوهَا عَلَى
الْخَوْفِ مِنْكُمْ لِأَنَّهَا إِذَا أَرَادَتْكُمْ وَرَأَتْكُمْ تَقْتُلُونَهَا فَتَرْتَمِكُمْ.

ثم قال بعد أسطر:

قال ابن بري رحمه الله تعالى: عَيْنُ خَافَةٍ عِنْدَ أَبِي عَلِيٍّ يَاءٌ
مَأْخُودَةٌ مِنْ قَوْلِهِمُ النَّاسُ أَخْيَافٌ أَي مُخْتَلِفُونَ لِأَنَّ الْخَافَةَ خَرِيطةٌ
مِنْ أَدَمٍ مَنْقُوشَةٌ بِأَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ النَّقْشِ، فَعَلَى هَذَا كَانَ يَنْبَغِي
أَنْ تَذَكَرَ الْخَافَةَ فِي فَصْلِ خَيْفٍ وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا هُنَاكَ أَيْضًا وَالْخَافَةُ
الْعَيْبَةُ، وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ "مَثَلُ
الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَافَةِ الزَّرْعِ"، الْخَافَةُ وَعَاءُ الْحَبِّ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا
وَقَايَةٌ لَهُ، وَالرَّوَايَةُ بِالْمِيمِ وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ، وَالتَّخَوُّفُ
التَّنْقِصُ، وَفِي التَّرْتِيلِ الْعَزِيزِ ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾^(١)، قَالَ
الْفَرَاءُ: جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ بِأَنَّهُ التَّنْقِصُ، قَالَ وَالْعَرَبُ تَقُولُ تَخَوَّفْتَهُ
أَي تَنْقَصْتَهُ مِنْ حَافَاتِهِ قَالَ فَهَذَا الَّذِي سَمِعْتَهُ قَالَ وَقَدْ أَتَى التَّفْسِيرُ
بِالْحَاءِ، قَالَ الزَّجَّاجُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَوْ يَأْخُذْهُمْ بَعْدَ أَنْ
يُخِيفَهُمْ بِأَنْ يَهْلِكَ قَرْيَةٌ فَتَخَافُ الَّتِي تَلِيهَا.

(١) سورة النحل، جزء من الآية برقم (٤٧).

٢. وقال الإمام مرتضى الزبيدي رحمه الله تعالى في تاج العروس
شرح القاموس المحيط:

والخوف أيضاً القتل، قيل: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ
مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾^(١) هكذا فسره اللحياني،

الخوف أيضاً: القتال ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾^(٢)
وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ

أَدَاعُوا بِهِ﴾^(٣) هكذا فسره اللحياني،

الخوف أيضاً: العلم ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن
بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾^(٤) كذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن
مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾^(٥) هكذا فسره اللحياني،

الخوف: أديم أحمر يقدر منه أمثال السيور ثم يجعل على تلك
السيور شدر تلبسه الجارية الثلاثة عن كراع لغة في الخوف
بالمهملة وهي أولى كما في اللسان،

ورجل خاف: خائف قال سيويه: سألت الخليل عن خاف فقال:
يصلح أن يكون فاعلا ذهب عينه ويصلح أن يكون فعلا قال:
وعلى أي الوجهين وجهت فتحقيقه بالواو وفي الصحاح: وربما
قالوا: رجل خاف أي شديد الخوف جاءوا به على فعل مثل فرق
وفزع كما قالوا: رجل صات: أي شديد الصوت، والخافة: جبة
من آدم يلبسها العسال.

(١) سورة البقرة، جزء من الآية برقم (١٥٥).

(٢) سورة الأحزاب، جزء من الآية برقم (١٩).

(٣) سورة النساء، جزء من الآية برقم (٨٣).

(٤) سورة النساء، جزء من الآية برقم (١٢٨).

(٥) سورة البقرة، جزء من الآية برقم (١٨٢).

٣. وقال صاحب بن عباد رحمه الله تعالى في الخيط في اللغة:

خاف يخاف خوفاً، ومنه التخويف والإخافة، والخوف: الفزع، وطريق مخوف: يخافه الناس، ومخيف: يخيف الناس، وخائف: ذو خوف، وخوفته: جعلت فيه الخوف، وصيرته بحال يخافه الناس، والخيفة: الخوف، وجمعه خيف، وأخاف الثغر فهو مخيف، وخاوفني فخفته أخوفه،

والخافة: العيبة والخريطة، وهي أيضاً جبة من أدم يلبسها الغسال والسقاء، وتصغيرها خويفة، وسمعت خوفاً القوم وخواقم أي ضجتهم وتخوف من مالي أي تنقصه، وتخوفتنا السنة، وتخوفني حقي.

٤. قال الإمام الرضي الصاغاني رحمه الله تعالى:

خاف الرجل يخاف خوفاً وخيفاً وخيفة ومخافة، فهو خائف، وقوم خوف على الأصل، وخيف على اللفظ، ومنه قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ﴿أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَيْفًا^(١)﴾، وقال الكساني: ما كان من نبات الواو من ذوات الثلاثة فإنه يجمع على فعل، وفيه ثلاثة أوجه: يقال خائف وخيف وخيف وخوف، ونحو ذلك،

وقوله تعالى: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا^(٢)﴾ أي اعْبُدُوهُ خَائِفِينَ عَذَابَهُ وَطَامِعِينَ ثَوَابَهُ،

(١) أي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾، [سورة البقرة، جزء من الآية برقم (١١٤)]، فقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: "خَيْفًا" بدل "خَائِفِينَ".

(٢) سورة الرعد، جزء من الآية برقم (١٢).

وقوله جل وعلا: ﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(١) قيل: خوفاً للمسافر وطمعاً للمقيم، وقيل: خوفاً لمن يخاف ضره لأنه ليس كل بلد وكل وقت ينفع المطر وطمعاً لمن ينتفع به، وربما قالوا رجل خاف: أي شديد الخوف، جاءوا به على فعل مثل فرق وفزع، كما قالوا رجل صات: أي شديد الصوت، وجمع الخيفة: خيف، وأصله خوف، كما أن أصل الخيفة خوفاً، صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها، قال صخر الغي الهذلي:

فلا تَقْعُدَنَّ عَلَى زَخَّةٍ وَتُضْمِرُ فِي الْقَلْبِ وَجْدًا وَخِيفًا

٥. قال الإمام الجوهري رحمه الله تعالى في الصحاح:

خاف الرجل يخاف خوفاً وخيفةً ومخافةً، فهو خائف، وقوم خوف على الأصل وخيف على اللفظ، والأمر منه خف بفتح الحاء، والخيفة: الخوف، والجمع خيف، وأصله الواو، وخاوفه فخافه يخوفه غلبه بالخوف أي كان أشد خوفاً منه، والإخافة: التخويف، يقال: وجع مخيف، أي يخيف من رآه، وطريق مخوف، لأنه لا يخيف وإنما يخيف فيه قاطع الطريق، وتخوفت عليه الشيء، أي خفت، وتخوفه، أي تنقصه، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾^(٢) والخافة خريطة من أجم يشتر فيها العسل.

٦. قال الإمام الزمخشري رحمه الله تعالى مبيناً المعنى الحقيقي للمادة:

خفته على مالي خوفاً وخيفةً، وتخوفته عليه، وما أخوفني عليك، وهذا أمر مخوف، "وأخوف ما أخاف عليكم ضعف الإيمان"،

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة النحل، جزء من الآية برقم (٤٧).

وهرب مخافة الشر، وأدركته المخاوف، والقوم خوف، وأخافه
 وخوفه وتخوفه: جعله مخوفاً، تقول: ما كنت خائفاً فخوفني فلان،
 وما كان الطريق مخوفاً فجوفه السبع أو العدو، وأخاف الطريق
 والشجر، وطريق وثغر مخيف،
 ثم يقول ذاكرا المعنى المجازي للمادة:

ومن المجاز: طريق خائف، قال عبيد:

فربّ ماء وردت أجن سيّله خائف جديب

وتخوفه: تنقصه وأخذ من أطرافه، قال زهير:

تخوف السير منها تامكاً قرداً_ كما تخوف عود النبعة السفن

معناه نقصه قليلاً قليلاً على مهل كأنما يخافه، ويقال: تخوفتنا

السنة، وتخوفني حقي إذا تمضمك ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوْفٍ﴾^(١)

أي يصابون في أطراف قراهم بالشر حتى يأتي ذلك عليهم.

(١) سورة النحل، جزء من الآية برقم (٤٧).

استعمال كلمة "الخوف" في القرآن الكريم

لقد استعرض الإمام مجد الدين الفيروزآبادي رحمه الله تعالى صاحب القاموس المحيط لاستعمال هذه المادة في القرآن الكريم، ونرى أن نقل نصه يزيد الموضوع وضوحاً، فإليكم عبارته:

"وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم على معان، منها:

الأول: بمعنى القتل وأهزيمة، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ^(١)﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ^(٢)﴾ أي القتل.

الثاني: بمعنى الحرب والقتال، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللَّسِنَةِ حِدَادٍ^(٣)﴾ أي إذا انجلى الحرب، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ^(٤)﴾ أي الحرب.

الثالث: بمعنى العلم والدراية، قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوَصِّ جَنَفًا^(٥)﴾ أي علم، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا^(٦)﴾ أي يعلما، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِطُوا فِي الْيَتَامَى^(٧)﴾ أي علمتم .

-
- (١) سورة النساء، جزء من الآية برقم (٨٣).
 (٢) سورة البقرة، جزء من الآية برقم (١٥٥).
 (٣) سورة الأحزاب، جزء من الآية برقم (١٩).
 (٤) المرجع السابق.
 (٥) سورة البقرة، جزء من الآية برقم (١٨٢).
 (٦) سورة البقرة، جزء من الآية برقم (٢٢٩).
 (٧) سورة النساء، جزء من الآية برقم (٣).

الرابع: بمعنى النقص، قال تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١) أي تنقص.

الخامس: بمعنى الرعب والخشية من العذاب والعقوبة، قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(٢) "٣".

دراسة مهمة لهذه المعاني الخمسة

لقد ذكر الإمام الفيروزآبادي رحمه الله تعالى جميع معاني المادة التي مر ذكرها في العبارات المختلفة لعلماء اللغة، إلا ما كان منها اسماً، مثل "الخافة" بمعنى العيبة والخريطة أي الوعاء أو الحقيبة، أو الخافة بمعنى جبة من آدم، أو الخوف بمعنى أديم أحمر، وقد ذهب بعض أهل اللغة إلى أن الخافة من الأجوف الياني لا الواوي — كما مر في عبارة لسان العرب —، أما إذا استعملت هذه المادة فعلاً فقد ذكرها الفيروزآبادي خمسة معانٍ، المعنى المعروف هو الذعر وهو الذي ذكره الفيروزآبادي بالرقم الخامس بلفظ: "الرعب والخشية"، أما ما ذكره بقوله: "من العذاب والعقوبة" فهو مجرد ذكر لبعض متعلقاته، لأن الخوف في اللغة قد يكون من أشياء أخرى غير العذاب والعقوبة، مثل العدو والسبع وما إلى ذلك، أما المعنى الأول من هذه المعاني الخمسة وهو القتل — وقد مر ذكره في عبارات أهل اللغة أيضاً —، فيبدو أنه ليس معناه الحقيقي، و ما استشهدوا به عليه من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَلَتَنْبُلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾^(٥)،

(١) سورة النحل، جزء من الآية برقم (٤٧).

(٢) سورة السجدة، جزء من الآية برقم (١٦).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب العزيز للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الصفحة رقم (٥٧٨/٢-٥٧٩).

(٤) سورة نوح، الآية برقم (١٣).

(٤) سورة النساء، جزء من الآية برقم (٨٣).

(٥) سورة البقرة، جزء من الآية برقم (١٥٥).

فإنما يمكن تفسيره: الخوف أي خوف القتل، فالخوف بمعناه وإنما حذف المضاف إليه.
 أما المعنى الثاني من هذه المعاني وهو الخوف بمعنى الحرب واستشهدوا عليه بقوله
 تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾^(١)، أي إذا انجلى الحرب، وقوله
 تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾^(٢)، فيمكن أن نقول في تفسيره: ذهب
 الخوف أي ذهب الخوف المتولد من الحرب، فلم يتغير معنى الخوف وإنما تغير متعلقه.

أما المعنى الثالث وهو الخوف بمعنى العلم والدراية واستشهدوا عليه بقوله تعالى:
 ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا﴾^(٣) أي علم، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
 اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾^(٤) أي يعلما، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ
 خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾^(٥) أي علمتم، فيمكن أيضاً إرجاعه إلى المعنى المعروف
 وهو توقع المكروه.

أما المعنى الرابع وهو النقص والاستشهاد عليه بقوله: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ
 فَإِنَّ رَبَّكُمُ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٦)، فاختلفت فيه أقوال المفسرين، فذهب بعضهم إلى ما ذهب
 إليه أصحاب العبارات المذكورة وهو أن التخوف بمعنى التنقص.
 فيقول الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى^(٧):

وأما قوله ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾^(٨) فإنه يعني: أو يهلكهم
 بتخوف، وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء

(١) سورة الأحزاب، جزء من الآية برقم (١٩).

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة البقرة، جزء من الآية برقم (١٨٢).

(٤) سورة البقرة، جزء من الآية برقم (٢٢٩).

(٥) سورة النساء، جزء من الآية برقم (٣).

(٦) سورة النحل، الآية برقم (٤٧).

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري تحت آية سورة النحل برقم (٤٧).

(٨) سورة النحل، جزء من الآية برقم (٤٧).

حتى يهلك جميعهم، يقال منه: تخوف فلان فلان الإنفاق: إذا
 انتقصه، ونحو تخوفه من التخوف بمعنى التنقص، قول الشاعر:
 تَخَوَّفَ السَّيْرَ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا
 كما تَخَوَّفَ عُوْدَ التَّبَعَةِ السَّفْنُ
 يعني بقوله تخوف السير: تنقص سنامها، وقد ذكرنا عن الهيثم بن
 عدي أنه كان يقول: هي لغة لأزد شنوءة معروفة لهم، ومنه قول
 الآخر

تَخَوَّفَ عَدُوَّهُمْ مَالِي وَأَهْدَى
 سَلْسِلَ فِي الْخُلُوقِ لَهَا صَلِيلُ

وكان الفراء يقول: العرب تقول: تخوفته: أي تنقصته، تخوفا: أي
 أخذته من حافته وأطرافه، قال: فهذا الذي سمعته، وقد أتى
 التفسير بالحاء وهما بمعنى، قال: ومثله ما قرئ بوجهين قوله: إن
 لك في النهار سبحا وسبخا.

ثم ذكر الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى بعض الآثار الدالة على هذا
 المعنى فقال:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن المسعودي، عن إبراهيم بن
 عامر بن مسعود، عن رجل، عن عُمَرَ أنه سأله عن هذه الآية
 ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَقَلِيهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى
 تَخَوُّفٍ﴾^(١) فقالوا: ما نرى إلا أنه عند تنقص ما يردده من
 الآيات، فقال عمر: ما أرى إلا أنه على ما تنتقصون من معاصي
 الله، قال: فخرج رجل من كان عند عمر، فلقى أعرابيا، فقال: يا
 فلان! ما فعل ربك؟ قال: قد تخيفته، يعني تنقصته، قال: فرجع
 إلى عمر فأخبره، فقال: قدّر الله ذلك.

(١) سورة النحل، الآية برقم (٤٦-٤٧).

لكن هناك قولاً آخر في تفسيره وهو أن التخوف بمعناه المعروف، فيقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره^(١):

وقوله: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾^(٢) أي: أو يأخذهم الله في حال خوفهم من أخذه لهم، فإنه يكون أبلغ وأشد حالاً الأخذ؛ فإن حصول ما يتوقع مع الخوف شديد، ولهذا قال العوفي عن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾^(٣)، يقول: إن شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوفه بذلك، وكذا روي عن مجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم.

وأيد الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى بمقابلة قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤) فقال:

﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾^(٥) أي: حال تخوف وتوقع للبلايا بأن يكونوا متوقعين للعذاب، حذرين منه غير غافلين عنه، فهو خلاف ما تقدم من قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٦)، فعلى التفسير الثاني لا يختلف معنى الآية عن المعنى المعروف للخوف، أما على التفسير الأول فالذي يظهر أن أصل "تخوف" — على هذا المعنى — "تحوف" بالخاء المهملة دون الخاء

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير تحت آية سورة النحل برقم (٤٧).

(٢) سورة النحل، جزء من الآية برقم (٤٧).

(٣) سورة النحل، جزء من الآية برقم (٤٧).

(٤) سورة النحل، جزء من الآية برقم (٤٥).

(٥) سورة النحل، جزء من الآية برقم (٤٧).

(٦) سورة النحل، جزء من الآية برقم (٤٥).

المعجمة، مشتق من الحافة وهو الطرف فالتخوف التنقص من الحافات أي الأطراف، و يأتي الحفف أيضاً بمعنى القلة^(١).
قال الإمام ابن السكيت رحمه الله تعالى^(٢): والحف مصدر حف يحف والحفف قلة المأكول وكثرة الأكلة، ثم قلب الحاء خاءً على لغة أزد شنوءة.

يقول الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى^(٣):

يعني: بنقص من أطرافهم ونواحيهم يأخذهم الأول فالأول حتى يأتي الأخذ على جميعهم، قال: والتخوف: التنقص، يقال: هو يتخوف المال، أي: يتنقصه، ويأخذ من أطرافه.

واتضح بهذا التفصيل أن التخوف بمعنى التنقص لا علاقة له بالمادة التي نحن بصدد شرحه، فإن مادتنا بالحاء وهذا أصله بالحاء.

فظهر بهذا العرض أن المعنى الأصلي للتخوف هو ما ذكره الإمام الفيروزآبادي رحمه الله تعالى بالرقم الخامس، وأما ما سواه من المعاني فإما إنه راجع إلى المعنى المذكور وإما إن أصله من مادة أخرى، ويمكن أن نلخص في معنى الخوف ما ذكره الإمام الجرجاني: "الخوف توقع حلول مكروه أو فوات محبوب"^(٤).

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحت آية سورة النحل برقم (٤٧)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط ١ / ١٤١٤هـ، دار الوفاء، بيروت، لبنان.

(٢) إصلاح المنطق للإمام أبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت، الصفحة رقم (٤٧)، تحقيق أحمد محمد شاكر ط ١ / ١٤١٩هـ، دار المعارف، القاهرة، مصر.

(٣) المرجع السابق.

(٤) كتاب التعريفات للإمام علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، الصفحة رقم (٧٣).

الخوف عرفاً

معنى الخوف في العرف هو معناه في اللغة، إلا أن للخوف مراتب، وأدنى مراتبه ما ذكرناه الآن عن الإمام الجرجاني: "الخوف توقع حلول مكروه أو فوات محبوب"، وقد يحصل معه تألم في القلب وقد يصحبه كيفية قلبية تغلبه، من هنا ذكروا في بيان الخوف عبارات مختلفة، ولا اختلاف في هذه العبارات، لأن جميع ما ذكروه داخل في الخوف، وإليكم شيئاً من هذه العبارات:

١. قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: "الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الإستقبال"^(١).
٢. قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: قيل: "الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف"، وقيل: "الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره"^(٢).
٣. يقول الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى: "الخوف توقع مكروه عن أمانة مظنونه أو معلومة، ويضاده الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية"^(٣).

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (١٥٥ / ٤).

(٢) مدارج السالكين للإمام ابن القيم، الصفحة رقم (٥٤٩ / ١).

(٣) المفردات للإمام الراغب الأصفهاني، الصفحة رقم (١٦١).

كلمات ذات صلة

١. الخشية والخوف:

الخشية والخوف يشتركان في المعنى الأساسي وهو توقع المكروه، لكن الخشية أخص من الخوف لأنه يشترط في الخشية ما لا يشترط في الخوف، فيقول الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى^(١):

"الخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خصّ العلماء بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾"^(٢).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى^(٣):

"الخشية أخص من الخوف، فإنّ الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾"^(٤) فهي خوف مقرون بمعرفة، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إني أعلمهم بالله، وأشدكم له خشية"^(٥).

٢. الخوف والرهبّة:

الرهبّة يطلق أيضاً بمعنى الخوف، وقد يُشترط معه أمر زائد،

(١) المفردات للإمام الراغب الأصفهاني، الصفحة رقم (٢٠٤).

(٢) سورة فاطر، جزء من الآية برقم (٢٨).

(٣) مدارج السالكين للإمام ابن القيم، الصفحة رقم (٣٧٦/١).

(٤) سورة فاطر، جزء من الآية برقم (٢٨).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في علمه بالله تعالى وشدة خشيته برقم (٧٣٠١)،

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الفضائل، باب علمه بالله تعالى وشدة خشيته برقم (٢٣٥٦)،

كلاهما من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها.

قال الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى^(١):

"الرهبه والرهب مخافة مع تحرز واضطراب قال تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾"^(٢)، وقال: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾"^(٣).

٣. الوجل والخوف:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى^(٤):

"الوجل، والخوف، والخشية، والرهبه، ألفاظ متقاربة غير مترادفة، فأما الوجل: فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته، أو لرؤيته، وأما الهيبة: فنخوف مقارن للتعظيم والإجلال، وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة، والإجلال: تعظيم مقرون بالحب، فالخوف لعامة المؤمنين، وأما الخشية للعلماء العارفين، وآلهية للمحبين، والإجلال للمقربين، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إني أعلمهم بالله، وأشدكم له خشية"^(٥).

(١) المفردات للإمام الراغب الأصفهاني، الصفحة رقم (٢٠٤).

(٢) سورة الحشر، جزء من الآية برقم (١٣).

(٣) سورة الأنبياء، جزء من الآية برقم (٩٠).

(٤) مدارج السالكين للإمام ابن القيم، الصفحة رقم (٥٤٩/١).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من

التعمق والتنازع في العلم والغلو في علمه بالله تعالى وشدة خشيته برقم (٧٣٠١)،

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الفضائل، باب علمه بالله تعالى وشدة خشيته

برقم (٢٣٥٦)،

كلاهما من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها.

فصاحب الخوف: يلتجئ إلى الهرب والإمساك، وصاحب
الخشية: يلتجئ إلى الاعتصام بالعلم، مثلهما مثل من لا علم له
بالطب، ومثل الطبيب الحاذق، فالأول يلتجئ إلى الحمية
والهرب، والطبيب يلتجئ إلى معرفته بالأدوية والأدواء."

الخوف شرعا

أما الخوف في اصطلاح الشرع فلا يختلف معناه عن معناه اللغوي إلا في أمرين: الأول الخوف اللغوي والعرفي عام من حيث متعلقه، فيمكن أن يكون خوفاً من العدو، ويمكن أن يكون خوفاً من السبع، ويمكن أن يكون خوفاً من المرض، ويمكن أن يكون خوفاً من الخسارة المالية، ويمكن.....، ويمكن..... الخ، كما يمكن أن يكون خوفاً من الله تعالى، أما الخوف الشرعي فمتعلقه خاص وهو الله سبحانه وتعالى، فلا يطلق الخوف في الشرع إلا على الخوف من الله تعالى أو أي خوف يرجع إلى ذات الله سبحانه وتعالى، من عقابه وعظمته وجلاله والخوف من الموت وما بعد الموت والخوف من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، لأن كل هذه الأنواع من الخوف له علاقة مع الله سبحانه وتعالى بطريقة أو بأخرى.

والفرق الثاني بين الخوف لغة وعرفاً وبين الخوف شرعاً أن يشترط في الخوف الشرعي أمور لا تشترط في الخوف اللغوي، وستحدث عن هذه الشروط خلال الفصول القادمة، إن شاء الله، لكن نشير هنا إلى شيء منها خلال سياقنا لعبارات للإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

١. فمن علامات وآثار الخوف الشرعي أن تظهر آثاره على العمل، يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

وأما في الجوارح فكيفها عن المعاصي وتقيدها بالطاعات تلافياً لما فرط واستعداداً للمستقبل، ولذلك قيل: ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه، وقيل: من خاف شيئاً هرب منه ومن خاف الله عزوجل هرب إليه^(١).

٢. وقيل لذي النون المصري رحمه الله تعالى: متى يكون العبد خائفاً؟ قال إذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام.

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (٤ / ١٥٦).

٣. ومن شرائطه أيضاً أن تكون لديه كراهية ما لما يورث سخط الله وعقابه، يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

أما في الصفات فبأن يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيهِ إذا عرف أن فيه سمّاً، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الذل والخشوع والذلة والاستكانة، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، بل يصير مستوعب المهمل بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتضرع لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضئنة بالأنفاس واللحظات ومواخظة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات، ويكون حاله حال من وقع في محالب سبع ضار لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت أو يهجم عليه فيهلك، فيكون ظاهره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه ولا متسع فيه لغيره: هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه، وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين^(١).

٤. وقد سئل عن الإمام المحاسبي رحمه الله تعالى: ما علامة الخائف؟ قال: "الفرار من مواطن العقوبات، رجاء السلامة، وشدة الحركة، وكثرة البكاء، وطول العزلة، والنفور من ذكر العاصين، ثم سئل ما علامة الظاهرة؟ قال تغير اللون عند الحوادث والريح العاصف، والرعد القاصف، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا سمع الرعد تغير لونه ودخل وخرج^(٢)".

(١) المرجع السابق.

(٢) الرعاية لحقوق الله للإمام المحاسبي، كتاب الوصايا، الصفحة رقم (٣٢٢).

٥. وقد ذكر الفقيه السمرقندي رحمه الله تعالى علامات الخوف فقال: "علامة الخوف يتبين في سبعة أشياء^(١):"

أولها: يتبين في لسانه فيمتنع لسانه من الكذب والغيبة، وكلام الفضول ويجعل لسانه مشغولاً بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم.

الثاني: أن يخاف في أمر بطنه فلا يدخل بطنه إلا طيباً حلالاً ويأكل من الحلال مقدار حاجته.

الثالث: أن يخاف في أمر بصره فلا ينظر إلى الحرام ولا إلى الدنيا بعين الرغبة وإنما يكون نظره على وجه العبرة.

الرابع: أن يخاف في أمر يده فلا يمد يده إلى الحرام وإنما يمد يده إلى ما فيه طاعة الله عزوجل.

الخامس: أن يخاف في أمر قدميه فلا يمشي في معصية الله.

السادس: أن يخاف في أمر قلبه فيخرج منه العداوة والبغضاء وحسد الإخوان ويدخل فيه النصيحة والشفقة للمسلمين.

السابع: أن يكون خائفاً في أمر طاعته فيجعل طاعته خاصة لوجه الله الكريم، ويخاف الرياء والنفاق، فإذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله فيهم: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢)، وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾^(٣)، يعني نجاة وسعادة، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾^(٤).

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للإمام الفقيه نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي، الصفحة رقم (١٤٥)، ط ٤ / ١٤٠٦ هـ، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان.

(٢) سورة الزخرف، جزء من الآية برقم (٣٥).

(٣) سورة النبا، الآية برقم (٣١).

(٤) سورة الدخان، الآية برقم (٥١).

٦. فقد قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: "والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فضلاً محموداً، فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضاً أو موتاً أو هماً لازماً بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عزوجل لم يكن محموداً، ولهذا كان السلف يخافون على عطاء السلمي من شدة خوفه الذي أنساه القرآن وصار صاحب الفراش، وهذا لأن خوف العقاب ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو سوط يساق به المتوازي عن الطاعة إليها، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه، ولهذا المعنى عدّها الله سبحانه من جملة آلائه على الثقلين في سورة الرحمن^(١)،

ولا ننكر أنّ خشية الله وهيبته وعظمته في الصدور واجلاله مقصوداً أيضاً، ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عوناً على التقرب إلى الله بفعل ما يحبه وترك ما يكرهه، ومتى صار الخوف مانعاً من ذلك وقاطعاً عنه فقد انعكس المقصود منه^(٢)."

٧. وقد قال الإمام الغزالي في القدر الواجب منه: "اعلم أنّ الخوف محمود، وربّما يظن أنّ كل ما هو خوف محمود، فكل ما كان أقوى وأكثر كان أحمد! وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى، والأصلح للبهيمة أن لا تخلو عن سوط وكذا الصبي، ولكن ذلك لا يدل على أنّ المبالغة في الضرب محمودة، وكذلك الخوف له قصور وله إفراط واعتدال، والمحمود هو الاعتدال والوسط، فأما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع، وكذلك عند مشاهدة

(١) لقد أراد الإمام ابن رجب قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾، سورة الرحمن، الآية برقم (٣٥).

(٢) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الصفحة رقم (١٩-٢٠)، ط ١ / ١٣٩٩ هـ، مكتبة دار البيان، دمشق، شام.

سبب هائل، فإذا غاب ذلك السبب عن الحس ورجع القلب إلى الغفلة، فهذا خوف قاصر قليل الجدوي ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يؤلمها ألماً مبرحاً فلا يسوقها إلى المقصود ولا يصلح لرياضتها، وهكذا خوف الناس كلهم إلا العارفين حتى يخرج إلى اليأس والقنوط، وهو مذموم أيضاً لأنه يمنع من العمل وقد يخرج الخوف أيضاً إلى المرض والضعف وإلى الوله والدهشة وزوال العقل والموت فهو مذموم. فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كملاً^(١).

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (٤ / ١٥٧).

الفصل الثاني

في

أسس عامة للجمع بين الرجاء والخوف

ليس المطلوب من المؤمن أن يخاف الله فقط، ولا أن يرجو الله فقط، بل المطلوب هو الجمع بينهما، هذا ما دل عليه الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، لكن قبل أن نبحث في أدلة القرآن والسنة يجدر بنا أن نلقي نظرة عامة على القواعد والأسس التي تقتضي الجمع بين الخوف والرجاء.

أولاً الأمن والياس ممنوعان شرعاً

الرجاء واجب، ودرجاته متفاوتة بتفاوت الأشخاص والحالات، فلا يكلف الإنسان بالحصول على أعلى درجات الرجاء ولا على أعلى درجات الخوف في كل حال، كما لا يجوز له الخلو من واحد منهما، فيجب عليه أن يكون لديه رجاء ما ولو أدنى درجة منه كما يجب عليه أن يكون في قلبه خوف ما ولو أدنى درجة منه، من هنا قالوا: يجب الجمع بين الخوف والرجاء، وقالوا: الإيمان بين الخوف والرجاء، وذلك لأن الإنسان إذا خلا من الخوف مطلقاً يكون هذا أمناً من مكر الله، والأمن من مكر الله لا يجوز البتة، لقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١)، وكذلك إذا خلا الإنسان من الرجاء مطلقاً كان يأساً من رَوْحِ الله وهو أيضاً ممنوع، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢).

(١) سورة الأعراف، الآية برقم (٩٩).

(٢) سورة يوسف، جزء من الآية برقم (٨٧).

حكم من خلا عن الخوف أو الرجاء:

فوجب وجود الرجاء والخوف معا، لانعرف لأحد من العلماء اختلافا في ذلك، لكنهم اختلفوا في درجة الوجوب، هل ترك هذا الواجب يُعدّ كفرا أم فسقا، فذهبت الحنفية إلى كونه كفرا وذهبت الشافعية إلى كونه فسقا، وحمل بعضهم الكفر على التعليل والتشديد.

قال الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى^(١):

"واستدللت الحنفية بالآية على أن الأمن من مكر الله تعالى وهو كما في جمع الجوامع الاسترسال في المعاصي إتكالا على عفو الله تعالى كفر، ومثله اليأس من رحمة الله تعالى لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَنْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢)، وذهبت الشافعية إلى أنهما من الكبائر لتصريح ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بذلك، وروى ابن أبي حاتم والبخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل، ما الكبائر؟ فقال: الشرك بالله تعالى، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، وهذا أكبر الكبائر، قالوا: وما ورد من أن ذلك كفرٌ محمول على التعليل، وآية: لا يياس الخ كقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ لَإِنَّكَهَا إِلَّا زَانٍ﴾^(٣) و ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٤)."

وقد أطلق الحسن البصري رحمه الله تعالى اسم الفاجر على الذي يأمن من مكر الله، فذكر الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى عن الحسن البصري أنه قال: "المؤمن يعمل

(١) روح المعاني للإمام الآلوسي تحت آية سورة الأعراف برقم (٩٩).

(٢) سورة يوسف، جزء من الآية برقم (٨٧).

(٣) سورة النور، جزء من الآية برقم (٣).

(٤) سورة المجادلة، جزء من الآية برقم (٢٢).

بالبطاعات وهو مُشْفِقٌ وَجِلٌ خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن^(١).
 وذكر الإمام النسفي رحمه الله تعالى أن المراد بـ "القوم الخاسرون" في الآية المذكورة الكفار، حيث قال: فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ، إلا الكافرون الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا إلى النار^(٢).

ويشير الإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالى إلى أنه أراد بـ "القوم الخاسرون" في الآية المذكورة الكفار، وإن لم يصرح بذلك حيث قال:

وبين أنه لا يأمن من نزول عذاب الله على هذا الوجه "إلا القوم الخاسرون"، وهم الذين لغفلتهم وجهلهم لا يعرفون ربهم، فلا يخافونه، وَمَنْ هَذِهِ سَبِيلُهُ فهو أخسر الخاسرين في الدنيا والآخرة، لأنه أوقع نفسه في الدنيا في الضرر، وفي الآخرة في أشد العذاب^(٣).

وقال الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى في تفسير "القوم الخاسرون" الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار، والرازي والبيضاوي كلاهما شافعيان، فعلم أن ما نسبته الآلوسي إلى الشافعية من القول بفسق من خلا عن الرجاء أو الخوف دون كفره ليس على إطلاقه، وليس ذلك مذهب لجميع الشافعية^(٤).

وكذلك حمل كثير من العلماء "القوم الكافرون" على حقيقته، قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: إلا القوم الكافرون، يعني: القوم الذين يمجدون قدرته على ما شاء

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير تحت آية سورة الأعراف برقم (٩٩).

(٢) تفسير النسفي المسمى بمدارك التزويل وحقائق التأويل للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحت آية سورة الأعراف برقم (٩٩)، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، ط ٤ / ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي تحت آية سورة الأعراف برقم (٩٩).

(٤) تفسير البيضاوي المسمى بأنوار التزويل وأسرار التأويل للإمام أبي الخير ناصر الدين عبد الله البيضاوي، تحت آية سورة الأعراف برقم (٩٩)، ط ١ / ١٤٠٢هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

تكوينه^(١).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

أي: لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه
ويقصدونه، فإنه لا يقطع الرجاء، ويقطع الإياس من الله إلا القوم
الكافرون^(٢).

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى: إنه لا يأس من رُوح الله إلا القوم الكافرون، لأن
المؤمن يرجو الله في الشدائد^(٣).

وقال الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى: إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ، بالله
وصفاته، فإن العارف المؤمن لا يقنط من رحمة في شيء من الأحوال^(٤).
ويقول الإمام ابن عطية رحمه الله تعالى:

ويظهر من حديث الذي قال: إذا مت فاحرقوني ثم اسحقوني
ثم اذروني في البحر والبر في يوم راح، فلتن قدر الله علي ليعذبني
عذاباً ما عذبه أحداً من الناس، إنه ينس من روح الله، وليس
الأمر كذلك، لأن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في آخر
الحديث فغفر الله له يقتضي أنه مات مؤمناً إذ لا يغفر الله لكافر،
فبقي أن يتأول الحديث، إما على أن قدر بمعنى ضيق وناقش
الحساب، فذلك معنى بين، وإما أن تكون من القدرة، ويقع خطأ
في أن ظن في أن الاجتماع بعد السحق والتذرية محال لا يوصف

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري تحت آية سورة يوسف برقم (٨٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير تحت آية سورة يوسف برقم (٨٧).

(٣) زاد المسير في علم التفسير للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحت آية سورة
يوسف برقم (٨٧)، ط ٣ / ١٤٠٤ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

(٤) أسرار التأويل وأنوار التزويل المعروف بـ تفسير البيضاوي للإمام البيضاوي تحت آية يوسف
برقم (٨٧).

الله تعالى بالقدرة عليه فغلط في أن جعل الجائز محالاً، ولا يلزمه بهذا كفر^(١).

و لا يرد هذا الإشكال إلا إذا حُمل "الكافرون" في الآية المذكورة على الكفر الحقيقي، وقد ذكر الإمام القرطبي رحمه الله تعالى الوجهين إطلاق الكفر وإطلاق الكبيرة، حيث قال:

وَلَا تَيَأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، أَي لَا تَقْنَطُوا مِنْ فَرَجِ اللَّهِ، قَالَه ابن زيد، يريد: أن المؤمن يرجو فرج الله، والكافر يقنط في الشدة، وقال قتادة والضحاك: من رحمة الله، إِنَّهُ لَا يَيَأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ، دليل على أن القنوط من الكبائر، وهو اليأس^(٢).

هذه النصوص تدل على أنه لم تنفرد الحنفية بإطلاق الكفر على من خلا من الرجاء أو الخوف، ويمكن التوفيق بين الرأيين بأنه يُحكم بالكفر إذا كان هناك فساد في الاعتقاد، مثل أن يعتقد في الأمن من مكر الله أن الله تعالى لا يقدر على تعذيبه (والعياذ بالله) ويُحكم بالفسق إذا لم يكن هناك فساد في العقيدة، يقول الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى موفّقا بين الرأيين:

وقال بعض المحققين: إن كان في الأمن اعتقاد أن الله تعالى لا يقدر على الانتقام منه، وكذا إذا كان في اليأس اعتقاد عدم القدرة على الرحمة والاحسان أو نحو ذلك فذلك مما لا ريب في أنه كفر، وإن خلا عن نحو هذا الاعتقاد، ولم يكن فيه تماون وعدم مبالاة بالله تعالى فذلك كبيرة، وهو كالتحاكمة بين

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحت آية سورة يوسف برقم (٨٧)، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ط ١ / ١٣٩٥هـ، مطبعة فضالة، المغرب.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله القرطبي تحت آية سورة يوسف برقم (٨٧).

القولين^(١).

وقريب منه ما قاله الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى:
واعلم أن اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا إذا اعتقد
الإنسان أن الإله غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع
المعلومات أو ليس بكريم بل هو بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة
يوجب الكفر، فإذا كان اليأس لا يحصل إلا عند حصول أحد
هذه الثلاثة، وكل واحد منها كفر ثبت أن اليأس لا يحصل إلا
لمن كان كافراً، والله أعلم^(٢).

^(١) روح المعاني للإمام الآلوسي تحت آية سورة الأعراف برقم (٩٩).

^(٢) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي تحت آية سورة يوسف برقم (٨٧).

ثانياً وسطية هذه الأمة تقتضي الجمع بينهما

وهناك سبب آخر يقتضي الجمع بين الرجاء والخوف، وهو أن الوسطية من خصائص هذه الأمة، فأمرنا بالدعاء بالصراط المستقيم في كل صلاة، والصراط المستقيم هو الوسط بين طرفي الإفراط والتفريط،

وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا^(١)﴾،

يقول الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسير الآية المذكورة:

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً"، كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه السلام وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لِقِبلة إبراهيم واملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطاً.

ويقول رحمه الله تعالى أيضاً:

قال أبو جعفر: وأنا أرى أن "الوسط" في هذا الموضع، هو "الوسط" الذي بمعنى: الجزء الذي هو بين الطرفين، مثل "وسط الدار" محرك الوسط مثقله، غير جائر في "سينه" التخفيف.

وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم "وسط"، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم

(١) سورة البقرة، جزء من الآية برقم (١٤٣).

الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها^(١).

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:

أي خيرهم وأعدهم، وخير الأشياء أوسطها، وقال الكلبي يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في الدين^(٢).

وقال الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى:

وقيل: المعنى أنه شبه جعلهم أمة وسطاً يجعلهم على الصراط المستقيم، أي جعلناكم أمة وسطاً مثل ذلك الجعل الغريب الذي فيه اختصاصكم بالهداية، لأنه قال: {يهدي من يشاء}، فلا تقع الهداية إلا لمن شاء الله تعالى، وقيل: المعنى كما جعلنا قبلكم خير القبل، جعلناكم خير الأمم، وقيل: المعنى كما جعلنا قبلكم متوسطة بين المشرق والمغرب، جعلناكم أمة وسطاً، وقيل: المعنى كما جعلنا الكعبة وسط الأرض، كذلك جعلناكم أمة وسطاً^(٣).

فمن خصائص هذه الأمة وسطيتها وخلوها عن طرقي الإفراط والتفريط، فالرجاء المحض الخالي عن الخوف أحد طرقي الإفراط والتفريط، والخوف الخالي عن الرجاء طرف آخر منهما، فلا تتحقق الوسطية إلا بالخلو من الإفراط والتفريط، ولا يتحقق الخلو منهما إلا بالجمع بين الخوف والرجاء، وقد رُوي في مطلوبة الوسطية حديث آخر، لفظه متكلم فيه لكن معناه صحيح ثابت بنصوص أخرى، وقد تكلم على الحديث العلامة السنخاوي رحمه الله تعالى، وكلامه مفيد ننقله هنا بكامله:

حديث: خير الأمور أوسطها، ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري تحت آية سورة البقرة برقم (١٤٣).

(٢) تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحت آية سورة البقرة برقم (١٤٣)، ط ١ / ١٤١٤ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣) البحر المحيط للإمام ابن حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحت آية سورة البقرة برقم (١٤٣)، ط ٢ / ١٣٩٨ هـ، دار الفكر، القاهرة، مصر.

بسند مجهول عن علي مرفوعاً به، وهو عند ابن جرير في التفسير من قول مطرف بن عبد الله ويزيد بن مرة الجعفي، وكذا أخرجه البيهقي عن مطرف، وللدلمي بلا سند عن ابن عباس مرفوعاً: خير الأعمال أوسطها، في حديث أوله: دوموا على أداء الفرائض وللعسكري من طريق معاوية بن صالح عن الأوزاعي قال: ما من أمر أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يبالي أيهما أصاب الغلو والتقصير، ولأبي يعلى بسند رجاله ثقات عن وهب بن منبه قال: إن لكل شيء طرفين ووسطاً فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر وإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالأوسط من الأشياء ويشهد لهذا كله قوله تعالى "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط" وقوله: "لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً" وقوله "ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً" وقوله "إنما بقرة لا فارض ولا بكر" وهي الشابة "عوان بين ذلك" وكذا حديث الاقتصاد وأنشد بعضهم:

عليك بأوساط الأمور فإنها... نجاة ولا تركب ذلولاً ولا صعباً
وقال آخر:

حب التناهي غلط... خير الأمور الوسط^(١).

(١) المقاصد الحسنة في بيان الكثير من الأحاديث المشتهرة للإمام عبدالرحمن السخاوي، باب الحياء، تحقيق محمد عثمان، ط ١ / ١٤٠٥هـ، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان.

ثالثاً الجمع بينهما مقتضى معرفة صفات الله تعالى

فالرجاء مقتضى صفات الله التي ترجع إلى الرحمة، والخوف مقتضى صفاته التي ترجع إلى الغضب، فمن كان لديه الرجاء عرف النوع الأول من الصفات، ومن خاف الله عرف النوع الثاني منها، ومن كان خالياً عن الرجاء أهمل النوع الأول من الصفات، ومن خلا عن الخوف أهمل النوع الثاني منهما، ومن خلا من كل منهما فقد أهمل الصفات كلها، وكل واحد من هذه الحالات تقصير في حق الله سبحانه وتعالى، لأن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن ينبئهم عن رحمة تعالى وعذابه، فقال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾^(١)، فثبت أن معرفة كل نوع من صفات الله تعالى مطلوبة شرعاً.

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: أخبر عبادي يا محمد! أي أنا الذي أستر على ذنوبهم إذا تابوا منها وأنابوا، بترك فضيحتهم بما عقوبتهم عليها، الرحيم بهم أن أعذبهم بعد توبتهم منها عليها (وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ)، يقول: وأخبرهم أيضاً أن عذابي لمن أصر على معاصي وأقام عليها ولم يتب منها، هو العذاب الموجه الذي لا يشبهه عذاب، هذا من الله تحذير لخلقهم التقدم على معاصيه، وأمر منه لهم بالإنبابة والتوبة،

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) قال: بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لَوْ يَعْلَمُ الْعَبْدُ قَدْرَ عَفْوِ اللَّهِ لَمَا تَوَرَّعَ مِنْ حَرَامٍ، وَلَوْ يَعْلَمُ قَدْرَ عَذَابِهِ لَبَخَعَ

(١) سورة الحجر، الآية برقم (٤٩ و ٥٠).

نفسه"،

حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: أخبرنا ابن المكي، قال: أخبرنا ابن المبارك، قال: أخبرنا مصعب بن ثابت، قال: ثنا عاصم بن عبد الله، عن ابن أبي رباح، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: " طَلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبَابِ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ بَنُو شَيْبَةَ، فَقَالَ: أَلَا أَرَأَيْكُمْ تُضْحَكُونَ؟ ثُمَّ أَدْبَرَ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَجَرِ رَجَعَ إِلَيْنَا الْقَهْقَرَى، فَقَالَ: إِلَيَّ لَمَّا خَرَجْتُ جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: لِمَ تُقْنَطُ عِبَادِي؟ نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ^(١)."

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري تحت آيتي سورة الحجر برقم (٤٩) و

الفصل الثالث

في

الجمع بين الخوف والرجاء في القرآن الكريم

نسوق في هذا الفصل أدلة من القرآن الكريم على أن الجمع بين الرجاء والخوف أمر مطلوب:

١. قال الله تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا^(١)﴾.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

قوله: "ويرجون رحمته ويخافون عذابه"، لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكف عن المناهي، وبالرجاء ينبعث على الطاعات^(٢).

وقال الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى:

وقوله تعالى: "ويرجون" عطف على يبتغون أي يبتغون القربة بالعبادة ويتوقعون "رحمته" تعالى "ويخافون عذابه" كدأب سائر العباد، فأين هم من ملك كشف الضر فضلا عن كونهم آلهة "إن عذاب ربك كان محذورا" حقيقا بأن يحذره ويحترز عنه كل أحد من الملائكة والرسل عليهم السلام وغيرهم، والجملته تعليل لقوله

(١) سورة الإسراء، الآية برقم (٥٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير تحت آية سورة الإسراء برقم (٥٧).

سبحانه: "ويخافون عذابه"، وفي تخصيصه بالتعليل زيادة تحذير للكفرة من العذاب، وتقديم الرجاء على الخوف لما أن متعلقه أسبق من متعلقه ففي الحديث القدسي "سبقت رحمتي غضبي".
وقال رحمه الله تعالى أيضاً:

وفي اتحاد أسلوب الجملة إيماء إلى تساوي رجاء أولئك الطالبين للوسيلة إليه تعالى بالطاعة والعبادة وخوفهم، وقد ذكر العلماء أنه ينبغي للمؤمن ذلك ما لم يحضره الموت فإذا حضره الموت ينبغي أن يغلب رجاءه على خوفه، وفي الآية دليل على أن رجاء الرحمة وخوف العذاب مما لا يخل بكمال العابد، وشاع عن بعض العابدين أنه قال: لست أعبد الله تعالى رجاء جنته ولا خوفاً من ناره والناس بين قادح لمن يقول ذلك ومادح، والحق التفصيل وهو أن من قاله إظهاراً للاستغناء عن فضل الله تعالى ورحمته فهو مخطئ كافر، ومن قاله لاعتقاد أن الله عز وجل أهل للعبادة لذاته حتى لو لم يكن هناك جنة ولا نار لكان أهلاً لأن يعبد فهو محقق عارف كما لا يخفى^(١).

٢. قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٢).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

"يدعون ربهم خوفاً وطمعاً" أي: خوفاً من وبال عقابه، وطمعاً في

(١) روح المعاني للإمام الألويسي تحت آية سورة الإسراء برقم (٥٧).

(٢) سورة السجدة، الآية برقم (١٥ و ١٦).

جزيل ثوابه^(١).

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:

قوله عز وجل: «يدعون ربهم خوفاً وطمعاً»، قال ابن عباس رضي الله

تعالى عنهما: خوفاً من النار وطمعاً في الجنة،

ثم روى الإمام البغوي رحمه الله تعالى:

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم: عجب ربنا من رجلين: رجل ثار عن وطنه

ولخافه من بين حبه وأهله إلى صلاته، فيقول الله لملائكته: انظروا

إلى عبدي ثار عن فراشه ووطنه من بين حبه وأهله إلى صلاته

رغبة فيما عندي وشفقاً مما عندي، ورجل غزا في سبيل الله فأنهزم

معه أصحابه، فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع، فرجع

فقاتل حتى أهرىق دمه، فيقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدي

رجع رغبة فيما عندي وشفقاً مما عندي حتى أهرىق دمه^(٢).

وقال الإمام الماوردي رحمه الله تعالى:

"يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا"، فيه وجهان: أحدهما: خوفاً من

حسابه وطمعاً في رحمته، الثاني: خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه،

ويحتمل ثالثاً: يدعون في دفع ما يخافون والتماس ما يرجون ولا

يعدلون عنه في خوف ولا رجاء^(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير تحت آيتي سورة السجدة برقم (١٥ و ١٦).

(٢) معالم التنزيل للإمام البغوي تحت آيتي سورة السجدة برقم (١٥ و ١٦).

(٣) النكت والعيون للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي

الماوردي، تحت آيتي سورة السجدة برقم (١٥ و ١٦)، ط ١ / ١٤١٩ هـ، دار إحياء

التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣. قال الله تعالى:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ^(١)﴾.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

قوله: "يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه"، أي: في حال عبادته خائف راج، ولا بد في العبادة من هذا وهذا، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب، ولهذا قال: "يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه"، فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه^(٢).

قال الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى:

وفيها دلالة على فضل الخوف والرجاء، وقد أخرج الترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجل وهو في الموت فقال: كيف تجددك؟ قال: أرجو وأخاف، فقال عليه الصلاة والسلام: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الذي يرجو وآمنه الذي يخاف^(٣).

٤. قال الله تعالى:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّنَا لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّنَا لَشَدِيدُ الْعِقَابِ^(٤)﴾.

(١) سورة الزمر، الآية برقم (٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير تحت آيتي سورة السجدة برقم (١٥ و ١٦).

(٣) روح المعاني للإمام الآلوسي تحت آية سورة الزمر برقم (٩).

(٤) سورة الرعد، الآية برقم (٦).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: {وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم} أي: إنه ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار، ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب، ليعتدل الرجاء والخوف، كما قال تعالى: {فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين^(١)}، وقال: {إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم^(٢)}، وقال: {نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم^(٣)}، إلى أمثال ذلك من الآيات التي تجمع الرجاء والخوف، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب قال: لما نزلت هذه الآية: {وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب}، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لولا عفو الله وتجاوزه، ما هنا أحدنا العيش ولولا وعيده وعقابه، لاتكل كل أحد".

ثم قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن عثمان أبي حسان الزياتي: أنه رأى رب العزة في النوم، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقف بين يديه يشفع في رجل من أمته، فقال له: ألم يكفك أني أنزلت عليك في سورة الرعد: {وإن

(١) سورة الأنعام، جزء من الآية برقم (١٤٧).

(٢) سورة الأعراف، جزء من الآية برقم (١٦٧).

(٣) سورة الحجر، الآية برقم (٤٩ و ٥٠).

ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم؟ قال: ثم انتهت^(١).

وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

أخبرنا أبو الحسين بن بشران المعدل، ببغداد، أخبرنا أبو الحسين إسحاق بن أحمد الكاظمي، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني هارون بن معروف، حدثنا سيار، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا علي بن زيد، عن مطرف، أنه تلا هذه الآية: وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب فقال: «فلو يعلم الناس قدر مغفرة الله ورحمة الله وعفو الله وتجاوز الله لقرت أعينهم، ولو يعلم الناس نكال الله ونقم الله، وبأس الله، وعذاب الله ما رقا لهم دمع ولا انتفعوا بطعام ولا شراب^(٢)».

٥. قال الله تعالى:

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ^(٣)﴾.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

يقول تعالى: فإن كذبتك - يا محمد - مخالفتك من المشركين واليهود ومن شابههم، فقل: {ربكم ذو رحمة واسعة} وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة، واتباع رسوله، {ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين} ترهيب لهم من مخالفتهم الرسول خاتم النبيين، وكثيرا ما يقرون الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن، كما قال تعالى في آخر هذه السورة: {إن ربك سريع

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير تحت آية سورة الرعد برقم (٦).

(٢) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٣٥).

(٣) سورة الأنعام، الآية برقم (١٠٧).

العقاب وإنه لغفور رحيم^(١)، وقال {وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب^(٢)، وقال تعالى: {نبي عبادي أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم^(٣)، وقال تعالى: {غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب^(٤)، وقال: {إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود^(٥)، والآيات في هذا كثيرة جدا^(٦).

٦. قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ^(٧)﴾.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

قوله: {إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ} أي: لمن عصاه وخالف أمره وشرعه، {وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} أي: لمن تاب إليه وأناب. وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة، لنلا يحصل اليأس، فيقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب كثيرا، لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف^(٨).

(١) سورة الأنعام، جزء من الآية برقم (١٦٥).

(٢) سورة الرعد، جزء من الآية برقم (٦).

(٣) سورة الرعد، الآية برقم (٤٩ و ٥٠).

(٤) سورة غافر، جزء من الآية برقم (٣).

(٥) سورة البروج، الآية برقم (١٢-١٤).

(٦) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير تحت آية سورة الرعد برقم (٦).

(٧) سورة الأعراف، الآية برقم (١٦٧).

(٨) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير تحت آية سورة الأعراف برقم (١٦٧).

وقال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد! لسريع عقابه إلى من استوجب منه العقوبة على كفره به ومعصيته، "وإنه لغفور رحيم"، يقول: وإنه لذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه، فأتاب وراجع طاعته، يستر عليها بعفوه عنها، "رحيم" له، أن يعاقبه على جرمه بعد توبته منها، لأنه يقبل التوبة ويُقيل العثرة^(١).

٧. قال الله تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾^(٢).

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى:

ومعنى الآية: إنا مع إيماننا، بين الخوف والرجاء، فمن يجيركم مع كفركم من العذاب؟ أي: لأنه لا رجاء لكم كرجاء المؤمنين^(٣).

٨. قال الله تعالى:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٤).

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى:

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري تحت آية سورة الأعراف برقم (١٦٧).

(٢) سورة الملك، الآية برقم (٢٨-٣٠).

(٣) زاد المسير للإمام ابن الجوزي تحت آيات سورة الملك برقم (٢٨-٣٠).

(٤) سورة الفاتحة، الآية برقم (٧).

الفائدة التاسعة: في الآية سؤال آخر، وهو أن من أنعم الله عليه امتنع أن يكون مغضوبا عليه وأن يكون من الضالين، فلما ذكر قوله أنعمت عليهم، فما الفائدة في أن ذكر عقبيه غير المغضوب عليهم ولا الضالين؟ والجواب: الإيمان إنما يكمل بالرجاء والخوف، كما قال عليه السلام: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا» فقوله: صراط الذين أنعمت عليهم يوجب الرجاء الكامل، وقوله: غير المغضوب عليهم ولا الضالين يوجب الخوف الكامل، وحينئذ يقوى الإيمان بركنيه وطرفيه، وينتهي إلى حد الكمال^(١).

٩. قال الله تعالى:

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٢).

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى:

المسألة الثانية: قوله: {فاستمع لما يوحى} فيه نهاية الهيبة والجلالة فكأنه قال: لقد جاءك أمر عظيم هائل فتأهب له واجعل كل عقلك وخاطرك مصروفا إليه، فقوله: {وأنا اخترتك} يفيد نهاية اللطف والرحمة، وقوله: {فاستمع} يفيد نهاية الهيبة، فيحصل له من الأول نهاية الرجاء ومن الثاني نهاية الخوف^(٣).

١٠. قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

(١) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي تحت آية سورة الفاتحة برقم (٧).

(٢) سورة طه، الآية برقم (١٣ و ١٤).

(٣) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي تحت آية سورة طه برقم (١٣ و ١٤).

(٤) سورة العنكبوت، الآية برقم (٦).

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى:

المسألة الرابعة: الآية فيها بشارة وفيها إنذار، أما الإنذار فلأن الله إذا كان غنيا عن العالمين فلو أهلك عباده بعذابه فلا شيء عليه لغناه عنهم وهذا يوجب الخوف العظيم، وأما البشارة فلأنه إذا كان غنيا، فلو أعطى جميع ما خلقه لعبده من عبادة لا شيء عليه لاستغنائه عنه، وهذا يوجب الرجاء التام^(١).

قال الله تعالى: ١١

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾^(٢).

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى:

الخشية بقدر معرفة المخشي، والعالم يعرف الله فيخافه ويرجوه، وهذا دليل على أن العالم أعلى درجة من العابد، لأن الله تعالى قال: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}^(٣)، فبين أن الكرامة بقدر التقوى، والتقوى بقدر العلم، فالكرامة بقدر العلم لا بقدر العمل، نعم العالم إذا ترك العمل قدح ذلك في علمه، فإن من يراه يقول: لو علم لعمل، ثم قال تعالى: {إن الله عزيز غفور}، ذكر ما يوجب الخوف والرجاء، فكونه عزيزا ذا انتقام يوجب الخوف التام، وكونه غفورا لما دون ذلك يوجب الرجاء البالغ، وقراءة من قرأ بنصب العلماء ورفع الله، معناها إنما يعظم وييجل^(٤).

(١) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي تحت آية سورة العنكبوت برقم (٦).

(٢) سورة الفاطر، جزء من الآية برقم (٢٨).

(٣) سورة الحجرات، جزء من الآية برقم (١٣).

(٤) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي تحت آية سورة الفاطر برقم (٢٨).

١٢. قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾^(١).

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى مبينا وجه دلالة هذه الآيات على الرجاء والخوف معا بأسلوب رائع وطريقة مبتكرة:

واعلم أن كونه سبحانه قهارا مشعر بالترهيب والتخويف، فلما ذكر ذلك أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال: {رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار}، فكونه ربا مشعر بالتربية والإحسان والكرم والجود، وكونه غفارا مشعر بالترغيب، وهذا الموجود هو الذي تجب عبادته، لأنه هو الذي يخشى عقابه ويرجى فضله وثوابه، ونذكر طريقة أخرى في تفسير هذه الآيات، فنقول إنه تعالى ذكر من صفاته في هذا الموضع خمسة: الواحد، والقهار، والرب، والعزيز، والغفار، أما كونه واحدا فهو الذي وقع الخلاف فيه بين أهل الحق وبين المشركين، واستدل تعالى على كونه واحدا بكونه قهارا، وقد بينا وجه هذه الدلالة إلا أن كونه قهارا وإن دل على إثبات الوحدانية إلا أنه يوجب الخوف الشديد، فأردفه تعالى بذكر صفات ثلاثة دالة على الرحمة والفضل والكرم، أولها: كونه ربا للسموات والأرض وما بينهما وهذا إنما تتم معرفته بالنظر في آثار حكمة الله تعالى في خلق السموات والأرض والعناصر الأربعة والمواليد الثلاثة، وذلك بحر لا ساحل له، فإذا تأملت في آثار حكمته ورحمته في

(١) سورة ص، الآية برقم (٦٥ و ٦٦).

خلق هذه الأشياء عرفت حينئذ تربيته لكل وذلك يفيد
الرجاء العظيم،

ولما ذكر الله هذه الأنواع الثلاثة من الدلائل الفلكية قال:
{ألا هو العزيز الغفار} والمعنى: أن خلق هذه الأجرام العظيمة
وإن دل على كونه عزيزا أي كامل القدرة إلا أنه غفار عظيم
الرحمة والفضل والإحسان، فإنه لما كان الإخبار عن كونه
عظيم القدرة يوجب الخوف والرهبه فكونه غفارا يوجب
كثرة الرحمة، وكثرة الرحمة توجب الرجاء والرغبة^(١).

قال الله تعالى: ١٣

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَ الْكُفْرَ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَّا وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا
وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ^(٢)﴾

قال الإمام إبراهيم بن عمر البقاعي رحمه الله تعالى:

ولما ذكرهم ما كانوا عليه قبل الهجرة من الضعف،
وامتنان عليهم بما أعزهم به، وختم هذه بالتحذير من الأموال
والأولاد الموقعة في الردى، ويتعظيم ما عنده الحامل على
الرجاء، تلاها بالأمر بالتقوى الناهية عن الهوى بالإشارة إلى
الخوف من سطواته إشارة إلى أنه يجب الجمع بينهما،

(١) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي تحت آيتي سورة ص برقم (٦٥ و ٦٦).

(٢) سورة الأنفال، الآية برقم (٢٨ و ٢٩).

وبين تعالى أنه يتسبب عنه الأمن من غيره في الأولى والنجاة من عذابه في الأخرى^(١).

قال الله تعالى: ١٤

﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

قال الإمام إبراهيم بن عمر البقاعي رحمه الله تعالى:

ولما ذكر القسمين المنجز عذابهم ومثابهم، ذكر المؤخر أمرهم وهو القسم الظالم لنفسه في الذي بدأ به في سورة فاطر، سورة الحشر الآخر، ولا يبعد أن تكون هذه سورة الحشر الأول لأنه صلى الله عليه وآله وسلم ساق الناس إلى أرض الحشر فقال: {وآخرون} أي ومنهم آخرون {مرجون} أي مؤخرون بين الرجاء والخوف {لأمر الله} أي لما يأمر به فيهم الملك الأعظم الذي له الأمر كله لا يدرون أي عذبون أم يرحمون، وقدم قوله: {إما يعذبهم} إن أصروا تخويفاً لهم حملاً على المبادرة إلى التوبة وتصفيتها والإخلاص فيها وحثاً على أن يكون الخوف ما دام الإنسان صحيحاً أغلب، وثنى بقوله: {وإما يتوب عليهم} أي إن تابوا ترجية لهم وترقيقاً لقلوبهم بالتذكير بمزل الأنس الذي أخرجوا أنفسهم منه ومنعوا من

^(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للشيخ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، تحت آيتي

سورة الأنفال برقم (٢٨ و ٢٩)، ط ١ / ١٤٢٧هـ، دار صادر، بيروت، لبنان.

^(٢) سورة التوبة، الآية برقم (١٠٥ و ١٠٦).

حلولة وطيب مستقره ومقبله وحلي أوقاته وعلي مقاماته
وشهي أقواته^(١).

قال الله تعالى: ١٥

﴿إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ
يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾^(٢).

قال الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى:

{ولم يخش} في أمور الدين {إلا الله} فعمل بموجب أمره
ونفيه غير آخذ له في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه
عدم الخشية عن القتال ونحو ذلك، وأما الخوف الجبلي من
الأمر المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت
التكليف والخطاب، وقيل: كانوا يخشون الأصنام ويرجونها
فأريد نفي تلك الخشية عنهم {فعسى أولئك} المنعوتون بتلك
النعوت الجميلة {أن يكونوا من المهتدين} إلى مباغيهم من
الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية، وإبراز اهتدائهم مع ما
بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع أطماع الكفرة
عن الوصول إلى مواقف الاهتداء والانتفاع بأعمالهم التي
يحسبون أنهم في ذلك محسنون، ولتويخهم بقطعهم بأنهم
مهتدون، فإن المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات، إذا كان
أمرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم،
وأعمالهم أعمالهم وفيه لطف للمؤمنين وترغيب لهم في ترجيح

^(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام إبراهيم بن عمر البقاعي تحت آيتي سورة التوبة

برقم (١٠٥ و ١٠٦).

^(٢) سورة التوبة، الآية برقم (١٨).

جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاعتذار بالله تعالى^(١).

قال الله تعالى: ١٦.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٢).

قال الإمام أبو الحسن بن محمد الخازن رحمه الله تعالى:

وهاهنا لطيفة، وهي أن قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ فيه إشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء، لأن لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة والفضل والإحسان، فإذا تذكّر العبد إنعام الله عز وجل عليه وإحسانه إليه فعند ذلك يقوى مقام الرجاء ثم أتبعه بقوله تضرعاً وخيفة وهذا مقام الخوف، فإذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء قوي إيمانه، والمستحب أن يكون الخوف أغلب على العبد في حال صحته وقوته فإذا قارب بالموت ودنا آخر أجله فيستحب أن يغلب رجاؤه على خوفه^(٣).

قال الله تعالى: ١٧.

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للإمام أبي السعود تحت آية سورة التوبة برقم (١٨).

(٢) سورة الأعراف، الآية برقم (١٠٥).

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام أبي الحسن علي بن محمد الخازن تحت آية سورة الأعراف برقم (١٠٥).

اللَّهُ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ
مِنْ هَادٍ^(١).

قال الإمام أبو الحسن بن محمد الخازن رحمه الله تعالى:

إذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود
الخائفين لله، وإذا ذكرت آيات الرعد والرحمة لانت جلودهم
وسكنت قلوبهم، وقيل حقيقة المعنى أن جلودهم تقشعروا عند
الخوف وتلين عند الرجاء^(٢).

قال الله تعالى: ١٨

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَلَا
تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ
رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).

قال الإمام أبو زيد عبدالرحمن بن محمد الثعالبي رحمه الله تعالى:

قوله سبحانه: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ...}، ألفاظها
عامة تتضمن كل فسادٍ قَلَّ أو كثر بعد صلاحٍ قَلَّ أو كثر،
والقصْدُ بالنهي هو على العموم، وتخصيص شيء دون شيء،
في هذا تحكم إلا أن يُقال على جهة المثال،
وقوله سبحانه: {وادعوه خَوْفًا وَطَمَعًا} أمر بأن يكون
الإنسان في حالة تقرب وتحرز، وتأميل لله عز وجل حتى

(١) سورة الزمر، الآية برقم (٢٣).

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام أبي الحسن علي بن محمد الخازن تحت آية سورة الزمر
برقم (٢٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية برقم (٥٥ و ٥٦).

يَكُونُ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ كَالجَنَاحَيْنِ لِلطَّيْرِ يَحْمِلَانِهِ فِي طَرِيقِ
استقامة، وإن انفرد أحدهما هَلَكَ الْإِنْسَانُ^(١).

١٩. قال الله تعالى:

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾^(٢).

جمع الله تعالى في هذه الآية بين الرجاء والخوف بطريقة لطيفة جدا، حيث ذكر
الخشية، ثم لم يذكر من أسماء الله تعالى ما يدل على غضبه وقهره، بل ذكر "الرحمن"،
فجمع الخوف والرجاء في جملة قصيرة، جمعهما في الفعل والمفعول به.

٢٠. قال الله تعالى:

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

قال الإمام ابن عطية المخاربي رحمه الله تعالى:

ثم خوف تعالى عباده، ورجاهم بقوله {اعلموا أن الله}،
وهكذا هو الأمر في نفسه حري أن يكون العبد خائفاً عاملاً
بحسب الخوف متقياً متأنساً بحسب الرجاء^(٤).

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحت آيتي
سورة الأعراف برقم (٥٥ و ٥٦)، ط ١ / ١٤٢٨هـ، مؤسسة العلمي للمطبوعات،
بيروت، لبنان.

(٢) سورة ق، الآية برقم (٣٣).

(٣) سورة المائدة، الآية برقم (٩٨).

(٤) انحرر الوجيز للإمام أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن تمام بن عطية المخاربي تحت
آيتي سورة المائدة برقم (٩٨).

نظرة عامة على الآيات الواردة في الباب

هكذا رأينا أن الله تعالى جمع بين الرجاء والخوف في كثير من الآيات، ولو أراد أحد استقصاء هذه الآيات مع ما فيها من معان وأسرار لطلال به البحث والكلام كثيراً، وما ذكرناه هنا إنما قطرة من بحر، لئستدل بما ذكرناه على ما لم نذكره.

وقد رأينا أن الآيات الواردة في هذا المعنى نوعان:

الأول ما جاء فيه ذكر الخوف والرجاء صراحة، كما في قوله تعالى: "يرجون رحمته ويخافون عذابه".

والنوع الثاني ما دل على الجمع بينهما بطريق الاستنباط، وقد رأينا أيضاً طريقة المفسرين وغيرهم من العلماء في الاستنباط من القرآن والتدبر فيه.

وقد رأينا أيضاً من خلال الآيات الكريمة المذكورة هنا أن الله تعالى لا يذكر ما يوجب خوفه من عقابه وغضبه إلا ويذكر معه ما يوجب الرجاء منه من رحمته وفضله وكرمه، ولا يذكر موجب الرجاء إلا ويذكر معه موجب الخوف.

وقد أوضح الأمر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في العبارة التي ذكرها عنه الإمام أبو زيد عبدالرحمن بن محمد الثعالبي رحمه الله تعالى في تفسيره فقال:

قال الإمام الغزالي رحمه الله في «منهاجه»: «ومن الآيات اللطيفة الجامعة بين الرجاء والخوف قوله تعالى: {تَبَيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (١)، ثم قال في عقبه: {وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} (٢)، لئلا يستولي عَلَيْكَ الرجاء بِمَرَّةٍ، وقوله تعالى: {شَدِيدِ الْعِقَابِ} (٣)، ثم قال في عقبه: {ذِي الطُّولِ} (٤)،

(١) سورة الحجر، الآية برقم (٤٩).

(٢) سورة الحجر، الآية برقم (٥٠).

(٣) سورة الغافر، جزء من الآية برقم (٣).

(٤) المرجع السابق.

لئلا يستولي عَلَيْكَ الخوف، وأعجَبُ من ذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ^(١)}، ثم قال في عَقِبِهِ: {وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ^(٢)}، وأعجَبُ منه قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ^(٣)}، فعلق الخشية باسم الرحمن، دون اسم الجبار أو المنتقم أو المتكبر ونحوه، ليكون تخويفاً في تأمين، وتحريكاً في تسكين، كما تقول: «أما تخشى الوالدةَ الرحيمة، أما تخشى الوالدَ الشفيق»، والمراد من ذلك أن يكون الطريق عدلاً، فلا تذهب إلى أمنٍ وقنوطٍ، جعلنا الله وإياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم، العاملين بما فيه، إنه الجواد الكريم^(٤).

هذا! ثم إن هناك آياتٍ استدلت بها المفسرون على ترجيح جانب الرجاء على جانب الخوف، كما أن هناك آياتٍ أخرى رأى العلماء أنها تقتضي ترجيح جانب الخوف على الرجاء، ولم نتعرض لهذا الجانب خلال دراستنا للآيات السابقة، لأنه سوف يكون لنا حديث عن المقارنة بين الخوف والرجاء في فصل مستقل، إن شاء الله تعالى.

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية برقم (٣٠).

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة ق، جزء من الآية برقم (٣٣).

(٤) جواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام أبي زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي تحت

آيتي سورة الحجر برقم (٤٩ و ٥٠).

الفصل الرابع

ففي

الجمع بين الخوف والرجاء في الأحاديث النبوية

١. قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه:

باب الرجاء مع الخوف، وقال سفيان ما في القرآن آية أشد علي من "لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ" (١) "...،
عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ينس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار (٢).

يقول الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى مبينا وجه دلالة الآية المذكورة على الجمع بينهما:

ومناسبته للترجمة من جهة أن الآية تدل على أن من لم يعمل بما تضمنه الكتاب الذي أنزل عليه لم تحصل له النجاة، لكن

(١) سورة المائدة، جزء من الآية برقم (٦٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف برقم (٦٤٦٩)، وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥٢)،

كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

يحتمل أن يكون ذلك من الإصر الذي كان كتب على من قبل هذه الأمة، فيحصل الرجاء بهذه الطريق مع الخوف. ويقول رحمه الله تعالى موضحاً دلالة الحديث على الدعوى المذكورة:

المراد أن الكافر لو علم سعة الرحمة لغطى على ما يعلمه من عظم العذاب فيحصل به الرجاء، أو المراد أن متعلق علمه بسعة الرحمة مع عدم التفاته إلى مقابلها يطمعه في الرحمة، ومطابقة الحديث للترجمة أنه اشتمل على الوعد والوعيد المقتضيين للرجاء والخوف، فمن علم أن من صفات الله تعالى الرحمة لمن أراد أن يرحمه والانتقام ممن أراد أن ينتقم منه لا يأمن انتقامه من يرجو رحمته ولا ييأس من رحمته من يخاف انتقامه، وذلك باعث على مجانبة السيئة ولو كانت صغيرة وملازمة الطاعة ولو كانت قليلة.

ويتضح هذا المعنى من خلال الجواب الذي ذكره الحافظ رحمه الله تعالى عن السؤال الوارد على الحديث حيث قال:

قيل في الجملة الأولى نوع إشكال، فإن الجنة لم تخلق للكافر ولا طمع له فيها فغير مستبعد أن يطمع في الجنة من لا يعتقد كفر نفسه فيشكل ترتب الجواب على ما قبله!

وأجيب بأن هذه الكلمة سيقى لترغيب المؤمن في سعة رحمة الله التي لو علمها الكافر الذي كتب عليه أنه يختم عليه أنه لا حظ له في الرحمة لتناول إليها ولم ييأس منها، إما بإيمانه المشروط وإما لقطع نظره عن الشرط مع تيقنه بأنه على الباطل واستمراره عليه عنادا، وإذا كان ذلك حال الكافر فكيف لا يطمع فيها المؤمن الذي هداه الله للإيمان؟ وقد ورد "أن إبليس يتناول للشفاعاة لما يرى يوم القيامة من سعة الرحمة".

ثم يلخص ابن حجر رحمه الله تعالى الكلام على الحديث قائلا:

والمقصود من الحديث أن المكلف ينبغي له أن يكون بين الخوف والرجاء حتى لا يكون مفرطا في الرجاء بحيث يصير من المرجئة القائلين لا يضر مع الإيمان شيء، ولا في الخوف بحيث لا يكون من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة إذا مات عن غير توبة في النار، بل يكون وسطا بينهما كما قال الله تعالى: "يرجون رحمته ويخافون عذابه"، ومن تتبع دين الإسلام وجد قواعده أصولا وفروعا كلها في جانب الوسط، والله أعلم^(١).

[أخرجه الإمام الطبراني رحمه الله تعالى في "الأوسط" من حديث جابر، ومن حديث حذيفة، وسند كل منهما ضعيف^(٢)].

٢. قال الإمام الترمذي رحمه الله تعالى في جامعه:

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال: "كيف تجددك؟" قال: والله يا رسول الله! إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يجتمعان في قلب

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر تحت هذا الحديث برقم (٦٤٦٩).

(٢) أخرجه الإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في المعجم الكبير، تحت هذا الحديث برقم (٤٤٥٤ و ٤٤٥٧)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط ٢ / ١٤٠٠ هـ، مكتبة ابن تيمية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف^(١).

قال الإمام الطيبي رحمه الله تعالى:

"كيف" سؤال عن الحال، أي: على أي حال تجد نفسك، ولذلك أجاب: بقوله: أرجو الله، أي: أجد نفسي راجياً رحمة الله خائفاً عقابه، فأبرز الجملة الأولى في معرض الفعلية، والثانية الإسمية وصدورها بـ(إن) التحقيقية تنبيهاً على أن خوفه كان محققاً مستمراً، ورجاءه حدث عند سياق الموت، وأيضاً راعى في نسبة الرجاء إلى الله، والخوف إلى الذنب أدباً حسناً، وكذلك ينبغي للمؤمن أن يحسن الظن بالله، ويرجع جانب الرجاء على الخوف. وقوله "يارسول الله!" اعتراض في غاية من الحسن فكأنه تحقق رجاءه وزال خوفه مستشفعاً بمكانة من اسمه رسول الله^(٢).

٣. قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان:

عن سعيد بن المسيب، أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، اشتكى، فدخل عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم،

(١) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الجنائز عن رسول الله، باب ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين برقم (٩٨٣)،

وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له برقم (٤٢٦١)،

كلاهما من حديث أنس رضي الله تعالى عنه.

(٢) شرح الطيبي على مشكوة المصايح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن للإمام شرف الدين حسين بن محمد بن عبدالله الطيبي، كتاب الجنائز، باب تمهي الموت وذكره، الصفحة رقم (٣٣٣/٣)، تحقيق المفتي عبد الغفار ورفقاؤه، ط ١ / ١٤١٧هـ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، باكستان.

يعوده فقال: "كيف تجددك يا عمر؟"، فقال: أرجو وأخاف، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب مؤمن إلا أعطاه الله الرجاء وأمنه الخوف"^(١).

٤. قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يقول الله: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، قال: يقول: أخرجوا بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٢)، فاشتد ذلك عليهم فقالوا: يا رسول الله! آينا ذلك الرجل؟ قال: أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألف، ومنكم رجل، ثم قال: "والذي نفسي في يده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشجرة البيضاء في جلد الثور الأسود والرقمة في ذراع الحمار"^(٣).

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠١٥).

(٢) سورة الحج، جزء من الآية برقم (٢).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب قوله عز وجل إن زلزلة الساعة شيء عظيم برقم (٦٥٣٠)،

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الإيمان، قوله يقول الله لأدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون برقم (٢٢٢)، كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه.

يقول الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

قوله: "إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة"، فكأنه صلى الله عليه وآله وسلم لما رجا رحمة ربه أن تكون أمته نصف أهل الجنة أعطاه ما إرتجاه وزاده، وهو نحو قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾^(١).

يقول الإمام بدرالدين العيني رحمه الله تعالى:

خص الخير به لرعاية الأدب، وإلا فالخير والشر كله بيد الله، قوله: "من كل ألف" وقد جاء في الحديث من كل مائة، والتفاوت بينهما كثير، والجواب: أن مفهوم العدد لا اعتبار له، يعني التخصيص بعدد لا يدل على نفي الزائد، أو المقصود منهما شيء واحد وهو تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين، قوله: "وما بعث النار" عطف على مقدر تقديره سمعت وأطعت، قوله "والرقمة" بفتح القاف وسكونها، الخط والرقمتان في الحمار هما الأثران في باطن عضديه، وقيل: الدائرة في ذراعه، وقال الكرمانى: الفرق كثير بين المشبه والمشبه به، الأوّل والثاني، فكيف يصح التشبيه في المقدار بشيئين مختلفين؟ وأجاب بأن المراد بيان قلة عدد المؤمنين بالنسبة إلى الكافرين غاية القلة^(٢).

٥. قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان:

عن مطرف، أنه تلا هذه الآية: "وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب"، فقال: فلو يعلم الناس

(١) سورة الضحى، الآية برقم (٤).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر تحت هذا الحديث برقم (٦٥٣٠).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام أبي محمد بدر الدين محمود بن أحمد العيني، تحت هذا الحديث برقم (٦٥٣٠)، الصفحة رقم (١٢٤/٢٣)، ط ١ / ١٤٢٤هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

قدر مغفرة الله ورحمة الله وعفو الله وتجاوز الله لقرت أعينهم،
ولو يعلم الناس نكال الله ونقم الله وبأس الله وعذاب الله ما
رقأ لهم دمع ولا انتفعوا بطعام ولا شراب^(١).

٦. قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه:

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم: الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل
ذلك^(٢).

[إن أول هذا الحديث يبعث في الإنسان الرجاء وآخره يبعث فيه

الخوف].

٧. قال الإمام ابن حبان رحمه الله تعالى:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم يروي عن ربه جل وعلا، قال: وعزيتي لا أجمع
على عبدي خوفين وأمينين، إذا خافني في الدنيا أمنت يوم
القيامة، وإذا أمنتني في الدنيا أخفته يوم القيامة^(٣).

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٣٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك
نعله والنار مثل ذلك برقم (٦٤٨٨)، من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه.

(٣) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حسن الظن بالله برقم
(٦٤٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

٨. قال الإمام ابن حبان رحمه الله تعالى:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه يقول: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رهط من أصحابه يضحكون، فقال: "لو تعملون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً"، فأتاه جبرئيل، فقال: إن الله قال لك: "لم تقتط عبادي؟" قال: فرجع إليهم وقال: "سدّدوا وأبشروا"^(١).
 إن موعظة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولاً بعث في الصحابة الخوف، فنبهه الله سبحانه وتعالى على أن مجرد الخوف لا يكفي بل لا بد من الاعتدال، والله أعلم.

٩. قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان:

عن ابن أبي مالك، قال: دخل وائلة بن الأسقع على مريض يعودُه فقال له: كيف تجددك؟ قال المريض: لقد خفت الله خوفاً حسبت أن لا يقوم لي بعد نظام، ورجوت الله رجاء فرجاني فوق ذلك، فقال وائلة: الله أكبر! سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أقسم، الخوف والرجاء أن لا يجتمعا في أحد في الدنيا فيرح ريح النار، ولا يفترقا في أحد في الدنيا فيريح ريح الجنة^(٢).

(١) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب باب حسن الظن بالله برقم

(٣٥٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٢) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠١٦).

الفصل الخامس

في

الجمع بين الخوف والرجاء في أقوال السلف

نذكر في هذا الفصل أقوال السلف في مطلوبة الجمع بين الرجاء والخوف، ولا شك فيه أن الأقوال بهذا الصدد كثيرة جداً، ونذكر هنا شيئاً منها:

١. قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:
"ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه: لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل، ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل"^(١).
٢. قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان:
أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت نصر بن محمد بن أحمد بن يعقوب العطار، يقول: سمعت أبا محمد البلاذري، يقول: سمعت يوسف بن الحسين، يقول: قال ذو النون:
"الخوف رقيب العمل، والرجاء شفيح الخن"^(٢).
٣. قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان:
أخبرنا أبو حامد أحمد بن أبي خلف الصوفي، حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن إسماعيل، حدثنا الحسن بن المثني، حدثنا

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (٢٦٤/٣).

(٢) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٨١)، الصفحة رقم (١٢٧/٣).

عفان، حدثنا همام، قال: سمعت قتادة، يقول: حدثنا مطرف، قال: كنا نأتي زيد بن صوحان فكان يقول: "يا عباد الله! أكرموا وأجملوا، فإنما وسيلة العباد إلى الله عز وجل خصلتان: الخوف، والطمع^(١)".

٤. قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في الزهد الكبير:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا محمد البلاذري يقول: ثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله العمري حدثني علي بن الموفق البغدادي قال: سمعت أحمد بن عاصم الأنطاكي قال: قلت لعابد: يرحمك الله! أخبرني ما دليل الخوف؟ قال: الحذر، قلت: فما دليل الشوق؟ قال: الطلب، قلت: فما دليل الرجاء؟ قال: العمل، قلت: يرحمك الله! نحن أين جاء ضعفنا؟ قال: لأنكم وثقتم حلم الله عنكم وستر الله عليكم على معصيته، ثم أنشأ يقول: "إن كنت تفهم ما أقول وتعقل فارحل بنفسك قبل أن بك يرحل وذر التشاغل بالذنوب وخلها حتى متى وإلى متى تتعلل^(٢)".

٥. قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في الزهد الكبير:

سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أبا الحسن الفارسي يقول: سمعت أبا عبد الله السوانيطي، بالبصرة يقول: وقال له رجل: عظمي، فقال: "مدار العبودية على ستة أشياء: التعظيم، والحياء، والخوف، والرجاء، والحب، وآهية، فمن

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٣٤)، الصفحة رقم (٨٠/٣).

(٢) الزهد الكبير للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، برقم (٦٨٧)، الصفحة رقم (١٩٢/٢)، تحقيق عامر أحمد حيدر، ط ١ / ١٤١٩هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

ذكر التعظيم يهيج الإخلاص، ومن ذكر الحياء يكون العبد على خطرات قلبه حافظاً، ومن ذكر الخوف يتوب العبد من الذنوب، ومن ذكر الرجاء يتسارع إلى الطاعات، ومن ذكر الحجة تصفو له الأعمال، ومن ذكر الهيبة يدع التملك والاختيار^(١).

٦. قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ومحمد بن موسى، قالوا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا الخضر بن أبان، حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، قال: "كان داود عليه السلام يذكر ذنوبه فيخاف الله مخافة تنفرج أعضاؤه ومفاصله من مواضعها، ثم يذكر رحمة الله على أهل الذنوب، ورأفته بهم فيرجع كل عضو إلى موضعه"^(٢).

٧. قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى:

وقف محمد بن سليمان على قبر أبيه، فقال: "اللهم إني أمسيت أخافك عليه وأرجوك له، فحقق رجائي، وآمن خوفاً عليه"^(٣).

٨. قال الإمام ابن بطة رحمه الله تعالى:

حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن أبي سهل الحرابي قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي قال: حدثنا موسى بن خاقان النحوي، قال: حدثنا أبو النصر هاشم

(١) الزهد الكبير للإمام البيهقي برقم (٧٦١)، الصفحة رقم (٢/٢٦٦).

(٢) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٦٩)، الصفحة رقم (٣/١١٥).

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس للإمام ابن عبد البر القرطبي، الصفحة رقم (٣/١١٥)، تحقيق

محمد مرسي الخولي، ط ١ / ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

بن القاسم قال: حدثنا بكر بن خنيس، عن ليث بن أبي سليم، عن أبي هبيرة الأنصاري، عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: "ألا أخبركم بالفقيه كل الفقيه؟ من لم يقتط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من مكر الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله^(١)".

٩. قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى:

قال لقمان لابنه: "يا بني! ارج الله رجاء لا تأمن فيه مكره، وخف الله مخافة لا تأيسن فيها من رحمته"، فقال: كيف أستطيع ذلك، وإنما لي قلب؟ فقال يا بني! "إن المؤمن كذي قلبين قلب يخاف به، وقلب يرجو به"^(٢).

١٠. قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى:

قال مطرف بن عبد الله الشَّخِير: لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا^(٣).

١١. قال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى:

حدثنا عبد الله قال: وأخبرني عبد المنعم، عن أبيه، عن وهب بن منبه قال: قال لقمان لابنه: "يا بني! ارج الله رجاء لا يجرنك على معصيته، وخف الله خوفا لا يؤيسك من رحمته"^(٤).

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومُجانبة الفرق المذمومة للإمام عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، الصفحة رقم (٧٣/٣)، تحقيق رضا بن نسان معطي، ط ٢ / ١٤١٥ هـ، دار الراجعية، الرياض.

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس للإمام ابن عبد البر، الصفحة رقم (٨٢/١).

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس للإمام ابن عبد البر، الصفحة رقم (٧٣/١).

(٤) الوجل والتوثق بالعمل للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (١٣/١).

١٢ . قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان:

أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا الحسين بن صفوان، حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، أخبرنا أبو خيثمة، حدثنا شابة بن سوار، عن هشام بن الغاز، حدثني حيان أبو النضر، قال: قال لي وائلة بن الأسقع: قدني إلى يزيد بن الأسود فإني قد بلغني أن المأ نزل به، قال: فقدته فدخل عليه وهو ثقيل وقد وجه - يعني نحو القبلة - وقد ذهب عقله، قال: نادوه، فنادوه فقلت: إن هذا وائلة بن الأسقع أخوك، قال: فأبقى الله من عقله أن سمع أن وائلة قد جاء، فمد يده فجعل يلتمس بها، فعلمت ما يريد فأخذت كف وائلة فجعلتها في كفه، وإنما أراد أن يضع يده في يد وائلة، ذلك لموضع يد وائلة من يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجعل يضعها مرة على صدره، ومرة على وجهه، ومرة على فيه، فقال وائلة: ألا تخبرني عن شيء أسألك عنه؟ كيف ظنك بالله؟ قال: اعترضني ذنوب لي أشفيت على هلكة، ولكن أرجو رحمة الله، فكبر وائلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال: الله أكبر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يقول الله عز وجل: "أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء"^(١).

١٣ . قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان:

أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت محمد بن عبد الله، يقول: سمعت الحسن بن سليمان، يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إبراهيم الرازي، يقول: سمعت يحيى بن معاذ، يقول: "كيف أخافك وأنت كريم؟ وكيف لا أرجوك وأنت عزيز؟"

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠١٨)، الصفحة رقم (٦٤/٣).

فأنا بين خوف يقطعني ورجاء يوصلني، فلا رجائي يدعني
أموت خوفا ولا خوفا يتركني فأحیی فرحا^(١)."

١٤ . قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان:

سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي
يقول: سمعت أبا علي الجوزجاني يقول: "ثلاثة أشياء من عقد
التوحيد: الخوف والرجاء، والمحبة، فزيادة الخوف من كثرة
الذنوب لرؤية الوعيد، وزيادة الرجاء من اكتساب الخير
لرؤية الوعد، وزيادة المحبة من كثرة الذكر لرؤية المنة،
فالخائف لا يستريح من الهرب، والراجي لا يستريح من
الطلب، والمحب لا يستريح من ذكر الخيوب فالخوف نار
منورة، والرجاء نور منور، والمحبة نور الأنوار"^(٢).

١٥ . قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان:

أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت منصور بن عبد
الله، يقول: سمعت الحسن بن علوان، يقول: سمعت علي بن
عكرمة، يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازي، يقول: "الإيمان
ثلاثة: الخوف والرجاء والمحبة، وفي جوف الخوف ترك
الذنوب، وفيه النجاة من النار، وفي جوف الرجاء الطاعة،
وفيه وجوب الجنة؛ وفي جوف المحبة احتمال المكروهات، وبه
تجد رضا الله عز وجل"^(٣).

١٦ . قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان:

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٤٧)، الصفحة رقم (٩٣/٣).

(٢) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (٤٩٣)، الصفحة رقم (٣٤/٢).

(٣) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٤٦)، الصفحة رقم (٩٢/٣).

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أحمد بن كامل القاضي، حدثنا الحسن بن سلام، حدثنا قبيصة بن عقبة، قال: سمعت سفيان الثوري، يقول: قال رجل لمسلم بن سيار: علمني كلمة تجمع لي موعظة نافعة قال: فاطرق طويلا، ثم رفع رأسه فقال: "لا ترد بعملك غير من يملك ضرك ونفعك"، قال: زدني، قال: "أجل رجائك ولا تستعمله، واستشعر الخوف ولا تغفله"، قال: زدني قال: "يوم العرض على ربك لا تنسه"، قال: "ثم سقط لوجهه مكفا^(١)".

١٧. قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان:

وسمعت أبا محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني، يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازي، يقول: سمعت أبا يعقوب النهرجوري، يقول: سمعت أبا يعقوب السوسي، يقول: "العابد يعبد الله تحذيرا، والعارف يعبد الله تشريفا، والعالم يعبد الله خائفا وراجيا^(٢)".

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٤٢)، الصفحة رقم (٨٨/٣).

(٢) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٣٦)، الصفحة رقم (٨٢/٣).

الفصل السادس

في

بيان أيهما أفضل الخوف أو الرجاء؟ وخاصة ما هو الأولى عند الموت؟

لقد ذكرنا في الفصول السابقة أن الخوف والرجاء كل واحد منهما مطلوب، لكن أيهما أفضل وأيهما ينبغي أن يكون أغلب؟ اختلف العلماء في ذلك، وهم في ذلك أقوال مختلفة، هنا نسوق منها مع بعض أدلتها:

القول الأول

المطلوب هو الاعتدال الكامل بينهما، بحيث لا يغلب الخوف على الرجاء ولا الرجاء على الخوف، ومما يدل على ذلك:

١. النصوص الواردة في أن المطلوب في كل عمل وحالة هو الاعتدال والوسطية، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا^(١)﴾، وقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ^(٢)﴾، وغيرهما من الآيات الكثيرة.

(١) سورة البقرة، الآية برقم (١٤٣).

(٢) سورة الفاتحة، الآية برقم (٥).

٢. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار^(١).

يقول الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

والمقصود من الحديث أن المكلف ينبغي له أن يكون بين الخوف والرجاء حتى لا يكون مفرطاً في الرجاء بحيث يصير من المرجئة القائلين لا يضر مع الإيمان شيء، ولا في الخوف بحيث لا يكون من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة إذا مات عن غير توبة في النار، بل يكون وسطاً بينهما كما قال الله تعالى: "يرجون رحمته ويخافون عذابه"، ومن تتبع دين الإسلام وجد قواعده أصولاً وفروعاً كلها في جانب الوسط، والله أعلم^(٢).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف برقم (٦٤٦٩)، وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥٢)،

كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر تحت هذا الحديث برقم (٦٤٦٩).

٣. قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً، فأيهما غلب هلك صاحبه"^(١).

ولا شك أن الاعتدال الكامل بينهما هي الحالة المثالية، لكنها لا تتسنى لكل أحد من الناس، وإنما يفوز بهذه المرتبة الكاملون فقط، من يجب للرجل العادي البحث في الأقوال الأخرى.

^(١) كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل، ط ١ / ١٤٠٣هـ، الصفحة رقم (٣٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

القول الثاني

ومن العلماء من يفصل ويقول: "إذا هممت بطاعة فغلب جانب الرجاء، فإنك إذا فعلتها قبلها الله منك ورفعك بها درجات، وإذا هممت بمعصية فغلب جانب الخوف حتى لا تقع فيها مرة أخرى^(١)."

(١) المرجع السابق.

القول الثالث

ومنهم من قال بحسب الحال على وجه آخر، فقال: "أما في المرض فيُغلب جانب الرجاء، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه"^(١)، ولأنه إذا غلب في حالة المرض جانب الخوف فرمما يدفعه ذلك إلى القنوط من رحمة الله، وفي حال الصحة يغلب جانب الخوف لأن الصحة مدعاة للفساد،

كما قال الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجدّة

مفسدة للمرء أي مفسدة

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت برقم (٥١٢٤ و ٥١٢٥)، وأخرجه الإمام أبو داود أيضاً في سننه برقم (٢٧٠٦)، وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (١٤٦٦٤)، كلهم من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنه.

القول الرابع

قال بعضهم: الإنسان يجب أن يعامل حاله بما يقتضيه الحال وأن أقرب الأقوال في ذلك أنه إذا عمل خيرا فليغلب جانب الرجاء، فإذا همّ بسيئة فليغلب جانب الخوف^(١).

(١) كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل، الصفحة رقم (٤٣).

القول الخامس

وقد ذكر بعضهم في المسألة تفصيلاً آخر فقال:

والتحقيق: أن ذلك على حالين: الأولى: إذا كان العبد في حال الصحة والسلامة فإنه إما أن يكون مسدداً مسارعاً في الخيرات، فهذا ينبغي أن يتساوى في قلبه الخوف والرجاء، فيخاف ويرجو، لأنه من المسارعين في الخيرات، وإذا كان في حال الصحة والسلامة وكان من أهل العصيان، فالواجب عليه أن يغلب جانب الخوف حتى ينكف عن المعصية، الثانية: إذا كان في حال المرض المخوف فإنه يجب عليه أن يعظم جانب الرجاء على الخوف، فيقوم في قلبه الرجاء والخوف ولكن يكون رجاؤه أعظم من خوفه، وذلك لقول النبي عليه الصلاة والسلام: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه"^(١)، وذلك من جهة رجائه في الله جل جلاله^(٢).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت برقم (٥١٢٤ و ٥١٢٥)،

وأخرجه الإمام أبو داود أيضاً في سننه برقم (٢٧٠٦)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (١٤٦٦٤)،

كلهم من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنه.

(٢) كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل، الصفحة رقم (٤٦).

القول السادس

قال بعضهم: ترجيح جانب الرجاء هو الأفضل.
فقال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في قوله تعالى ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾^(١):

"الفائدة الثالثة: أنه قال في مقام الخوف، "يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ"، فما أضاف الحذر إلى نفسه، وفي مقام الرجاء أضافه إلى نفسه، وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأليق بحضرة الله تعالى^(٢)."

وقال رحمه الله تعالى أيضاً في قوله تعالى ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(٣):

"السؤال الرابع: لم قال في جانب الخوف قشعريرة الجلود فقط، وفي جانب الرجاء لين الجلود والقلوب معا؟ والجواب: لأن المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف، لأن الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض ومحل المكاشفات هو القلوب والأرواح، والله أعلم^(٤)."

(١) سورة الزمر، جزء من الآية برقم (٩).

(٢) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي تحت آية سورة الزمر برقم (٩).

(٣) سورة الزمر، الآية برقم (٢٣).

(٤) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي تحت آية سورة الزمر برقم (٢٣).

وقال رحمه الله تعالى أيضاً في قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ
تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ
الْغَافِلِينَ﴾^(١):

"الحكم الثالث: أنه تعالى قال: "واذكر ربك في نفسك"، ولم يقل: واذكر
إلهك ولا سائر الأسماء، وإنما سماه في هذا المقام باسم كونه ربا، وأضاف نفسه
إليه، وكل ذلك يدل على نهاية الرحمة والتقريب والفضل والإحسان،
والمقصود منه، أن يصير العبد فرحا مبتهجا عند سماع هذا الاسم، لأن لفظ
الرب مشعر بالتربية والفضل، وعند سماع هذا الاسم يتذكر العبد أقسام نعم
الله عليه، وبالْحَقِيقَةُ لا يصل عقله إلى أقل أقسامها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ
تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢)، فعند انكشاف هذا المقام في القلب يقوى
الرجاء، فإذا سمع بعد ذلك قوله: "تضرعا وخيفة" عظم الخوف، وحينئذ
تحصل في القلب موجبات الرجاء وموجبات الخوف، وعنده يكمل الإيمان
على ما قال عليه الصلاة والسلام: "لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا"،
إلا أن هنا دقيقة، وهي أن سماع لفظ الرب يوجب الرجاء، وسماع لفظ
التضرع والخيفة يوجب الخوف، فلما وقع الابتداء بما يوجب الرجاء، علمنا
أن جانب الرجاء أقوى^(٣)."

(١) سورة الأعراف، الآية برقم (٢٠٥).

(٢) سورة إبراهيم، جزء من الآية برقم (٣٤).

(٣) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي تحت آية سورة الأعراف برقم (٢٠٥).

قال الإمام الألوسي رحمه الله تعالى في قوله تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ لَأَنَّ لَنَا إِلَهًا إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَأَنَّ إِلَهًا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١):

"ومن باب الإشارة في الآيات: "شهد الله أنه لا إله إلا هو" أي أبان بدلائل الآفاق والأنفس أنه لا إله في الوجود سواه، أو شهد بذاته في مقام الجمع على وحدانيته حيث لا شاهد ولا مشهود غيره، وشهد الملائكة وأولو العلم بذلك وهي شهادة مظاهره سبحانه في مقام التفصيل، ومن القوم من فرق بين الشهادتين بأن شهادة الملائكة من حيث اليقين، وشهادة أولي العلم من حيث المشاهدة، وأيضاً قالوا: شهادة الملائكة من رؤية الأفعال، وشهادة أولي العلم من رؤية الصفات، وقيل: شهادة الملائكة من رؤية العظمة ولذا يغلب عليهم الخوف، وشهادة العلماء من رؤية الجمال ولذا يغلب عليهم الرجاء"^(٢).

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان:

أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت عبد الله بن غانم، يقول: سمعت محمد بن الرومي، يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: "مستقى الخوف من بحر عدله، ومستقى الرجاء من بحر فضله، وقد سبق القضاء أن رحمته سبقت غضبه"^(٣).

(١) سورة آل عمران، الآية برقم (١٨).

(٢) روح المعاني للإمام الألوسي تحت آية سورة آل عمران برقم (١٨).

(٣) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٤٨)، الصفحة رقم (٩٤/٣).

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان:

أخبرنا أبو سعد الماليني، أخبرنا أبو الحسين علي بن الحسين بن بندار الأزدي، قال: سمعت أبا بكر الشهرزوري، قال: كنت في مجلس أبي القاسم الجنيد وابن عطاء حاضر، ورجل في المجلس قد غلبته شدة الخوف وهو يرجف، فقال له أبو القاسم الجنيد: لا ترع فما هو إلا أن تبدو عين من عيون الرحمة، فإذا بالمسيء قد لحق بالחסن، قال ابن عطاء: حتى تبدو، قال: فغضب الجنيد وقال: أما والله إنها لبادية أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يقول الله عز وجل: "سبقت رحمتي غضبي"، قال: فسكت ابن عطاء^(١).

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٤٩)، الصفحة رقم (٩٥/٣).

القول السابع

الأفضل هو ترجيح جانب الخوف على الرجاء، ففي "تفسير المنتخب تأليف لجنة من علماء الأزهر" في تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾^(١):

"والذين يغلبون الخوف على الرجاء - شأن الأتقياء - فيخافون عذاب الآخرة، يكون دأبهم أن يدعوا الله أن ينجيهم من عذاب جهنم، فإن عذابها إذا نزل بمجرم يلزمه ولا يفارقه".

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان:

وحدثنا أبو عبد الرحمن السلمي، حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازي، قال: سمعت العباس بن حمزة، حدثنا أحمد بن أبي الخواري، قال: سمعت أبا سليمان الدارني، يقول: إذا غلب الرجاء على الخوف فسد القلب^(٢).

قال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى في الوجل والتوثق بالعمل:

حدثنا عبد الله قال: وحدثني أحمد بن إبراهيم، عن علي بن شقيق، عن ابن المبارك، عن سعيد بن زيد قال: سألت المغيرة بن مخاض الحسن فقال: يا أبا سعيد! كيف نصنع بمجالسة أقوام يحدثونا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال: "أيها الشيخ! إنك والله إن تصحب أقواما يخوفونك حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف^(٣)".

(١) سورة الفرقان، الآية برقم (٦٥).

(٢) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠٣٠)، الصفحة رقم (٧٦/٣).

(٣) الوجل والتوثق بالعمل للإمام ابن أبي الدنيا، الصفحة رقم (١٧).

رأي المتواضع في المسألة

هكذا رأينا أقوالاً مختلفة، ورأينا أن الذين يرجحون الرجاء يتمسكون بدلائل، وكذلك الذين يرجحون الخوف يتمسكون أيضاً بدلائل، فترجيح الرجاء له وجوه، وترجيح الخوف له وجوه، فالذي يبدو لهذا الباحث المتواضع هو أنه لا يمكن بيان قاعدة حاسمة مستقلة، بل يختلف ذلك باختلاف الأشخاص والحالات، فشخص يصلح له غلبة الخوف وشخص يصلح له غلبة الرجاء،

فالراجح عندي - والله أعلم - هو ما ذهب إليه الإمام الغزالي رحمه الله تعالى، ولنسق هنا بعض عباراته:
فقال رحمه الله تعالى:

وربما ينظر الناظر إليها فيعتريه شك في أن الأفضل أيهما، وقول القائل: هو أن الخوف أفضل أم الرجاء؟ سؤال فاسد يضاهاي قول القائل: الخبز أفضل أم الماء؟ وجوابه أن يقال: الخبز أفضل للجائع، والماء أفضل للعطشان، فإن اجتمعا نظر إلى الأغلب، فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل، وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل، وإن استويا فهما مستويان، وهذا لأن كل ما يراد لقصود ففضله يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه، والخوف والرجاء دواءان يداوي بهما القلوب، ففضلهما بحسب الداء الموجود، فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله والاعتزاز به فالخوف أفضل، وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل^(١).

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (١٦٤/٤).

ثم يوضح الإمام الغزالي رحمه الله تعالى وجوه الترجيح المختلفة في كل منهما باعتبارات مختلفة ويقول:

ويجوز أن يقال مطلقاً، الخوف أفضل على التأويل الذي يقال فيه الخبز أفضل من السكنجين، إذ يعالج بالخبز مرض الجوع، وبالسكنجين مرض الصفراء، ومرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة إلى الخبز أكثر فهو أفضل، فبهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل، لأن المعاصي والاعتزاز على الخلق أغلب، وإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لأنه مستقى من بحر الرحمة، ومستقى الخوف من بحر الغضب، ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب، وليس وراء المحبة مقام، وأما الخوف فمستنده الالتفات إلى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء^(١).

ثم يبين الإمام الغزالي رحمه الله تعالى أن القضية ليست قضية الأفضلية إنما هي قضية الأصلحية فيقول:

وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لا لفظ الأفضل، فنقول: أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء، وذلك لأجل غلبة المعاصي، فأما التقي الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه، ولذلك قيل: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا،

وروي أن علياً كرم الله وجهه قال لبعض ولده: يا بني! خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيته بمحسنات أهل الأرض لم

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (١٧٠/٤).

يتقبلها منك، وارج الله رجاءً ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل
الأرض غفرها لك،

ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه: لو نودي ليدخل
النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك
الرجل، ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً
لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل^(١).

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (١٩٠/٤).

ما هو الأولى عند الموت؟

وبالرغم من الاختلاف الذي ذكرناه سابقا كاد أهل العلم أن يتفقوا أن الأولى عند الموت هو الرجاء.

فيقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

ثم إن غلبة الخوف هو الأصلح ولكن قبل الإشراف على الموت، أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن، لأن الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل، فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطبق أسباب الخوف، فإن ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته، وأما روح الرجاء فإنه يقوي قلبه ويحبب إليه ربه الذي إليه رجاؤه، ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا إلا محبا لله تعالى ليكون محبا للقاء الله تعالى، فإن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه^(١).

وفي تفسير الخازن تحت قوله تعالى ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ^(٢)﴾: وهاهنا لطيفة وهي أن قوله سبحانه وتعالى: "واذكر ربك في نفسك"، فيه إشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء، لأن لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة والفضل والإحسان، فإذا تذكر العبد إنعام الله عز وجل عليه وإحسانه

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، الصفحة رقم (٤/١٦٦).

(٢) سورة الأعراف، الآية برقم (٢٠٥).

إليه فعند ذلك يقوى مقام الرجاء، ثم أتبعه بقوله تضرعاً وخيفة وهذا مقام الخوف فإذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء قوي إيمانه، والمستحب أن يكون الخوف أغلب على العبد في حال صحته وقوته، فإذا قارب بالموت ودنا آخر أجله فيستحب أن يغلب رجاؤه على خوفه^(١).

(١) تفسير الخازن المسمى بسلباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد الخازن البغدادي، تحت آية سورة الأعراف برقم (٢٠٥)، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين، ط ١ / ١٤٠٤ هـ - دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الأدلة على أن الرجاء عند الموت أولى

١. ما مر من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه"^(١) وقد مر الحديث في هذا البحث غير مرة.

٢. عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال: "كيف تجدك؟" قال: والله يا رسول الله! إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف"^(٢).

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى:

وقال ابن الملك: أي كيف تجد قلبك ونفسك في الانتقال من الدنيا إلى الآخرة أراجيا رحمة الله أو خائفا من غضب الله؟ قال: أرجو الله أي أجدني أرجو رحمته، يا رسول الله!

^(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت برقم (٥١٢٤ و ٥١٢٥)،

وأخرجه الإمام أبو داود أيضاً في سننه برقم (٢٧٠٦)،

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (١٤٦٦٤)،

كلهم من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنه.

^(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الجنائز عن رسول الله، باب ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين برقم (٩٨٣)،

وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له برقم (٤٢٦١)،

كلاهما من حديث أنس رضي الله تعالى عنه.

وإني أي مع هذا أخاف ذنوبي، قال الطيبي: علق الرجاء بالله والخوف بالذنب، وأشار بالفعلية إلى أن الرجاء حدث عند السياق^(١) وبالاسمية والتأكيد بأن إلى أن خوفه كان مستمرا محققا أي إن خوفه كان موجودا من قبل، وحالة الرجاء غلبت الآن، ثم إن هذا الصحابي رضي الله تعالى عنه قال: "أرجو الله و أخاف ذنوبي" فنسب الرجاء إلى الله، ونسب الخوف إلى الذنوب، فعلم أن رجاءه عند الموت كان بالأصالة وبالذات، وكان خوفه تبعا^(٢).

قال الإمام الطيبي رحمه الله تعالى:

"كيف" سؤال عن الحال، أي: على أي حال تجد نفسك، ولذلك أجاب: بقوله: أرجو الله، أي: أجد نفسي راجياً رحمة الله خائفاً عقابه، فأبرز الجملة الأولى في معرض الفعلية، والثانية الإسمية وصدورها بـ(إن) التحقيقية تنبيهاً على أن خوفه كان محققاً مستمراً، ورجاءه حدث عند سياق الموت، وأيضاً راعى في نسبة الرجاء إلى الله، والخوف إلى الذنب أدباً حسناً، وكذلك ينبغي للمؤمن أن يحسن الظن بالله، ويرجع جانب الرجاء على الخوف. وقوله "يارسول الله!" اعتراض في غاية من الحسن فكأنه تحقق رجاءه وزال خوفه مستشفعاً بمكانة من اسمه رسول الله^(٣).

(١) قوله "عند السياق" أي عند سياق الموت ووقت الترع.

(٢) المرقاة شرح مشكوة المصابيح برقم (٢٠٥).

(٣) الكاشف عن حقائق السنن شرح مشكوة المصابيح للإمام شرف الدين حسين بن محمد بن

عبدالله الطيبي، كتاب الجنائز، باب تمنى الموت وذكره، الصفحة رقم (٣/٣٣٣).

٣. قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان:

أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا الحسين بن صفوان، حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، أخبرنا أبو خيثمة، حدثنا شبابة بن سوار، عن هشام بن الغاز، حدثني حيان أبو النصر، قال: قال لي وائلة بن الأسقع: قدني إلى يزيد بن الأسود فإني قد بلغني أن ألما نزل به، قال: فقدته فدخل عليه وهو ثقيل وقد وجه - يعني نحو القبلة - وقد ذهب عقله، قال: نادوه، فنادوه فقلت: إن هذا وائلة بن الأسقع أخوك، قال: فأبقى الله من عقله أن سمع أن وائلة قد جاء، فمد يده فجعل يلتمس بها، فعلمت ما يريد فأخذت كف وائلة فجعلتها في كفه، وإنما أراد أن يضع يده في يد وائلة، ذلك لموضع يد وائلة من يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجعل يضعها مرة على صدره، ومرة على وجهه، ومرة على فيه، فقال وائلة: ألا تخبرني عن شيء أسألك عنه؟ كيف ظنك بالله؟ قال: اعترضتني ذنوب لي أشفيت على هلكة، ولكن أرجو رحمة الله، فكبر وائلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال: الله أكبر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يقول الله عز وجل: "أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء"^(١).

^(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي برقم (١٠١٨)، الصفحة رقم (٦٤/٣).

٤. قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: "الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحاً، فإذا نزل الموت فالرجاء أفضل"^(١).

فقد وضح الأمر بمشية الله تعالى أن الأولى عند الموت هو الرجاء.

^(١) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار للإمام زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسين البغدادي، المشهور بابن رجب الحنبلي، الصفحة رقم (١٦).

الخلاصة

وفيها بيان أهم نتائج
الدراسة والبحث

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله، والشكر له أولاً
وآخرأ الذي بنعمته تتم جميع الصالحات، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً
رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه، وبعد!

فقد أنعم الله سبحانه وتعالى عليّ بالانتهاء من كتابة رسالتي الدكتوراة على
"الرجاء في ضوء القرآن الكريم والأحاديث النبوية"، فأرجو من الله سبحانه وتعالى أن
أكون قد وفقت في خدمته اللاتقة به.

الرجاء من الله سبحانه وتعالى واجب على كل مسلم _ كما مر _، ولكن درجاته
متفاوتة بتفاوت الأشخاص والحالات، فلا يكلف الإنسان بالحصول على أعلى درجات
الرجاء ولا على أعلى درجات الخوف في كل حال، كما لا يجوز له الخلو من واحد
منهما، فيجب عليه أن يكون لديه رجاء ما ولو أدنى درجة منه كما يجب عليه أن
يكون في قلبه خوف ما ولو أدنى درجة منه، من هنا قال العلماء: يجب الجمع بين
والخوف والرجاء، والإيمان بينهما، لأن الإنسان إذا خلا من الخوف مطلقاً يكون هذا
أمناً من مكر الله، والأمن من مكر الله لا يجوز البتة، لقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا
يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ^(١)﴾، وكذلك إذا خلا الإنسان من الرجاء مطلقاً
كان يأساً من رُوح الله وهو أيضاً ممنوع منعاً باتاً، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَخْسُ مِنْ رُوحِ
اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ^(٢)﴾.

وحتى وسطية هذه الأمة المرحومة والمغفورة أيضاً تقتضي الجمع بين الرجاء
والخوف في كل حال من الأحوال لأنها من خصائصها، فأمرنا بالدعاء بالصراط
المستقيم في كل صلاة، والصراط المستقيم هو الوسط بين طرفي الإفراط والتفريط،

(١) سورة الأعراف، الآية برقم (٩٩).

(٢) سورة يوسف، جزء من الآية برقم (٨٧).

وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(١).

فقد ظهر لي من خلال معاشتي هذا الموضوع الشروط الستة المهمة القيمة الضرورية الاستفادة من النصوص والأدلة الشرعية لتحقيق الرجاء الحقيقي الشرعي في حياتنا الإسلامية.

فأودُّ أن أسجلها في خاتمة البحث كـ النقاط التالية:

١. "من أهم شروط الرجاء أن يكون مع الأخذ بالأسباب، وهي الأعمال الصالحة، وهذه النقطة أولها العلماء كثيراً من الاهتمام".
٢. "أن يتعلق قلبه بما يتوقع حصوله في المستقبل، فإذا تعلق قلبه بما حصل في الماضي أو الحال لا يكون هذا التعلق رجاء".
٣. "أن يكون ما يتوقعه ممكن الوجود والعدم، فإذا كان متيقناً وجوده أو عدمه لا يكون رجاء، فإذا قال أحد أتوقع أن يدخل الله بعض الناس الجنة لا يكون رجاء، لأنه من المتيقن أن الله يدخل بعض عباده الجنة البتة، كما وعد به في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والله لا يخلف الميعاد، نعم! لو قال أحد أتوقع أن يدخلني الله الجنة أو يدخل فلانا الجنة يكون رجاءً، لأن دخول هذا القائل أو الرجل الفلاني المتعين الجنة ليس بمتيقن".
٤. "وبما أن الرجاء لا يتحقق إلا فيما هو ممكن علم أنه يشترط للرجاء الشرعي أن يكون الراجي بالنجاة في الآخرة مؤمناً، فإن النجاة الأخروية غير ممكن للكافر، فلا يمكن تعلق الرجاء الشرعي بها".
٥. "أن يكون ما يتوقعه من المولى عزوجل خيراً ومطلوباً ومرجحاً، فلو قال أحد أرجو من الله العتاب، لا يكون رجاءً شرعاً، وإن أمكن أن يطلق عليه الرجاء لغة في سياق النفي، كما ذكرنا عند بيان المعنى اللغوي".
٦. "أن لا يكون توقعه من مولاة عزوجل مجرد عقيدة ونظرية يابسة، بل لا بد

(١) سورة البقرة، جزء من الآية برقم (١٤٣).

لتحقق الرجاء الشرعي على وجه الكمال، أن تحصل لديه حالة ارتياح
واطمنان بربه جل وعلا، كما عُلم من التعريفات السابقة للرجاء".
وختاماً أسأل الله جلّ وعلا أن ينفعني بهذا الجهد، وأن يجعله حجة لي لا عليّ،
وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيمة، وأن يحسن عاقبتني مع المسلمين أجمعين، وأن
يجعل حياتنا جميعاً قبل الخاتمة بين الخوف والرجاء، (آمين).
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
هذا كله علم ما عندي والله سبحانه وتعالى أعلم لأنه هو العليم الحكيم.

الفهارس

وهمي تختري ما يلي

- ١ . فهرس الآيات القرآنية مرتبة على السور القرآنية
- ٢ . فهرس الأحاديث النبوية مرتبة على الحروف الهجائية
- ٣ . فهرس الآثار المروية مرتبة على الحروف الهجائية
- ٤ . فهرس المصادر والمراجع (Bibliography) مرتبة على الحروف الهجائية
- ٥ . فهرس الموضوعات (الفهرس العام)

فهرس الآيات القرآنية

مرتبة على السور القرآنية

طرف الآية / رقمها السورة الصفحة

﴿ سورة الفاتحة ﴾

١. ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ / ٧.....٢٤٢
 ٢. ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ / ٥.....٢٦٩

﴿ سورة البقرة ﴾

٣. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ / ٢١٨.....٢٢، ٣٦، ٤٥، ٨٥، ٨٩، ١١٨
 ٤. ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ / ٢١٨.....٢٨
 ٥. ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ / ١١١.....٣٦
 ٦. ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ / ٨٠.....٣٦
 ٧. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾ / ١٧٢.....١٠٤
 ٨. ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ / ٢٦٥.....١٨٩
 ٩. ﴿وَلَتَلْبَسُوكُمْ بَشِيءٌ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ / ١٥٥.....٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٥
 ١٠. ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ / ١٨٢.....٢١١، ٢٠٩، ٢٠٥
 ١١. ﴿إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ / ٢٢٩.....٢١١، ٢٠٩
 ١٢. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ / ١٤٣.....٢٩٢، ٢٦٩، ٢٣٠

﴿ سورة آل عمران ﴾

- ١٣ . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ / ٢٠٠ ١٣٦
- ١٤ . ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ / ١٧٥ ٢٠٣
- ١٥ . ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ / ٣٠ ٢٥٣
- ١٦ . ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ / ١٨ ٢٧٨

﴿ سورة النساء ﴾

- ١٧ . ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ / ١٠٤ ٢٦
- ١٨ . ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ / ١٢٣ ٣٧
- ١٩ . ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ﴾ / ١٤٧ ٥٤
- ٢٠ . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ﴾ / ٤٧ ٥٥
- ٢١ . ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ﴾ / ١٠٤ ٩٦
- ٢٢ . ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أذَاعُوا بِهِ ﴾ / ٨٣ ٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٥
- ٢٣ . ﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَغْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ / ١٢٨ ٢٠٥
- ٢٤ . ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى ﴾ / ٣ ٢١١ ، ٢٠٩

﴿ سورة المائدة ﴾

- ٢٥ . ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ / ٩٨ ٢٥١
- ٢٦ . ﴿ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ / ٦٨ ٢٥٤

﴿ سورة الأنعام ﴾

٢٧. ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ / ١٦٠ ٩٣
 ٢٨. ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ / ١٠٧ ٢٤٠

﴿ سورة الأعراف ﴾

٢٩. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ / ١٥٦ ١٦
 ٣٠. ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ / ١٦٩ ٣٦، ٢٢
 ٣١. ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ / ١١١ ٢٨
 ٣٢. ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ / ١٢٨ ٧٧
 ٣٣. ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ / ٥٦ ١٠٠
 ٣٤. ﴿وَادْعُوا خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ / ٥٧ ١٥٢، ١٢١
 ٣٥. ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ / ١٥٦ ١٤٨
 ٣٦. ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ﴾ / ٩٩ ٢٩١، ٢٢٤
 ٣٧. ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ / ١٦٧ ٢٤١
 ٣٨. ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ / ١٠٥ ٢٨٤، ٢٧٧، ٢٤٩
 ٣٩. ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ / ٥٥ ٢٥٠

﴿ سورة الأنفال ﴾

٤٠. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ / ٢٨ ٢٤٦

﴿ سورة التوبة ﴾

- ٤١ . ﴿وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ / ١٠٦ ٢٨ ، ٢٦
- ٤٢ . ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ﴾ / ١١٨ ٦٩
- ٤٣ . ﴿قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ / ٥٢ ٩٦
- ٤٤ . ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ / ١٢٨ ١٣٨
- ٤٥ . ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ / ١٠٥ ٢٤٧
- ٤٦ . ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ / ١٨ ٢٤٨

﴿ سورة يونس ﴾

- ٤٧ . ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ / ٧ ١٥٤ ، ٨٢
- ٤٨ . ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ / ١١ ١٥٥ ، ٨٢
- ٤٩ . ﴿وَإِذَا تَنَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ / ١٥ ٨٣
- ٥٠ . ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ / ٥٨ ١٩٢

﴿ سورة يوسف ﴾

- ٥١ . ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ / ٨٧ ١٢٦ ، ٧١ ، ٤٧
- ٥٢ . ﴿إِنَّهُ لَا يَنسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ / ٨٧ ٢٩١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤

﴿ سورة الرعد ﴾

- ٥٣ . ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ / ١٢ ٢٠٦
- ٥٤ . ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ / ٦ ٢٣٨

﴿ سورة إبراهيم ﴾

٥٥. ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ / ٤١..... ١
 ٥٦. ﴿لَنْ نَشْكُرَكَ لِأَزِيدَتْكُمْ﴾ / ٧..... ٩
 ٥٧. ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَأَنْتَهُنَّ﴾ / ٣٤..... ٢٧٧

﴿ سورة الحجر ﴾

٥٨. ﴿بَشِّرْ عَبْدِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ / ٤٩..... ٥٢، ١٠٠، ٢٣٣
 ٥٩. ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ / ٥٥..... ٥٣
 ٦٠. ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ / ٥٦..... ١٩٧

﴿ سورة النحل ﴾

٦١. ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ / ٤٧..... ٢٠٤، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣
 ٦٢. ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ / ٤٦..... ٢١٢
 ٦٣. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ / ٤٥..... ٢١٣

﴿ سورة الإسراء ﴾

٦٤. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ / ٢٣..... ١
 ٦٥. ﴿رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ / ٢٤..... ١
 ٦٦. ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ / ١١٠..... ٣
 ٦٧. ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ / ٥٧..... ٢٧، ١٠٠
 ٦٨. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ / ٥٧..... ٤٦، ٨٦، ٢٣٥

﴿ سورة الكهف ﴾

٦٩. ﴿وَلَمَّا رُدِدْتُمْ إِلَى رَبِّي لِأَجْدُنْ خَيْرًا﴾ / ٣٦..... ٢٢
 ٧٠. ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ / ١١٠..... ١٢٣
 ٧١. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ / ١١٠..... ١٥٤

﴿ سورة طه ﴾

٧٢. ﴿قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ / ٥٢..... ١٦٧
 ٧٣. ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ / ١٣..... ٢٤٣

﴿ سورة الأنبياء ﴾

٧٤. ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ / ٢٣..... ٢٠٢
 ٧٥. ﴿وَيَدْعُونا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ / ٩٠..... ٢١٧

﴿ سورة الحج ﴾

٧٦. ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا﴾ / ٢..... ٢٥٨
 ٧٧. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ / ٢٨..... ٢٤٦

﴿ سورة المؤمنون ﴾

٧٨. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ / ٦٠..... ١٠٣
 ٧٩. ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ / ٥١..... ١٠٤

﴿ سورة النور ﴾

٨٠. ﴿ الزَّانِيَةُ لَآ يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ ﴾ / ٣ ٢٢٥

﴿ سورة الفرقان ﴾

٨١. ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ / ٧٠ ٧٩
٨٢. ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا ﴾ / ٤٠ ٨٢
٨٣. ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَآ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ / ٢١ ٨٣
٨٤. ﴿ وَالَّذِينَ لَآ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ / ٦٤ ١٨٤
٨٥. ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾ / ٦٥ ٢٨٠

﴿ سورة النمل ﴾

٨٦. ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ / ٤٠ ٩

﴿ سورة العنكبوت ﴾

٨٧. ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ ﴾ / ٥ ١٥٤ ، ٧٨ ، ٢٧
٨٨. ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ / ٣٦ ١٥٦
٨٩. ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾ / ٦ ٢٤٤

﴿ سورة السجدة ﴾

٩٠. ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ / ١٦ ٢١٠

٩١. ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ / ١٥..... ٢٣٦

﴿سورة الأحزاب﴾

٩٢. ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ / ٥١..... ٢٨

٩٣. ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ / ٨٠..... ١١٩

٩٤. ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ / ٢١..... ١٥٦، ١١٩

٩٥. ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ / ١٩..... ٢١١، ٢٠٩، ٢٠٥

٩٦. ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ﴾ / ١٩..... ٢١١، ٢٠٩

﴿سورة فاطر﴾

٩٧. ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ / ٢٨..... ٢٤٤، ٢١٦، ٢٠٢، ٣

٩٨. ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ / ٢٩..... ٢٨

٩٩. ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ / ٣٧..... ٤١

١٠٠. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ / ٢٩..... ٩٩، ٨٦

﴿سورة ص﴾

١٠١. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ / ٦٥..... ٢٤٥

﴿سورة الزمر﴾

١٠٢. ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ / ٥٣..... ١٩٧، ١٨٣، ١١٤، ٨٢، ٤٩

١٠٣. ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا﴾ / ٩..... ٢٣٦، ٨٥

- ١٠٤ . ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ / ٢٣ ٢٧٦ ، ٢٤٩
- ١٠٥ . ﴿يَخْذِرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ / ٩ ٢٧٦

﴿سورة غافر﴾

- ١٠٦ . ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ / ٧ ١٥٠

﴿سورة الزخرف﴾

- ١٠٧ . ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ / ٣٥ ٢٢١

﴿سورة الدخان﴾

- ١٠٨ . ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ / ٥١ ٢٢١

﴿سورة الجاثية﴾

- ١٠٩ . ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ / ١٤ ٢٥

﴿سورة محمد﴾

- ١١٠ . ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ / ١١ ٩٨

﴿سورة ق﴾

- ١١١ . ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ / ٣٣ ٢٥١

﴿ سورة الذاريات ﴾

١١٢ . ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُخْسِنِينَ﴾ / ١٦ ١٢١

﴿ سورة النجم ﴾

١١٣ . ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ﴾ / ٣١ ٧٧

١١٤ . ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَارَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ / ٣٢ ١٨٢

﴿ سورة المجادلة ﴾

١١٥ . ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ / ٢١ ١٦٨

١١٦ . ﴿إِنَّمَا التَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ / ١٠ ١٩٢

١١٧ . ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ / ٢٢ ٢٢٥

﴿ سورة الحشر ﴾

١١٨ . ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ / ١٣ ٢١٧

﴿ سورة الملك ﴾

١١٩ . ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ﴾ / ٢٨ ٢٤٢

﴿ سورة الحاقة ﴾

١٢٠ . ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَانِهَا﴾ / ١٧ ٢٨

﴿ سورة نوح ﴾

١٢١ . ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ / ١٣ ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٥٥

﴿ سورة النبأ ﴾

١٢٢ . ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ / ٢٧ ٢٧ ، ٢٩ ، ٨٤

١٢٣ . ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ / ٣١ ٢٢١

﴿ سورة الغاشية ﴾

١٢٤ . ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ / ١٧ ١١١

﴿ سورة الضحى ﴾

١٢٥ . ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ / ٥ ١١٤ ، ١٣٨

﴿ سورة الشرح ﴾

١٢٦ . ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ / ٤ ١٣٤

﴿ سورة الزلزلة ﴾

١٢٧ . ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ / ٧ ٣٨

فهرس الأحاديث النبوية مرتبة على الحروف المجانية

طرف الحديث / راوي الحديث / الصفحة

﴿ أ ﴾

١. أتاني آت من ربي فأخبرني / أبو ذر الغفاري..... ١٥٩
٢. أترون هذه طارحة ولدها في النار / عمر بن الخطاب..... ١٦١
٣. أتقولون هذا أضل أم بعيره / جندب بن عبد الله..... ١٥١
٤. أجل، والحمد لله، ثم أفاض القوم في ذكر الغنى / معاذ بن عبد الله..... ١٩٤
٥. أجل، إنما صلاة رغبة ورهبة، وإني سألت الله فيها ثلاثا / خباب بن الأرت..... ١٤٥
٦. أحب آية في القرآن إلي / علي بن أبي طالب..... ٥٦
٧. أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة / أبو هريرة..... ١٣٠
٨. إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض / أنس بن مالك..... ١٤٦
٩. إذا كان يوم القيامة وفرغ الله تعالى من قضاء / عبادة بن الصامت..... ٦٣، ٨٠
١٠. أربعون خصلة أعلاهن منيحة / عبد الله بن عمرو..... ٦٠، ٩٠، ١٢٤، ١٦٢
١١. إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا / سيدة عائشة..... ٢٠٢
١٢. إن الله تعالى يلوم على العجز / عوف بن مالك..... ١٠٦
١٣. إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة / أبو هريرة..... ٢٥٤، ٢٧٠
١٤. إن الله عز وجل فرض صيام رمضان / عبدالرحمن بن عوف..... ١٩٠
١٥. إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق / أبو هريرة..... ١٩

- ١٦ . إن الله لما قضى الخلق / أبو هريرة..... ٣
- ١٧ . إن الله يقول أنا عند ظن عبدي بي / أبو هريرة..... ١٧١
- ١٨ . إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم / أبو ذر الغفاري..... ١٤٠
- ١٩ . إن حسن الظن بالله من حسن عبادة الله / أبو هريرة..... ١٢٦ ، ٧٢
- ٢٠ . إن حوضي أبعد من أيلة من عدن / جندب عبدالله..... ٦٦
- ٢١ . إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما / أبو هريرة..... ٦٣
- ٢٢ . إن عبداً أصاب ذنباً وربّما / أبو هريرة..... ٨٠
- ٢٣ . إن عبداً أصاب ذنباً وربّما / أبو هريرة..... ١٢٨
- ٢٤ . إن لكل نبي حوضاً / سمرة بن جندب..... ١٤٧
- ٢٥ . إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا / أنس بن مالك..... ٦٢
- ٢٦ . أن رجلاً قال والله لا يغفر الله لفلان / جندب بن عبدالله..... ١٩٨
- ٢٧ . أن عبداً أذنب فقال أي رب! / أبو هريرة..... ٩٢
- ٢٨ . أنا عند ظن عبدي بي / أبو هريرة..... ١٨ ، ٧٢
- ٢٩ . أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء / وائلة بن الأسقع..... ١٧١
- ٣٠ . أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيراً فله / أبو هريرة..... ١٧٢
- ٣١ . أنا عند ظن عبدي، وأنا معه إذا ذكرني / أبو هريرة..... ٧٤
- ٣٢ . أنا فاعل / أنس بن مالك..... ١٤٧
- ٣٣ . انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه / أبو هريرة..... ١٩١
- ٣٤ . إنما أنا رحمة مهداة / أبو صالح..... ١٣٩
- ٣٥ . إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً / أبو هريرة..... ١٠٤
- ٣٦ . أن امرأة بغياً رأت كلباً في يومٍ حارٍ / أبو هريرة..... ١٦٥
- ٣٧ . أن رجلاً قتل تسعة وتسعون نفساً / أبو سعيد الخدري..... ١٦٢
- ٣٨ . إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر / أبو هريرة..... ١٦٣
- ٣٩ . إنني اختبأت شفاعة لأمتي يوم القيامة / أبو هريرة..... ٨١

٤٠. إني أعلمهم بالله، وأشدكم له خشية / سيدة عائشة.....٢١٦، ٢١٧

﴿ ب ﴾

٤١. بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم / ابن عمر.....١١٦
 ٤٢. بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش / أبو هريرة.....١٦٤
 ٤٣. بينما رجل يمشي في طريق إذ وجد غصن شوك / أبو هريرة.....١٦٤

﴿ ث ﴾

٤٤. ثلث منجيات وثلث مهلكات / أبو هريرة.....١٠٤
 ٤٥. ثلاث من فعلهن فقد طعم الإيمان / عبدالله بن معاوية.....١٩٣

﴿ ج ﴾

٤٦. جعل الله الرحمة في مائة جزء / أبو هريرة.....١٥٧
 ٤٧. الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله / عبدالله بن مسعود.....٢٦٠

﴿ ح ﴾

٤٨. حسن الظن من حسن العبادة / أبو هريرة.....١٧٠
 ٤٩. الحمى من فيح جهنم / أبو أمامة الباهلي.....٨٠
 ٥٠. حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير / أبو هريرة.....١٦٤

﴿ خ ﴾

- ٥١ . الخازن الأمين الذي يؤدي ما أمر به / أبو موسى الأشعري..... ١٩٢
- ٥٢ . خلق الله عز وجل يوم خلق السموات والأرض / أبو سعيد الخدري..... ١٦٦
- ٥٣ . خمس من جاء بهم مع إيمان دخل الجنة / أبو الدرداء..... ١٩٢
- ٥٤ . خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمي / أبو موسى الأشعري..... ١٤٤
- ٥٥ . الخيل في نواصيها الخير معقود أبدا إلى يوم القيامة / سيدة أسماء بنت يزيد..... ١٩١

﴿ د ﴾

- ٥٦ . دعوات المكروب، اللهم رحمتك / أبو بكر..... ١٣٣
- ٥٧ . دعوت لأمتي / أبو ذر الغفاري..... ١٤٠

﴿ س ﴾

- ٥٨ . سألت ربي ثلاثا، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة / سعد بن أبي وقاص..... ١٤٥
- ٥٩ . سلوا الله من فضله فإن الله عز وجل يحب / عبدالله بن مسعود..... ١٣٣

﴿ ش ﴾

- ٦٠ . شفاعتي لأهل الكبائر من أمي / أنس بن مالك..... ١٣٩

﴿ ط ﴾

- ٦١ . طَلَعَ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ / ابن أبي رباح..... ٥٢، ٢٣٤

﴿ ق ﴾

٦٢. قال الله تعالى يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني / أنس بن مالك.....٦٠،
١٢٨، ١٧٨، ٩١

﴿ ك ﴾

٦٣. كان ذوالكفل من بني إسرائيل لا يتورع من شيء / ابن عمر.....١٦٦
٦٤. كان رجلاً في بني إسرائيل متواخيين / أبو هريرة.....١٩٨، ٦١
٦٥. الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت / شداد بن أوس.....١٠٢

﴿ ل ﴾

٦٦. لا تزال المغفرة تحل بالعبد ما لم يرفع الحجاب / جابر بن عبد الله.....٥٦
٦٧. لا طيرة وخيرها الفأل / أبو هريرة.....١٩٥
٦٨. لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الوطن / أنس بن مالك.....١٣١،
٢٨٦، ٢٥٦
٦٩. لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل / عبد الله بن مسعود.....١٦٠
٧٠. لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن / جابر بن عبد الله.....٥٧،
١٣١، ١٧٠، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨٦
٧١. لكل نبي دعوة مستجابة / أبو هريرة.....١٤١
٧٢. لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده / أبو هريرة.....٥٩
٧٣. له يوماً من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله / أبو هريرة.....١٦١
٧٤. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهَا وَارْحَمْهَا وَأَغْفُ عَنْهَا / عوف بن مالك.....١
٧٥. اللهم ارحمني ومحمدا ولا تشرك في رحمتنا أحدا / جندب بن عبد الله.....١٦٦

٧٦. "اللهم أمّتي" وبكى / عبدالله بن عمرو..... ١٤١
٧٧. اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن / أنس بن مالك..... ١٠٥
٧٨. لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً / أبو هريرة..... ٢٦٠، ١٩٧، ٦٠
٧٩. لَوْ يَعْلَمُ الْعَبْدُ قَدْرَ عَفْوِ اللَّهِ لَمَا تَوَرَّعَ مِنْ حَرَامٍ / قتادة..... ٢٣٣

﴿ م ﴾

٨٠. ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب مؤمن إلا أعطاه الله / عمر بن الخطاب..... ٢٥٧
٨١. ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية / ثوبان..... ١٨٦، ٥١
٨٢. ما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش / أبو هريرة..... ١٦٧
٨٣. ما من عبد قال: لا إله إلا الله / أبو ذر الغفاري..... ١٥٨
٨٤. من أتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً / أبو هريرة..... ١٩٠
٨٥. من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة / أبو هريرة..... ١٢٥، ٩٠
٨٦. من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له / عبادة بن الصامت..... ١٦٠
٨٧. من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً / أبو هريرة..... ١٢٤، ٨٩
٨٨. من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة / أنس بن مالك..... ١٥٩
٨٩. من لم يسأل الله يغضب عليه / أبو هريرة..... ١٠٦
٩٠. من لم يشكر الناس لم يشكر الله / أبو سعيد الخدري..... ١٠
٩١. من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة / جابر بن عبد الله..... ١٦٠
٩٢. من يقيم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له / أبو هريرة..... ١٩٠

﴿ ن ﴾

٩٣. نِعْمَ الْعَبْدُ صُهَيْبٌ لَوْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ لَمْ يَغُصْ / عمر بن الخطاب..... ٢٠٤

﴿ و ﴾

٩٤. والذي نفسي بيده لو أخطأتم / أنس بن مالك..... ٩١
٩٥. والعاجز من أتبع نفسه هواها / شداد بن أوس..... ١٩
٩٦. وعدني ربي أن يدخل الجنة / أبو أمامة الباهلي..... ١٤٣
٩٧. وعزّي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين / أبو هريرة..... ٢٦٠
٩٨. ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون / سيدة عائشة..... ١٠٣

﴿ ي ﴾

٩٩. يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك والخير في يدك / أبو سعيد الخدري..... ٢٥٧
١٠٠. يا غلام! ألا أعلمك كلمات تنتفع بهن؟ / سهل بن سعد..... ١٣٥
١٠١. يخرج رجلان من النار فيعرضان على الله / أنس بن مالك..... ١٣٧، ٥٩
١٠٢. يخرج قوم من النار بشفاعته محمد / عمران بن حصين..... ١٤٢
١٠٣. يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله / أنس بن مالك..... ٦٣

فهرس الآثار المروية

مرتبة على الحروف المصانفة

طرف الأثر / راوي الأثر / الصفحة

﴿ ١ ﴾

١. ابتغ رحمة ربك عند محبته / أويس القرني..... ٤٢
٢. إذا غلب الرجاء على الخوف فسد القلب / أبو سليمان الداراني..... ٢٨٠
٣. أفلحت ورب الكعبة / الحسن البصري..... ١٧٨
٤. أكبر الكبائر الشرك بالله، والقنوط من رحمة الله / عبدالله بن مسعود..... ٦٥
٥. ألا أخبركم بالفقيه كل الفقه / علي بن أبي طالب..... ٢٦٤
٦. إلهي! أحلى العطايا في قلبي رجاؤك / يحيى بن معاذ..... ٩٤
٧. أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة / وهب بن منبة..... ٦٨
٨. امرأة من العرب ذات عقل ودين / صدقة بن سليمان..... ١٨١
٩. إن أحب عبادي إلي من حبيبي إلى عبادي / أبو سنان القسملبي..... ٦٦
١٠. إن أكبر آية في القرآن فرجا / عبدالله بن مسعود..... ٥٢
١١. إن شتمت أنباتكم ما أول ما يقول الله عز وجل / معاذ بن جبل..... ١٨٨
١٢. إن قدميك صغيرتان / أبو هريرة..... ٦٧
١٣. إن قوما أهتهم أمانى المغفرة / الحسن البصري..... ٤١
١٤. إن كان صغر في جنب عطائك عملي / يحيى بن معاذ..... ٦٧
١٥. إن لي في ربي جل وعز أملين / عمر بن ذر..... ١٧٧

١٦. إن من أغر الغرة انتظار تمام الأمان / عون بن عبدالله..... ٤٢
١٧. إن لئلا إله إلا الله شروطاً / الحسن البصري..... ٦٨
١٨. أن امرأة من الأنصار أتت النبي / عبدالله بن مسعود..... ١٧٦
١٩. أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا / عبدالله بن عباس..... ٤٩، ١٨٣
٢٠. إني لبيلاذنا، إذ رفعت لي رأيات وألوية / ابن أبي الدنيا..... ١٦٩
٢١. انتظار الفرج من الله عبادة / ابن بشران..... ١٣٤
٢٢. الإيمان ثلاثة: الخوف والرجاء والمحبة / يحيى بن معاذ..... ٢٦٧

﴿ ب ﴾

٢٣. بحسن ظني بري / أبو سهيل..... ١٨

﴿ ث ﴾

٢٤. ثلاثة أشياء من عقد التوحيد / أبو علي الجوزجاني..... ٢٦٦

﴿ ج ﴾

٢٥. الجلد الجدد، والحذر الحذر / محمد بن المنكدر..... ٤١

﴿ خ ﴾

٢٦. خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً مسروراً / الحسن البصري..... ١٣٤
٢٧. خرجت يوماً أريد الجبان، فإذا بثلاثة نفر يحملون جنازة / عبد المنقري..... ١٨٠
٢٨. الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحاً / فضيل بن عياض..... ٢٨٩
٢٩. الخوف رقيب العمل / ذوالنون المصري..... ٢٦٢

﴿ ر ﴾

٣٠. رأيت حسن بن صالح في منامي / عمار بن يوسف..... ١٧٧
٣١. رأيت حوشبا في منامي / حصين بن القاسم..... ١٧٧
٣٢. رأيت في منامي رجلا آدم طوالا / يعقوب الغازي..... ٦٥
٣٣. الرجاء تعليق القلب / الإمام القشيري..... ٣٠
٣٤. الرجاء هو الأمل في الخير وترقب حصوله / أبو بكر الجزائري..... ٢٧
٣٥. الرغبة والأمل فيما عند الله / السيد سعيد..... ٣٠

﴿ ص ﴾

٣٦. صلاة الفرض مفتاح الخوف / ذوالنون المصري..... ١١٧

﴿ ع ﴾

٣٧. العابد يعبد الله تحذيرا / أبو يعقوب..... ٢٦٨

﴿ غ ﴾

٣٨. الغرة بالله عزوجل المقام على معصية الله / سعيد بن جبير..... ٢٠

﴿ ف ﴾

٣٩. فإنه قد بلغني أن ألبا به / يزيد بن الأسود..... ١٧٥
٤٠. الفرار من مواطن العقوبات / الحارث المحاسبي..... ٢٢٠
٤١. فلو يعلم الناس قدر مغفرة الله ورحمة الله / مطرف بن عبد الله..... ٢٤٠

﴿ ق ﴾

- ٤٢ . قال بعض الحكماء في مناجاته / محمد بن محمد ١٧٤
 ٤٣ . قدمت بذنوب كثيرة / مالك بن دينار ١٧٣ ، ١٧٦
 ٤٤ . قدني إلى يزيد بن الأسود / وائلة بن الأسقع ٢٦٥ ، ٢٨٨

﴿ ك ﴾

- ٤٥ . كان داود عليه السلام يذكر ذنوبه فيخاف الله / سليمان بن ثابت ٢٦٤
 ٤٦ . كان شاب به رهق فاحتضر، فقالت له أمه / مرجا بن وداع ١٨٠
 ٤٧ . كان شاب به رهق، وكانت أمه تعظه / ثابت البناني ١٧٨
 ٤٨ . كان لي ابن أخت مرهق، فمرض، فأرسلت إلي أمه / حميد ١٧٩
 ٤٩ . كنت أختلف إلى الشام في تجارة / أبو غالب ١٧٩
 ٥٠ . كيف أخافك وأنت كريم / يحيى بن معاذ ٢٦٦

﴿ ل ﴾

- ٥١ . لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك / أبو سليمان الداراني ١٧٤
 ٥٢ . لا ترد بعملك غير من يملك ضرك ونفعك / مسلم بن يسار ٢٦٧
 ٥٣ . لا ترع فما هو إلا أن تبدو عين / أبو القاسم الجنيد ٢٧٩
 ٥٤ . لعلي ألقى الله وأنا حسن الظن به / المعتمر بن سليمان ١٢٧
 ٥٥ . لقد خفت الله خوفا حسبت أن لا يقوم لي / وائلة بن الأسقع ٢٦١
 ٥٦ . لقد رجوت ممن ألبسني بين الأحياء ثوب عافيت / يحيى بن معاذ ١٧٣
 ٥٧ . لله أرحم بعبده يوم يأتيه / عبدالله بن مسعود ١٧٦
 ٥٨ . اللهم إني أمسيت أخافك عليه وأرجوك له / محمد بن سليمان ٢٦٤

٥٩. لما علمت أن ربي عز وجل يلي محاسبي / عطاء بن المبارك..... ١٧٨
 ٦٠. لو أن العسر دخل في جحر لجاء اليسر / عبدالله بن مسعود..... ١٣٥
 ٦١. لو دخل العسر في جُحْر / عبدالله بن مسعود..... ١٣٥
 ٦٢. لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً / عمر بن الخطاب..... ٢٦٢
 ٦٣. لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام / قتادة..... ٥٣
 ٦٤. لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا / مطرف بن عبدالله..... ٢٦٥
 ٦٥. ليغفرن الله عز وجل يوم القيامة مغفرة / عون بن عبدالله..... ١٨٧

﴿ م ﴾

٦٦. ما أحب أن حسابي جعل إلى والدي / سفيان الثوري..... ١٧٣
 ٦٧. مدار العبودية على ستة أشياء / أبو عبدالله السوانيطي البصري..... ٢٦٣
 ٦٨. مر عبد الله على قاص يذكر النار / ابن أبي الدنيا..... ١٨٦
 ٦٩. مستقى الخوف من بحر عدله / يحيى بن معاذ..... ٢٧٨
 ٧٠. مصاب وكانت تكون منه الكلمة / ابن أبي الدنيا..... ٤٠
 ٧١. من أصاب في الدنيا ذنبا فعوقب به / علي بن أبي طالب..... ١٨٨
 ٧٢. من أكبر الكبائر القنوط من رحمة الله / عمار بن ياسر..... ٦٥
 ٧٣. من رجا شينا طلبه / مسلم بن يسار..... ٤٠
 ٧٤. مهما يتزل بأمرك شدة يجعل الله له بعدها فرجا / عمر بن الخطاب..... ١٣٦
 ٧٥. المؤمن يعمل بالطاعات / الحسن البصري..... ٢٢٥

﴿ ه ﴾

٧٦. هؤلاء خيار هذه الأمة / الربيع بن انس..... ١١٨

﴿ و ﴾

٧٧. وأما الفرق بين الرجاء والغرة / المحاسبي ٢٦
 ٧٨. وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم / مطرف بن عبدالله ٢٥٩
 ٧٩. وإن كان كل ما عصيت به عظيما / عبدالله بن شमित ١٨١
 ٨٠. وتكلموا في الرجاء / القشيري ٤٠
 ٨١. ورحمتي وسعت كل شيء، قال / عبدالله بن عباس ١٥٠

﴿ ي ﴾

٨٢. يؤمر بإخراج رجلين من النار فإذا خرجا / بلال بن سعيد ٦٤
 ٨٣. يا أبا سعيد! حتى تكاد قلوبنا تطير / سعيد بن زيد ٢٨٠
 ٨٤. يا إخوانه! اجتهدوا في العمل / مطرف بن عبدالله ٤١
 ٨٥. يا إخواني! اجتهدوا في العمل فإن يكن الأمر / مطرف بن عبدالله ٦٧
 ٨٦. يا بني! ارج الله رجاء لا يجرنك / لقمان الحكيم ٢٦٥، ٤٢
 ٨٧. يا بني! ارج الله رجاء لا تأمن فيه مكره / لقمان الحكيم ٢٦٥
 ٨٨. يا عباد الله! أكرموا وأجملوا / مطرف بن عبدالله ٢٦٣
 ٨٩. يا مذكرا! لا تقنط الناس / عبدالله بن مسعود ٦٦
 ٩٠. يا مذكرا! لم تقنط الناس / ابن أبي الدنيا ٥٢
 ٩١. يرحمك الله! أخبرني ما دليل الخوف / أحمد بن عاصم ٢٦٣
 ٩٢. يكاد رجائي لك مع الذنوب / يحيى بن معاذ ١٧، ٩٤
 ٩٣. ينبغي للعاقل أن يقول: إلهي! إن بعد علمي / سهل بن عبد الله ١٧٤

فهرس المصادر والمراجع

(Bibliography)

مرتبة على الحروف الهجائية

التفاصيل

المصدر والمرجع

القرآن الكريم

﴿ أ ﴾

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومُجانبة الفرق المذمومة، للإمام عبداالله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق رضا بن نسان معطي، ط ٢ / ١٤١٥هـ، دار الراية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٢. إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، ط ٤ / ١٤٢٤هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٣. أدب المفرد للإمام محمد بن اسماعيل البخاري، ط ١ / ١٤١٢هـ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر.
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي، ط ١ / ١٤١٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٥. إصلاح المنطق لابن السكيت للإمام أبي يوسف يعقوب بن إسحاق، تحقيق أحمد محمد شاكر ط ١ / ١٤١٩هـ، دار المعارف، القاهرة، مصر.
٦. أصول الإيمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب، تحقيق باسم فيصل الجوابرة، ط ١ / ١٤٢٩هـ، دار الراية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٧. إقتضاء العلم والعمل للإمام أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط ٥ / ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

﴿ ب ﴾

٨. البحر المحيط للإمام ابن حيان محمد بن يوسف الأندلسي، ط ٢ / ١٣٩٨هـ، دار الفكر، القاهرة، مصر.

٩. البداية والنهاية، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، ط ٢ / ١٤١٦هـ، دار الحديث، القاهرة، مصر.

١٠. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير للإمام أبي حفص ابن الملحق سراج الدين، تحقيق: مصطفى أبو الفيض، ط ١ / ١٤٢٥هـ، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١١. بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب العزيز للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد علي النجار، ط ١ / ١٤٣٠هـ، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

١٢. بهجة المجالس وأنس المجالس، للإمام ابن عبد البر القرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي، ط ١ / ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

﴿ ت ﴾

١٣. تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، للشيخ محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، ط ١ / ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٤. التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر بن عاشور، ط ٢ / ١٤٢٧هـ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، تونس.

١٥. التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ط ١ / ١٣٩٩هـ، مكتبة دار البيان، دمشق، شام.
١٦. تفسير البغوي المسمى بمعالم التزويل، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، ط ١ / ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٧. تفسير البيضاوي المسمى بأنوار التزويل وأسرار التأويل، للإمام أبي الخير ناصر الدين عبدالله البيضاوي، ط ١ / ١٤٠٢هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.
١٨. تفسير الخازن المسمى بلباب التأويل في معاني التزويل، للإمام علاء الدين علي بن محمد الخازن البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين، ط ١ / ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٩. تفسير القرآن العظيم المسمى بتفسير ابن كثير، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، ط ١ / ١٤١٩هـ، مكتبة دار السلام، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٢٠. تفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي، ط ٤ / ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢١. تفسير النسفي المسمى بمدارك التزويل وحقائق التأويل، للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، ط ٤ / ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٢. تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، للإمام الفقيه الشيخ نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي، ط ٤ / ١٤٠٦هـ، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان.
٢٣. التوقيف على مهمات التعاريف، للإمام محمد عبدالرؤوف المناوي، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان، ط ١ / ١٤١٠هـ، دار الحديث، القاهرة، مصر.
٢٤. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ط ١ / ١٤٢١هـ، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

﴿ ج ﴾

٢٥. جامع البيان في تفسير القرآن، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط ١ / ١٤٢٣هـ، دار الأعلام، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٢٦. جامع الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ١ / ١٤٢٠هـ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٢٧. جامع العلوم والحكم للإمام أبي الفرج زين الدين عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق الشيخ وهبة الزحيلي، ط ١ / ١٤١٧هـ، مكتبة دارالسلام، القاهرة، مصر.
٢٨. الجامع لأحكام القرآن المسمى بتفسير القرطبي، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق أحمد عبد الحلیم البردوني، ط ٣ / ١٤٢٢هـ، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، لبنان.
٢٩. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ط ١ / ١٤٢٨هـ، مؤسسة العلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

﴿ ح ﴾

٣٠. حسن الظن بالله، للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد القرشي البغدادي، تحقيق مخلص محمد، ط ١ / ١٤٠٨هـ، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

﴿ خ ﴾

٣١. الخوف والرجاء في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، للأستاذ عبد الله أسود خلف الجوالي، ط ١ / ١٤٢٤هـ، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

٣٢. الخوف والرجاء في ضوء السنة النبوية، للأستاذ محمد أكبر زاهد، رسالته الماجستير غير مطبوع بالجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

﴿ ر ﴾

٣٣. الرسالة القشيرية، للإمام أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري، ط ٢ / ١٤٢٤هـ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، مصر.
٣٤. الرعاية لحقوق الله، للإمام أبي عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق خيرى سعيد، ط ٥ / ١٤١٩هـ، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.
٣٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، ط ٦ / ١٤١٧هـ، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان.

﴿ ز ﴾

٣٦. زاد المسير في علم التفسير، للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط ٣ / ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

﴿ س ﴾

٣٧. السراج المنير شرح الجامع الصغير، للإمام علي بن احمد بن نور الدين محمد بن إبراهيم، ط ١ / ١٤١٩هـ، دارالخيرية، القاهرة، مصر.
٣٨. سنن ابن ماجه، للإمام أبي عبدالله محمد بن يزيد الربيعي المعروف بابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١ / ١٤٢٠هـ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٣٩. سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محي الدين، ط ١ / ١٤٢٠هـ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤٠. سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمري وخالد السبع العلمي، ط ١ / ١٤٢٠هـ، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان.

٤١. السنن الكبرى، للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البندراي والسيد الكسروي الحسن، ط ١ / ١٤١١هـ دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٤٢. سنن النسائي، للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق عبدالفتاح أبوغدة، ط ١ / ١٤٢٠هـ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤٣. سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤط ورفقاؤه، ط ٤ / ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

﴿ ش ﴾

٤٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام أبي الفلاح عبدالحمي بن العماد الخنبلي، ط ٢ / ١٣٩٩هـ، دار المسيرة، بيروت، لبنان.

٤٥. شرح الطيبي على مشكوة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن، للإمام شرف الدين حسين بن محمد بن عبدالله الطيبي، تحقيق المفتي عبد الغفار ورفقاؤه، ط ١ / ١٤١٧هـ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، باكستان.

٤٦. شرح النووي على صحيح مسلم، للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط ٢ / ١٤٢٤هـ، دار المنار، القاهرة، مصر.

٤٧. شعب الإيمان، للإمام أبي بكر أحمد بن علي البيهقي، تحقيق أبي هاجر محمد زغلول، ط ١ / ١٤١٠هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

﴿ ص ﴾

٤٨. صحيح ابن حبان، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ١ / ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
٤٩. صحيح البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١ / ١٤١٩هـ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٥٠. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١ / ١٤١٩هـ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٥١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤ / ١٤٠٧هـ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

﴿ ع ﴾

٥٢. العقيدة الصافية للفرقة الناجية، للإمام سيد سعيد عبد الغني، ط ١ / ١٤١٧هـ، إدارة المطبوعات، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
٥٣. عقيدة المؤمن، للإمام أبي بكر جابر الجزائري، ط ١ / ١٤٢٧هـ، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.
٥٤. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام أبي محمد بدر الدين محمود بن أحمد العيني، ط ١ / ١٤٢٤هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٥٥. عون المعبود شرح سنن أبي داود، للشيخ أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ط ١ / ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

﴿ ف ﴾

٥٦. فتح الباري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٢ / ١٤٠٠هـ، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر.
٥٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط ١ / ١٤١٤هـ، دار الوفاء، بيروت، لبنان.
٥٨. الفرج بعد الشدة، للإمام أبي محمد عبدالله التوحي، تحقيق عبود الشالجي، ط ١ / ١٣٩٨هـ، دار صادر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

﴿ ق ﴾

٥٩. قوت القلوب في معاملة الخيوب، للإمام أبي طالب المكي، ط ١ / ١٣٩٨هـ، تحقيق باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

﴿ ك ﴾

٦٠. كتاب التعريفات، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن علي شريف الجرجاني، ط ١ / ١٣١٨هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.
٦١. كتاب الخوف والرجاء، للأستاذ صفوت عبد الفتاح محمود، ط ٢ / ١٤٢٤هـ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
٦٢. كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل، ط ١ / ١٤٠٣هـ، الصفحة رقم (٣٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٦٣. كتاب الزهد، للإمام عبدالله بن المبارك شيخ الإسلام، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ١ / ١٤٢٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦٤. كتاب الزهد الكبير، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عامر أحمد حيدر، ط ١ / ١٤١٩هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

﴿ ل ﴾

٦٥. لسان العرب، للإمام أبي الفضل جمال الدين بن منظور المصري، ط ١ / ١٤٠٧هـ، دار صادر، بيروت، لبنان.

﴿ م ﴾

٦٦. مجمع البيان في تفسير القرآن، للإمام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق السيد هاشم الرسولي الخلاتي، ط ١ / ١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٦٧. محاسن التأويل، للإمام جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١ / ١٣٩٨هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٦٨. انحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ط ١ / ١٣٩٥هـ، مطبعة فضالة، المغرب.

٦٩. مدارج السالكين، للإمام ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، ط ١ / ١٤١٤هـ، بيروت، لبنان.

٧٠. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للإمام الملا علي القارئ، ط ١ / ١٣٨٢هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

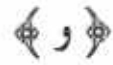
٧١. المستدرک علی الصحیحین، للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، ط ٢ / ١٤٠٩هـ، دار الكتاب العرب، بيروت، لبنان.

٧٢. مسند أبي يعلى الموصلي، للإمام أحمد بن علي التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، ط ١ / ١٤٠٤هـ، دار المأمون للتراث، دمشق، شام.

٧٣. مسند أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ١ / ١٤١٩هـ، بيت الأفكار الدولية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٧٤. المعجم الكبير، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، ط ٢ / ١٤٠٠هـ، مكتبة ابن تيمية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٧٥. المفردات في غرائب القرآن، للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط ١ / ١٤١٦هـ، نور محمد كتب خانة آرام باغ، كراتشي، باكستان.
٧٦. المقاصد الحسنة في بيان الكثير من الأحاديث المشتهرة، للإمام عبدالرحمن السخاوي، تحقيق محمد عثمان، ط ١ / ١٤٠٥هـ، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان.
٧٧. من وصايا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، للشيخ عبد الله العفيفي، ط ١ / ١٤٠١هـ، دار التراث العربي، القاهرة، مصر.
٧٨. موسوعة أخلاق القرآن، للشيخ أحمد الشرباصي، ط ٣ / ١٤٠٧هـ، دار الرائد العربي، القاهرة، مصر.

﴿ ن ﴾

٧٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للشيخ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، ط ١ / ١٤٢٧هـ، دار صادر، بيروت، لبنان.
٨٠. النكت والعيون، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، ط ١ / ١٤١٩هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٨١. النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناحي و طاهر أحمد الزاوي، ط ١ / ١٣٨٣هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.



٨٢. الوجل والتوثق بالعمل، للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي، تحقيق
حسن آل سلمان، ط ١ / ١٤١٨هـ، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية
السعودية.

الفهرس العام

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
الإهداء.....	١.....
كلمة الشكر والتقدير.....	٢.....
المقدمة والتمهيد	
المقدمة.....	٤.....
أهمية الموضوع.....	٥.....
سبب اختياري للموضوع.....	٧.....
منهج البحث.....	٨.....
خطة البحث.....	٩.....
التمهيد.....	١١.....
أسباب اختيار الرجاء في البحث غير الخوف.....	١٥.....
تفاصيل الأبواب الثلاثة إجمالاً.....	١٦.....

الباب الأول في بيان الرجاء

الفصل الأول في حقيقة الرجاء في اللغة والعرف والشرع.....	٢٠.....
الرجاء لغة.....	٢٤.....
الرجاء عرفاً.....	٣٠.....
الرجاء شرعاً.....	٣٢.....

٣٤	كلمات ذات الصلة مع الرجاء.....
٣٦	الفصل الثاني في اشتراط الأسباب والعمل الصالح للرجاء.....
٤٠	كلمات السلف وأهل السلوك في هذا الصدد.....
٤٥	الفصل الثالث في بيان فضل الرجاء.....
٤٥	الرجاء في القرآن الكريم.....
٥٧	الرجاء في السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام.....
٦٥	الرجاء في أقوال السلف.....
٦٩	الفصل الرابع في ثمار الرجاء في الدنيا والآخرة.....
٦٩	ثمار الرجاء في الدنيا من القرآن الكريم.....
٧٢	ثمار الرجاء في الدنيا من السنة النبوية الشريفة.....
٧٧	ثمار الرجاء في الآخرة من القرآن الكريم.....
٨٠	ثمار الرجاء في الآخرة من السنة النبوية الشريفة.....
٨٢	الآثار المترتبة على العبد لعدم رجائه في الدنيا والآخرة.....
٨٥	فوائد أخرى مهمة للرجاء.....

الباب الثاني في ما يتعلق بالرجاء

٨٨	الفصل الأول في الرجاء المحمود و الرجاء المذموم.....
٨٨	الرجاء المحمود وأقسامه.....
٨٨	مفهوم الرجاء المحمود.....
٨٨	القسم الأول رجاء العامل المحسن.....
٩١	القسم الثاني رجاء المسيئ التائب.....
٩٤	أي القسمين من الرجاء أكمل منهما؟.....
٩٥	القسم الثالث رجاء المغفرة.....
٩٦	القسم الرابع رجاء النصر.....

- ٩٨..... القسم الخامس الرجاء الخفي للخير.....
- ٩٩..... القسم السادس رجاء تجارة لن تبور.....
- ١٠٠..... أربعة أمور لا ينبغي نسيانها وهي مهمة جدا لتحقيق الرجاء المحمود.....
- ١٠١..... الرجاء المذموم وأقسامه.....
- ١٠١..... مفهوم الرجاء المذموم.....
- ١٠١..... القسم الأول رجاء من أتبع نفسه هواها وعلق بالله الأمانى.....
- ١٠٣..... القسم الثاني الرجاء الناشئ عن الإعجاب بنفسه وعمله.....
- ١٠٥..... القسم الثالث الرجاء الناشئ عن العجز والكسل.....
- ١٠٨..... الفصل الثاني في طريق تحصيل الرجاء.....
- ١١١..... أولاً الاعتبار والمراقبة.....
- ١١٤..... ثانياً النظر في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.....
- ١١٦..... ثالثاً الاهتمام بالعمل.....
- ١١٩..... رابعاً طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.....
- ١٢٠..... الفصل الثالث في مواقع الرجاء ومظانه.....
- ١٢١..... الموقع الأول: رجاء المطيع قبول ربه طاعته بفضله ورحمته.....
- ١٢٣..... الموقع الثاني: رجاء المطيع أن الله سيثيب على هذه الطاعة.....
- ١٢٦..... الموقع الثالث: رجاء العبد من الله رحمته في أمور دنياه.....
- ١٢٧..... الموقع الرابع: الرجاء من الله بسبب الرخص المشروعة.....
- ١٢٨..... الموقع الخامس: رجاء المذنب التائب إلى الله عز وجل.....
- ١٣٠..... الموقع السادس: الرجاء عند دعاء الرب تبارك وتعالى.....
- ١٣١..... الموقع السابع: الرجاء و حسن الظن بالله عند الموت.....
- ١٣٣..... الموقع الثامن: رجاء المكروب برحمة ربه.....
- ١٣٧..... الموقع التاسع: الرجاء في الآخرة.....

- ١٣٨..... الفصل الرابع في بيان أهم سباب الرجاء
- ١٣٨..... شفقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمته وشفاعته لها
- ١٤٩..... الفصل الخامس في الجوانب المختلفة من أهمية الرجاء
- ١٤٩..... الجانب الأول: سعة رحمة الله تعالى
- ١٤٩..... سعة رحمة الله تعالى في القرآن الكريم
- ١٥٧..... سعة رحمة الله تعالى في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٧٠..... الجانب الثاني: حسن الظن بالله تعالى
- ١٧٣..... نماذج من حسن الظن بالله تعالى عند أولياء الله والسلف
- ١٨٢..... الجانب الثالث: سعة مغفرة الله
- ١٨٢..... سعة مغفرة الله تعالى في القرآن الكريم
- ١٨٧..... سعة مغفرة الله تعالى في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٨٩..... الجانب الرابع: الاحتساب وتوقع الثواب من الأمور المطلوبة في الأعمال
- ١٩٢..... الجانب الخامس: الرجاء يؤدي إلى طيب النفس والبشاشة
- ١٩٤..... الجانب السادس: إن الإسلام نهي عن التشاؤم و استحسن التفاؤل
- ١٩٧..... الجانب السابع القنوط والتقنيط عن رحمة الله تعالى وأنه كبيرة من الكبائر

الباب الثالث في علاقة الرجاء مع الخوف

- ٢٠١..... الفصل الأول في حقيقة الخوف في اللغة والعرف والشرع
- ٢٠٣..... الخوف لغة
- ٢٠٩..... استعمال كلمة "الخوف" في القرآن الكريم
- ٢١٥..... الخوف عرفاً
- ٢١٦..... كلمات ذات صلة
- ٢١٩..... الخوف شرعاً

- ٢٢٤.....الفصل الثاني في أسس عامة للجمع بين الرجاء والخوف
- ٢٢٤.....أولاً الأمن والياس ممنوعان شرعاً
- ٢٣٠.....ثانياً وسطية هذه الأمة تقتضي الجمع بينهما
- ٢٣٣.....ثالثاً الجمع بينهما مقتضى معرفة صفات الله تعالى
- ٢٣٥.....الفصل الثالث في الجمع بين الخوف والرجاء في القرآن الكريم
- ٢٥٢.....نظرة عامة على الآيات الواردة في الباب
- ٢٥٤.....الفصل الرابع في الجمع بين الخوف والرجاء في الأحاديث النبوية
- ٢٦٢.....الفصل الخامس في الجمع بين الخوف والرجاء في أقوال السلف
- الفصل السادس في بيان أيهما أفضل الخوف أو الرجاء؟ وخاصة ما هو الأولى عند الموت؟
- ٢٦٩.....
- ٢٦٩.....القول الأول
- ٢٧٢.....القول الثاني
- ٢٧٣.....القول الثالث
- ٢٧٤.....القول الرابع
- ٢٧٥.....القول الخامس
- ٢٧٦.....القول السادس
- ٢٨٠.....القول السابع
- ٢٨١.....رأي المتواضع في المسألة
- ٢٨٤.....ما هو الأولى عند الموت؟
- ٢٨٦.....الأدلة على أن الرجاء عند الموت أولى

الخاتمة

- ٢٩١.....بيان أهم نتائج الدراسة والبحث

الفهارس

- ٢٩٥..... فهرس الآيات القرآنية.....
 ٣٠٦..... فهرس الأحاديث النبوية.....
 ٣١٣..... فهرس الآثار المروية.....
 ٣١٩..... فهرس المصادر والمراجع (Bibliography).....
 ٣٣٠..... فهرس الموضوعات (الفهرس العام).....

وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

لَهُ الْخَشْيَةُ فِي الْوَالِدِ وَالْآخِرَةِ



AL- RAJA'A (HOPE)

In the light of Holy Qur'an and Aha'dith
of Holy Prophet ﷺ

Thesis for **Ph. D**

Researcher:

Muhammad Ilyas S/O Muhammad Razzaque

Supervisor:

Dr. Zeenat Haroon

Department of Qur'an and Sunnah, Faculty of Islamic Studies
University of Karachi - Pakistan

December **2009**



Summary of Ph. D Thesis

AL-RAJA'A (HOPE)

In the light of Holy Qura'n and Aha'dith

of Holy Prophet صلى الله عليه وآله وسلم

The relationship of a person with الله Almighty is of fundamental importance and basic teachings of Islam. This relationship depends on the degree of understanding and belief in the Sifa'at (Attributes) of الله Almighty. That is why in the Holy Qura'n and Aha'adith of Holy Prophet صلى الله عليه وآله وسلم this have been repeatedly emphasized so that a Muslim is always motivated, enlightened with them and steadily continues to approach the height of success and salvation in this life and Hereafter. One of the Attributes of الله Almighty is the Attribute of Mercy. الله Almighty says: "My Mercy

embraces each and everything". This Holy Verse means that each and everything will benefit from His Mercy. Moreover the Holy Prophet صلى الله عليه وآله وسلم says that الله Almighty says: "My Mercy dominates my wrath".

This is a proclaimed fact that the Holy Qura'n and Aha'dith of Holy Prophet صلى الله عليه وآله وسلم are the two fundamental and authentic sources of Islam. The Holy Qura'n is the ultimate source of Islam that guides to the righteous path and is a living Miracle of the Holy Prophet of Islam صلى الله عليه وآله وسلم. Whereas the Aha'dith of the Holy Prophet صلى الله عليه وآله وسلم provide necessary details of the Holy Qura'n and throw light on the Holy life of the Prophet of Islam صلى الله عليه وآله وسلم.

The selection of the topic "Al-Raja'a (Hope) in the light of Holy Qura'n and Aha'dith of Holy Prophet صلى الله عليه وآله وسلم" has been made because of its deep importance in the belief and practical life of a Muslim. In the present

era when the Islamic Values and Morales of Muslims have been declined due to internal chaos of Muslim society and external negative propaganda. The importance of this theme has increased manifold particularly for the Muslim youth who is misled by the anti-Islamic thoughts and is losing faith in Islamic fundamentals and drifting away from Islamic life.

Nowadays this topic is getting more importance and relevance with our critical individual, political and social problems, because the absence of the element of Al-Raja'a (Hope) from our lives, especially of the youth led them to very serious psychological and behavioral ailments as depression, stress, tension, etc. No doubt the situation of this kind leads any individual or society to evils which could not be tolerated at any cost; because the hopelessness is the most dangerous device of the devil. A depressed and hopeless person can do any thing

against himself and the society. For a believer, the source of hope is الله Almighty. With awakening and strengthening Al-Raja'a (Hope) from الله Almighty, we can make our society more active, fruitful and progressive and can cultivate the seeds of positive behaviors.

In the Holy Qura'n and Aha'adith of the Holy Prophet صلى الله عليه وآله وسلم Al-Raja'a (Hope) has been termed as an essential and basic pillar of Ema'n (Faith). This is that pillar of Ema'n (Faith) which motivates a person to righteously stand and act; and with this purification of society is possible. In this also lies the revival of the Muslim Ummah and the remedy for the de-tracked Muslim youth particularly.

Now I present outlines of my Thesis that comprises of preface, abstract, three major chapters, conclusion and bibliography.

These are detailed below:

Preface:

The preface consists of the following three themes:

- Importance and benefits of the research topic.
- Basis of selection of the research topic.
- Research plan and methodology adopted.

Abstract:

The abstract consists of the following two themes:

- An introductory summary of Al-Raja'a (Hope).
- Four basic reasons to select the topic of Al-Raja'a (Hope) instead of Al-Kha'wf (Fear).

Chapter One:

The 1st chapter consists of the following four Sections:

Section-1:

Definition of Al-Raja'a (Hope).

Section -2:

The correct Al-Raja'a (Hope) and its parameters.

Section -3:

Virtues of Al-Raja'a (Hope).

Section -4:

Benefits of Al-Raja'a (Hope) in this world and Hereafter.

Chapter Two:

The 2nd chapter consists of the following five Sections:

Section -1:

Positive Al-Raja'a (Hope) and Negative Al-Raja'a (Hope).

Section -2:

Methods of achieving Al-Raja'a (Hope).

Section -3:

Determining factors of Al-Raja'a (Hope).

Section -4:

Source opportunities of Al-Raja'a (Hope).

Section -5:

Other controlling directions of Al-Raja'a (Hope).

Chapter Three:

The 3rd chapter consists of the following six Sections:

Section -1:

Definition of Al-Kha'wf (Fear).

Section -2:

Basic factors to combine Al-Kha'wf (Fear) & Al-Raja'a (Hope).

Section -3:

Combination of Al-Kha'wf (Fear) & Al-Raja'a (Hope) in the light of Holy Qura'n.

Section -4:

Combination of Al-Kha'wf (Fear) & Al-Raja'a (Hope) in the light of Aha'dith of Holy Prophet صلى الله عليه وآله وسلم.

Section -5:

Combination of Al-Kha'wf (Fear) & Al-Raja'a (Hope) in the light of sayings of Asla'af (Past Muslim Scholars).

Section -6:

Al-khawf (Fear) or Al-Raj'a (Hope); which is to be preferred; especially at the time of death?

Conclusion.

Bibliography.

In the end I pray to ﷻ Almighty to grant me and whole Muslim Ummah the true and correct understanding of Al-Raja'a (Hope); and guide us to spend our lives accordingly.

May ALLAH Almighty enlighten our lives with Al-Raja'a (Hope) and give us the courage to strive to enlighten the hearts of the whole Humanity.

By ﷻ Almighty, for me, there is nothing to depend except Al-Raja'a (Hope) of Mercy of ﷻ Almighty in this life and the life Hereafter and this is the conclusion of my Faith and my Religion.



MUHAMMAD ILYAS